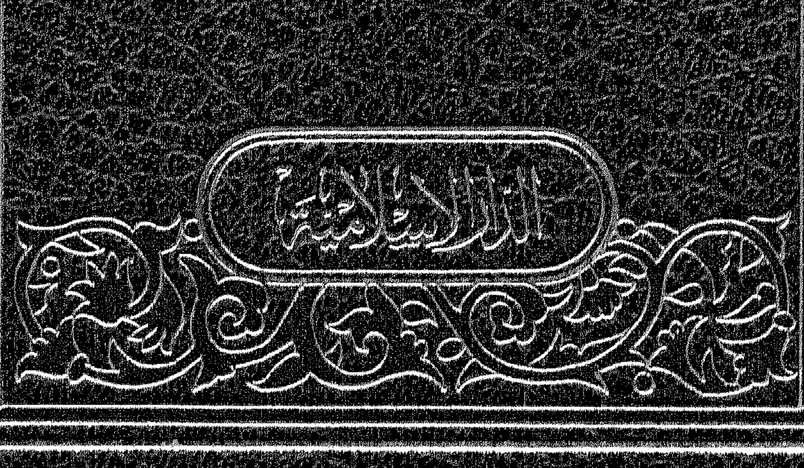
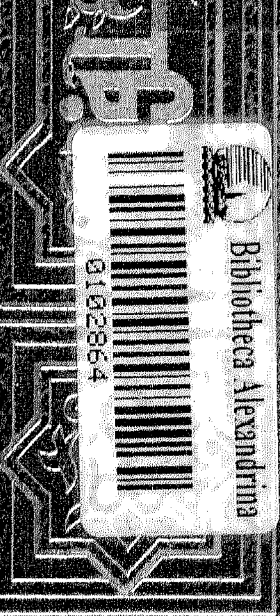
"Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)"

سيرة الرسول وخلفائه

سماحة العلامة
السيد علي فضل الله الحسني

الجزء السادس







سيرة
الرسول وخلفائه
٦



سيرة الرسول وخلفائه

سماحة العلامة
السيد علي فضل الله الحسني

الجزء السادس

الدار الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنتر الطابق الثاني
هاتف: 816627. ص ب: 14/5680
المكاتب والمستودعات - حارة حريك شارع دكاش
هاتف: 820704 - 835670. ص ب: 25/209


الفصل
الخامس والخمسون



خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

ماذا أقول في حق علي بن أبي طالب وقصة توليته الخلافة... وأي قرطاس يتسع لشرح ما يتميز به من الصفات الحميدة التي حباه الله سبحانه وتعالى بها... وأي كلام يفي بما يتطلبه القصد من الوصول إلى سمو ذاته، وعلو مكانته وطهارة نفسه... وبماذا يصفه الواصفون وهو أول القوم إسلاماً، وأعظمهم إيماناً، وأقومهم في دين الله وأحفظهم على الإسلام، وهو أخو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمؤاخاة، وابن عمه، ووزيره، وصهره...

علي بن أبي طالب الذي لاقى من الشدائد في سبيل نصرة دين الله ما لم يلاقه رجل قبله ولا بعده سوى رسول الله.

أليس هو الذي فدى رسول الله بمبيته على فراشه يوم مؤامرة قريش...

أليس هو الذي حصد بسيفه البتار رؤوس صناديد قريش وطغاة مكة يوم بدر...

أليس هو القائل لزوجته فاطمة الزهراء بعد انتهاء معركة أحد وقد ناولها السيف ملطخاً بدماء الأعداء من المشركين..

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بمليم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد وطاعة رب بالعباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنه سقى آل عبد الدار كأس حميم

وقال رسول الله: «خذيه يا فاطمة، فقد أدى بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش».

أليس علي بن أبي طالب قاتل عمرو بن عبدود العامري يوم الخندق، وقد قال رسول الله في حقه حين برز لعمرو على ما يروى: «برز الإسلام كله إلى الشرك كله».

وروي عن الرسول الأعظم أيضاً: أنه قال لعلي بعد مقتل عمرو: «أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم».

وفي علي (عليه السلام) يقول الشاعر:

يا أخا المصطفى وخير ابن عم وأميرٍ إن عُدت الأمراء
بني الدين فاستقام ولولا ضرب ماضيك ما استقام البناء

وفي حق أبي طالب وولده علي قال الشاعر:

فهذا بمكة آوى وحامى وذاك بيثرب خاض الحماما[١]

وماذا أقول في علي بن أبي طالب هذا الرجل الذي تغاضى عن حقه في سبيل وحدة المسلمين ونصرة الدين، الذي لم يبال بالدنيا وزخرفها، ولم يلتفت إلى حطامها الزائل، ولم تأخذه في الله لومة لائم.. الذي شاءت المقادير أن يبقى بعيداً عن الحكم ويغتصب حقه طيلة أيام أبي بكر وعمر وعثمان.

لكن حينما قتل عثمان، وسادت الفوضى مدينة الرسول الأعظم، ودانت الرقاب لرجال الثورة الذين جاؤوا من الأمصار متظلمين، وكانوا قد حاصروا الخليفة عثمان طالبين منه انصافهم من ولاتهم الجائرين بعد أن

---

(١) وفي رواية: جس الحماما.

ساموهم الظلم والتعسف كما أسلفنا. . وانتهت دولة عثمان اسوأ انتهاء، وأصبح الحكم في حاضرة الإسلام بأيدي الثائرين لا يكاد أهل المدينة أن يفرضوا عليهم رأيهم وإن كان أكثرهم قد أعان على قتل عثمان أمثال طلحة وغيره كما أسلفنا.

ويروي المؤرخون وأصحاب السير أنه: تنادى أهل المدينة والكثرة الغالبة من الصحابة، وزعماء الثوار للاجتماع وتداول الرأي فيما بينهم، فقال قائلهم:

يا أهل المدينة إنكم أهل الحل والعقد، وأهل القول الفصل، وإنكم تعقدون الإمامة، وأمركم عابر على الأمة. . فانظروا رجلاً تنصبونه. . .

فتهافت الناس من كل جانب وصاحوا بصوت واحد: ليس غير علي بن أبي طالب. . نحن بعلي راضون.

وشهد مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتماع الفئة الخالصة من الشوائب، من مهاجرين وأنصار. . الفئة الذائدة عن الحق للحق، تجتمع لتجأر بالدعوة لعلي بن أبي طالب التي شربتها نفوسهم الصافية، وغلبهم الزمن عليها أعواماً.

شهد المسجد النبوي الشريف أولئك النفر من أصحاب محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم) الأوفياء الذين لم تفسدهم الأهواء والمطامع يرفعون أصواتهم في الملأ يطلبون النصفة عند كل حريص على اقامة الحق ورفع دعاماته بالبيعة لعلي بن أبي طالب.

لم ينتقص مر الأعوام من شجاعة هؤلاء النفر، ولا من اخلاصهم لعلي بن أبي طالب صاحب الحق الشرعي منذ وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإن غلبهم الزمن لكنهم. ما زالوا أصحاب محمد (عليه وآله الصلاة والسلام) الأوفياء الذين آمنوا بحق علي في الخلافة حسب وصية الرسول ولم ينكل منهم واحد من جمعهم القديم

إلا من كان التراب قد طواه...

وإنا لنرى البقية الباقية الآن من خلال الماضي كما كانوا من قبل، لولا أن الزمان جرى بهم أشواطاً طويلة في خريف العمر.. ولكنهم مع ذلك ما زالوا ذوي قلوب فتية، وأرواح قويمة قوية، قد التأم جمعهم الآن كسابق عهدهم في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وآن لهم تحقيق هدفهم المرموق من تولية علي بن أبي طالب زمام الخلافة ليحملهم على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم.

كان من بين هؤلاء خيرة الصحابة أمثال عمار بن ياسر، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو الهيثم، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف وقيس بن سعد بن عبادة ومن لف لفهم من أصحاب علي الغيورين على الإسلام والمسلمين وعلى حق علي المغتصب أشد من غيرته عليه.

التأم جمع الصحابة في مسجد الرسول يتدارسون، ويتذاكرون الوسيلة، الكفيلة بإعادة الحق إلى صاحبه وصاحبهم صفي حبيبهم رسول الله ـ علي بن أبي طالب ـ.

وكانت طوائف من أهل المدينة قد علمت بأمرهم واجتماعهم، فأقبلت عليهم، ثم طفقت الجموع من بعد ذلك تفد عليهم زمراً فتمتلىء بها رحبات بيت الله، المسجد النبوي الشريف. حتى ضاق المسجد بما فيه.

ويروي المؤرخون أنه وقف عمار بن ياسر في ذلك الجمع الغفير يقول:

أيها الناس.. قد سار فيكم عثمان بما رأيتموه.. وأنتم اليوم على حد الوقوع في مثله.. إن لم تنظروا لأنفسكم، وأن علياً أولى الناس بهذا الأمر لفضله وسابقته... الخ.

امتلأ فضاء المسجد بصوتهم الداوي الذي انطلق من حناجرهم

كأنه من فم رجل واحد.. رضينا بعلي بن أبي طالب خليفة ووليا..

ثم التفت عمار بن ياسر نحو هذا الحشد الزاخر من الجموع، وفيه الكثيرون من المهاجرين والأنصار ثم قال:

أيها الناس ... إنا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله .. وإن علياً من قد علمتم .. وما نعرف مكانه أحداً أحمل لهذا الأمر ولا أولى به غيره بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فجاءه الجواب من الجموع الحاشدة: قد رضينا.. قد رضينا.. وعلي عندنا على ما ذكرت وأفضل.

ثم انطلقت تلك الحشود المجتمعة من المسجد النبوي الشريف إلى منزل علي بن أبي طالب يتقدمهم كبار الصحابة تتبعهم الأفواج من أهل المدينة ومن رجال الأمصار على السواء.

وكان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) معتزلاً بداره، فضربوا عليه بابه حتى أخرجوه على غير ارادته، والتفوا حوله من كل جانب يهتفون له ويهيبون به أن يقبل بيعتهم...

وقالوا له: يا أبا الحسن.. إن هذا الرجل ـ يعني عثمان ـ قد قُتل ولا بد للناس من إمام.. ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة.. ولا أقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأبى علي (عليه السلام) أن يستغل عاطفتهم الكريمة التي دفعتهم الآن إليه، بل قبض دونهم كفه وأجاب..

«لا أفعل.. فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً..

ثم أردف يقول : دعوني والتمسوا غيري أيها الناس .. إنّا مستقبلون أمراً له وجوه.. وله ألوان.. لا تثبت عليه العقول.. ولا تقوم له القلوب».

فوقف الأشتر مالك بن الحرث أحد زعماء أهل الكوفة وراح في توسل يهيب بعلي بن أبي طالب باسم الإسلام، واسم الأمة، أن يستجيب لثقة الناس به، فيقبل الواجب ـ البيعة وتولي الخلافة ـ الذي لا يستطيع غيره القيام به في هذه النازلة التي توشك أن تدك صرح الدولة الإسلامية الفتية.. ثم أردف الأشتر توسله في ختام حديثه بأن قال:

ننشدك الله يا أبا الحسن ألا ترى ما نرى؟!.. ألا ترى ما حدث في الإسلام؟!.. ألا ترى الفتنة؟.. الخ.

فصاحت الجماهير المحتشدة بصوت واحد: ما نحن بمفارقيك يا أبا الحسن حتى نبايعك...

الجأ الواقع علياً (عليه السلام) أن يقبل الخلافة حفظاً على الإسلام لجمع شمل المسلمين خوفاً عليهم من التمزق والتشرذم بعد مقتل عثمان، وبعدما نخرت الفتنة جسم الدولة الإسلامية.. في حين أن أهل الأطماع والأهواء والذين يتربصون ويضمرون الشر للإسلام والمسلمين كثيرون.

ولنستمع إليه وهو يقول في احدى خطبه بعد أن ولي الخلافة يصف حال الناس كيف طفقت جموعهم تتكاثف حول داره حتى غص بها الفضاء.. وكيف تداكوا عليه تداك الإبل الهيم على وردها حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً من فرط ازدحامهم عليه وشدة رغبتهم في الخلوص إليه.

«فما راعني إلا والناس كعرف الضبع[1] إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطيء الحسنان، وشق عطفاي!! مجتمعين حولي كربيضة الغنم»[2]

---

(١) المعروف عن عرف الضبع كثافة شعره، وهو يريد بها كثافة الناس.

(٢) الربيضة: الجماعة وشبههم بالغنم لما كانوا فيه من ضعف وتوسل.

البيعة لعلي بن أبي طالب بالخلافة

ذكر المؤرخون وأصحاب السير: أن الإمام علي بن أبي طالب لما ناشده المسلمون باسم الإسلام والأمة الإسلامية ـ بعد مقتل عثمان ـ أن يستجيب لثقة الناس به، ويقبل الواجب الذي لا يستطيع غيره القيام به ـ ألا وهو منصب الخلافة ـ وإن جاء متأخراً... وزادوا في الحاحهم ومناشدتهم إياه... ما نحن بمفارقيك حتى نبايعك...

قال لهم (عليه السلام): بعد روية وأخذ ورد: «دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان. لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول. وأن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت[1].

واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب. وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً».

وبعد أن رأى (عليه السلام) أنه من الواجب عليه أن ينهض بأمور المسلمين وليس بوسعه أن يرفض ما أنيط به.. من أمر الخلافة وقيادة

---

(١) أغامت: أي غطيت بالغيم. والمحجة الطريق المستقيمة. تنكرت: أي تغيرت علائمها فصارت مجهولة، وذلك أن الأطماع كانت قد تنبهت في كثير من الناس على عهد عثمان.

الأمة. . فهي رسالة واجبة الاداء للحفاظ على الإسلام الذي جاهد من أجل نشر تعاليمه وناضل لتركيز دعائمه من لدن البعثة النبوية الشريفة حتى يومه ذاك. ولنسمعه يقول في بعض خطبه:

«أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر[1] وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة[2] ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

وبعد محاورة طويلة وأخذ ورد كما أسلفنا قال (عليه السلام): إن كان لا بد من ذلك ففي المسجد. . فإن بيعتي لا تكون خفياً. . ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، وفي ملأ وجماعة. . .

واتعدوا الغد في المسجد النبوي الشريف. وتفرقوا عنه، وكلهم راضي النفس. . يرى الخير في ركاب المستقبل. . فلسوف يحملهم ابن أبي طالب على المحجة البيضاء والصراط المستقيم.

ولما أشرف نهار الغد وكان يوم الجمعة على ما يرويه أكثر المؤرخين سار الناس إلى بيت علي بن أبي طالب والتفّوا حوله طالبين منه الخروج إلى المسجد حسب الموعد. . .

وطفقت جموعهم تزيد وتتكاثر وتتكاثف حول داره حتى غص بها الفضاء، خرج إليهم(عليه السلام) فالتفوا حوله التفاف السوار بالمعصم حتى كان بعضهم يقتل بعضاً من فرط ازدحامهم عليه. . وشدة رغبتهم في الخلوص إليه. . .

---

(١) لولا حضور الحاضر: يمكن أن يريد به لولا حضور البيعة فإنها بعد عقدها تتعين المحاماة عنها ويمكن أن يريد بالحاضر من حضره من الجيش الذي يستعين به على الحرب.

(٢) الكظة بكسر الكاف ما يعتري الإنسان من الثقل والكرب. راجع شرح نهج البلاغة ـ ج ـ ١ ـ ص ٢٠٢ لابن أبي الحديد.

انطلقوا وإياه إلى المسجد النبوي الشريف، وأصواتهم تملأ الفضاء بالتهليل والتكبير، ولا تكف عن الهتاف له...

وفي المسجد صعد (عليه السلام) المنبر وألقى بصره على الجموع الزاخرة التي اجتمعت في باحات المسجد ورحابه كأنها البنيان المرصوص فأومأ إلى الجمع بالسكوت... فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر. فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا[1] الفرائض.. الفرائض.. أدوها إلى الله تؤدِّكم إلى الجنة. إن الله حرم حراماً غير مجهول، وأحل حلالاً غير مدخول، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها[2]. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب. بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت[3] فإن الناس أمامكم، وإن الساعة تحدوكم من خلفكم.. تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأولكم آخركم.

اتقوا الله في عباده، وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم. أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه».

وقال أيضاً: ألا أني كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم... رضيتم؟..

---

(١) صدف: أعرض. والسمت: الجهة. وتقصدوا: تستقيموا.

(٢) أي جعل الحقوق مرتبطة بالاخلاص والتوحيد لا تنفك عنه. ومعاقد الحقوق: مواضعها من الذمم.

(٣) وقوله عاجلوا أمر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا، فإذا انقضى عملكم في شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا يأخذكم على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة.

فقالوا: نبايعك على كتاب الله...

فقال (عليه السلام) : اللهم اشهد ...

فتدافعوا إليه كالموج.. يلتفون بالمنبر وقد سبقهم نحوه كبار المهاجرين والأنصار أمثال طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وغيرهما من الصحابة.. وكل واحد يرجو أن يكون له شرف البدء بمبايعته سلام الله عليه وتحيته بالخلافة.

وروى المؤرخون: أنه أول من بايع علياً بالخلافة طلحة فغلب على بعض المسلمين التطير فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت أمير المؤمنين يد شلاء... أخلق بها أن تنكث.

وفي رواية الطبري: بايعه طلحة والزبير، فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع، وقال: أول من بدأ بالبيعة يد شلاء، لا يتم هذا الأمر.

وفي تاريخ اليعقوبي: بايع طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار علي بن أبي طالب ـ بالخلافة ـ وكان أول من بايعه، وصفق على يده طلحة بن عبيد الله، فقال رجل من بني أسد: أول يد بايعت يد شلاء.. أو يد ناقصة ...

وقام الأشتر[1] وقال: أبايعك يا أمير المؤمنين على أن عليَّ بيعة أهل الكوفة...

ثم قام طلحة والزبير فقالا: نبايعك يا أمير المؤمنين على أن علينا بيعة المهاجرين..

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان، وعقبة بن عمرو وأبو أيوب فقالوا:

---

(١) الأشتر: هو مالك بن الحارث النخعي وكان من كبار زعماء الكوفة ومن المخلصين للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد جاهد جهاد الأبطال مع علي في أكثر حروبه، وقد ورد عن علي في حق الأشتر قوله (عليه السلام): كان لي مالك كما كنت لرسول الله وهو من حواري أمير المؤمنين ومن الأخيار.

نبايعك يا أمير المؤمنين على أن علينا بيعة الأنصار، وسائر قريش. . .

وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش. . مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة. . وكان ـ الوليد ـ لسان القوم، فقال: إنك قد وترتنا جميعاً. . أما أنا فقتلت أبي صبرا يوم بدر. . . وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه من أنور قريش. . وأما مروان فشتمت أباه، وعبت على عثمان حين ضمه إليه. . . ثم قال: فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا، وتعفي لنا عما في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا.

فغضب علي (عليه السلام) وقال: أما ما ذكرت من وتري إياكم، فالحق وتركم. . وأما في وضعي عنكم عما في أيديكم فليس لي أن أضع حق الله. . وأما اعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم. . وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم لزمني قتالهم غداً. . .

ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيق. وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم.

فقال مروان: بل نبايعك، ونقيم معك، فترى ونرى. . .

وقام قوم من الأنصار، فتكلموا، وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكان خطيب الأنصار، فقال: والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية، فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

ثم قام خزيمة بن ثابت الأنصاري. . وهو ذو الشهادتين، فقال:

يا أمير المؤمنين، ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلا

إليك، ولئن صدقنا أنفسنا فيك.. لأنت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله، وأولى المؤمنين برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. لك ما لهم، وليس لهم مالك...

وقام صعصعة بن صوحان، فقال: والله يا أمير المؤمنين.. لقد زينت الخلافة، وما زانتك.. ورفعتها، وما رفعتك.. ولهي إليك أحوج منك إليها...

ثم قام مالك بن الحرث الأشتر، فقال: أيها الناس.. هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه، وفضله، الأواخر.. ولا الأوائل...

ثم قام عقبة بن عمرو، فقال: من له يوم كيوم العقبة، وبيعة كبيعة الرضوان، والإمام الأهدى، الذي لا يخاف جوره، والعالم الذي لا يخاف جهله[1]...

وروى الحاكم في المستدرك بسنده: أنه لما بويع علي بن أبي طالب على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا   أبو حسن مما نخاف من الفتن
رجوناه أولى الناس بالناس إنه   أطب قريش بالكتاب وبالسنن[2]
وأن قريشاً ما تشق غباره   إذا ما جرى يوماً عـ [illegible] ـمر البدن
وفيه الذي فيهم من الخير كله   وما فيهم كل الذي فيه من حسن

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج -٢- ص- ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) الطب الحاذق من الرجال الماهر بعلمه: ورجل طب بالفتح، أي عالم الحاذق بالأمور العارف بها. لسان العرب لابن منظور: مادة طبب.

والمراد بقوله: اطب قريش بالكتاب وبالسنن أنه أعلمهم بكتاب الله وسنن رسوله.

وفي تاريخ اليعقوبي: استخلف علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. ومن شهور العجم في حزيران.

وفي مروج الذهب للمسعودي: بويع علي بن أبي طالب في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان. وقتل عثمان بن عفان في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة.

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: بويع علي (عليه السلام) بالخلافة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة، على رواية الطبري سنة خمس وثلاثين، وكان قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، فكان بين قتله وبيعة علي (عليه السلام) سبعة أيام.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده: أنه استخلف علي بن أبي طالب سنة خمس وثلاثين، وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر.

قال الحاكم في المستدرك: اختلفت الروايات في وقت بيعته بالخلافة فقيل: أنه بويع بعد اربعة أيام من قتل عثمان، وقيل بعد خمس. وقيل: بعد ثلاث. وقيل: بويع يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة. قال: وأصح الروايات أنه امتنع عن البيعة إلى أن دفن عثمان، ثم بويع على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ظاهراً.. وكان أول من بايعه طلحة فقال: هذه بيعة نكث.



المتخلفون عن بيعة علي (عليه السلام)

روى المؤرخون أنه بايع المهاجرون والأنصار علياً (عليه السلام)، ولم يتخلف عن بيعته إلا نفر يسير ساءهم أن علي بن أبي طالب أميراً عليهم، لأنهم يعلمون حق العلم أن علياً لا يقرهم على باطل، ولا يسمح لهم بما منحهم إياه من سبقه بالخلافة من الأموال والضياع وغيرهما، في حين كانوا فئة ألفوا أن يتميزوا على الناس وتكون لهم من دون الشعب طبقة رفيعة. فلا يسهل عليهم التسليم لعدل علي والمساواة مع غيرهم.

إن علي بن أبي طالب رُبي في حجر الإسلام وهو العالم بالكتاب والسنة الحاكم العادل لا يميز شريفاً على مشروف ولا شخصاً على آخر، والناس عنده في الحق سواء. أليس هو القائل حينما أراده المهاجرون والأنصارَعلى البيعة:

«اعلموا أن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب... الخ».

لذلك وخوفاً من عدله وصرامته في الحكم فلا تأخذه في الله لومة لائم، أحجم عن بيعته نفر يسير ممن أعماهم حب الدنيا، وطلبوا طائشة الفتنة طمعاً في نيل رغباتهم.

جاء في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: عمن تخلف عن بيعة علي بن أبي طالب نقلاً عن مروج الذهب أنه قعد عن بيعته جماعة عثمانية وجماعة لم يروا إلا الخروج من الأمر.

وفي أسد الغابة: تخلف عن بيعته جماعة من الصحابة، فلم يلزمهم بالبيعة. وسئل علي (عليه السلام) عمن تخلف عن بيعته، فقال: «أولئك قعدوا عن الحق ولم ينصروا الباطل.

وروى الطبري بسنده عن عبدالله بن الحسن، قال: بايعت الأنصار علياً، إلا نفراً يسيراً منهم، وعدهم، وقال: كانوا عثمانية.

ونحن نذكر أسماء المتخلفين، مأخوذة من مجموع ما ذكره هؤلاء، وهم: حسان بن ثابت ـ كعب بن مالك، وكانا شاعرين. مسلمة بن مخلد ـ أو خالد. أبو سعيد الخدري. محمد بن مسلمة، حليف بني عبد الأشهل. النعمان بن بشير. يزيد بن ثابت. رافع بن خديج. فضالة بن عبيد. كعب بن عجرة. سعد بن أبي وقاص. عبدالله بن عمر. صهيب بن سنان. سلمة بن وقش. أسامة بن زيد. عبدالله بن سلام. قدامة بن مظعون. المغيرة بن شعبة الثقفي. وهبان بن صيفي.

قال عبدالله بن الحسن: فيما رواه عنه الطبري في العشرة الأول: أنهم كانوا عثمانية...

وقال: أما حسان ـ فكان شاعراً لا يبالي ما صنع...

وأما زيد بن ثابت.. فولاه عثمان الديوان، وبيت المال. فلما حُصر عثمان قال: يا معشر الأنصار.. كونوا أنصار الله مرتين..

فقال له أبو أيوب: ما تنصره إلا لأنه أكثر لك من العبدان[1]..!

وأما كعب بن مالك.. فاستعمله ـ عثمان ـ على صدقة مزينة،

---

(١) وفي رواية الطبري: العضدان: وهي جمع عضيد، وهي النخلة لها جذع يتناول منه المتناول.

وترك ما أخذ منهم له ـ وهكذا جميع من تخلف عن بيعة علي إنما كان تخلفهم لمطامعهم الدنيوية.. وأغراضهم الشخصية ـ.

روى المؤرخون وأصحاب السير: أن عبد الله بن عمر بايع يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الذي شهد التاريخ بفسقه، وفجوره وظلمه وطغيانه، وارتكابه المحرمات، وقتل ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. الحسين السبط وأهل بيته الأبرار، وصحبه الأخيار في واقعة كربلاء المشهورة.

أجل.. بايع عبدالله بن عمر يزيد بن معاوية بعد ذلك... ذلك الطاغية الذي قتل المسلمين الصالحين في كربلاء كما أسلفنا.. وأباح المدينة المنورة عاصمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودار هجرته التي ضم ثراها رفاته المقدسة..

زيادة على هذا انتهاك يزيد لعنه الله الحرمات في المدينة المقدسة بواسطة جيشه وقائده مسلم بن عقبة المري، الذي أخاف المدينة، ونهبها، وقتل أهلها، وأخذ من أهلها البيعة على أنهم عبيد ليزيد. وسماها نتنة.. وقد سماها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طيبة.

وقال (صلوات الله عليه وآله وسلم): «من أخاف المدينة أخافه الله».

فسمي مسلم بن عقبة لعنه الله، بمجرم.. ومسرف، كما ذكر ذلك المسعودي في تاريخه.

ذكر اليعقوبي في تاريخه: وبعد ذلك أباح حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ المدينة المنورة ـ لجيشه، حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن.

وبعد ذلك أيضاً: رمى يزيد بن معاوية الكعبة المقدسة بالمنجنيق، يريد هدمها على رأس عبدالله بن الزبير الذي تحصن فيها عندما حاصره

جيش ـ يزيد ـ بقيادة الحصين بن نمير.

إلى غير ذلك من الأفعال المنكرة التي لسنا بصددها الآن والتي يندي لها جبين التاريخ عرقاً.

وعبدالله بن عمر، لم يكن له شأن كبير في المجتمع.. وليس له صولة فيخشى منه. وعلى هذا نجده تارة يبايع ليزيد بن معاوية... وتارة يذهب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ـ السفاح المجرم ـ الذي سجله القاتم معروف لـدى من تتبع أحـداث التاريـخ ـ ليأخـذ منه البيعـة لعبد الملك بن مروان وهكذا.

لنرجع بالكلام إلى من تخلف عن بيعة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإن تخلفهم كان لمطامع دنيوية وأغراض شخصية كما أسلفنا.

قال ابن الأثير في تاريخه: أما النعمان بن بشير. فإنه أخذ أصابع نائلة امرأة عثمان التي قُطعت، وقميص عثمان الذي قُتل فيه، وهرب، فلحق بالشام.

فكان معاوية بن أبي سفيان يعلق قميص عثمان، وفيه الأصابع.. فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً.. وجدوا في أمرهم.

ثم يرفعه ـ القميص ـ.. فإذا أحس منهم بفتور، يقول له عمرو بن العاص: حرك لها حوارها تحن... فيعلقها ـ القميص والأصابع ـ.

وذكر المسعودي في مروجه: بعثت أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أخيها معاوية، بقميص عثمان، مخضباً بدمائه... مع النعمان بن بشير الأنصاري.

وذكر ابن الأثير أيضاً: وهرب بنو أمية، فلحقوا بمكة... وجاء قوم كانوا قد تخلفوا، فقالوا:

نبايع على اقـامة كتـاب الله في القريب والبعيـد... والعزيـز والذليل.

وفي مروج الذهب للمسعودي أيضاً: أنه ذكر أبو مخنف لوط بن يحيى: أن حسان بن ثابت ـ وكعب بن مالك ـ والنعمان بن بشير ـ قبل نفوذه إلى معاوية للشام بقميص عثمان ـ أتوا علياً في آخرين من العثمانية . . .

فقال كعب بن مالك:

يا أمير المؤمنين، ليس مسيئاً من عتب... وخير كفر ما محاه عذر... في كلام كثير.

ثم بايع، وبايع من ذكرنا جميعاً(١).

واتصلت بيعة الإمام علي (عليه السلام) بالكوفة وغيرها من الأمصار. وكان أهل الكوفة أسرع اجابة إلى بيعته (عليه السلام).

وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري ـ على ما سيأتي ـ حتى تكاثر الناس عليه.

ولم يتخلف عن بيعة علي سوى أهل الشام مع معاوية بن أبي سفيان فلم يبايعوه(٥).

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج ـ٣ـ ص ٣١٣.

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ـ٣ـ ص ٥٠.

عرض وتحليل للقوى التي كانت تتنازع العالم الإسلامي بعد مقتل عثمان

بعدما قتل الخليفة عثمان بن عفان.. وساد الهرج والمرج حاضرة الإسلام ـ المدينة المنورة ـ وبعدما هبت النفوس الظمأى إلى العدالة بعد أن انحرف الحكام القائمين على الدولة الإسلامية.. ومالوا إلى هواهم القديم بالرجوع إلى بعض التقاليد الجاهلية من تقديم العصبية كما فعل الخليفة عثمان في حمل أهله وذويه على رقاب الناس...

ظهرت عند ذلك بين طبقات المسلمين قوى متضاربة الأهواء، والأغراض، والميول، والنزعات. وأخذت هذه القوى تتنازع فيما بينها وتشتد... وراحت تحاول كل واحدة منها جاهدة أن يكون لها السيطرة على غيرها.

والآن لا بد لنا من جولة قصيرة ووقفة تأمل في مدى طاقة كل قوة من هذه القوى التي كانت تتجاذب العالم الإسلامي في ذلك الحين...

وإذا بحثنا جيداً وتأملنا بإمعان عبر التاريخ نجد الأطراف المتنازعة كانت يومذاك منقسمة إلى قوى أربعة:

أولاً: ـ قوة علي بن أبي طالب (عليه السلام) المتمثلة من بني هاشم والاكثرية من الأنصار والصفوة الصالحة من المهاجرين.

ثانياً: ـ قوة الأمويين وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان.

ثالثاً: ـ قوة طلحة والزبير الناكثين بيعة علي بن أبي طالب.

رابعاً: ـ قوة المحايدين المتمثلة بالذين اعتزلوا الحرب، أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وحسان بن ثابت وغيرهم.

لننظر بالتفصيل إلى كل قوة من هذه القوى ولنشرح ولو بإيجاز مدى كل قوة وتأثيرها في المجتمع.

أولاً: ـ قوة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

كانت هذه القوة الأقوى، والفاعلة على الأرض، وعلى الأخص في المدينة المنورة، حيث لا تزال بقية الصحابة المخلصين، والأنصار المؤمنين الذين حاربوا وجاهدوا في سبيل الإسلام، وفي سبيل ارساء قواعد الرسالة النبوية المقدسة. وهم في غالبيتهم الساحقة من المؤيدين للإمام علي (عليه السلام) لأنهم قد سمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من التأييد لعلي والمدح والثناء في حقه الشيء الكثير. ولطالما ردد رسول الله محمد على مسامعهم أن علياً هو وصيه وخليفته في أمته.

ومن بين هؤلاء الأنصار قيس بن سعد رئيس الخزرج وغيره أمثال سهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وغيرهم من زعماء الأوس والخزرج.

وهؤلاء كانوا من خيرة المسلمين، وكانوا لا يرون الحق إلا بجانب علي بن أبي طالب لأنه صاحب الحق الشرعي بالخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). لا يساوونه بغيره، ولا يرضون بديلاً عنه مهما كانت الظروف وقست الأحوال، وتوالت المصاعب وتراكمت المتاعب.

كانت قاعدة قوة علي (عليه السلام) المدينة المنورة وما والاها من

الأقطار في شبه الجزيرة العربية.

كما كان أيضاً في الكوفة أناس كثيـرون من المؤمنين الطيبين الموالين لعلي (عليه السلام) المؤيدين له وعلى رأسهم مالك الأشتر النخعي وغيره من زعماء الكوفة الناقمين على عثمان بن عفان تصرفاته بسبب استعماله عليهم ولاة من أقاربه وذويه ليسوا أهلاً للولاية ظلموا العباد، وعاثوا في الأرض فساداً.

مع العلم أن مدينة الكوفة التي يقطنها في ذلك الوقت زعماء الأجناد والكثير من رؤساء العرب ووجهائهم كان لها وزنها السياسي والاقتصادي في أوساط المسلمين.

لذلك كانت مركز الثقل السياسي بعد المدينة تتقاذف زعماءها أمواج الأطماع والأغراض، وتعصف بهم الأهواء السياسية.

على أنه من الواضح أن اكثرية أهل الكوفة كانوا من مؤيدي علي (عليه السلام) والمخلصين له وكانوا له شيعة أمثال كميل بن زياد، وصعصعة بن صوحان، كما كان فيها أيضاً موالين للإمام علي والمحبين له أمثال ميثم التمار وعمر بن الحمق الخـزاعي، وحجر بن عـدي، وزيد بن صوحان وغيرهم من أهل الدين والإيمان، والحل والربط.

ثانياً: أما القوة الثانية وهي قوة الأمويين فكانت قاعدتها الشام وما والاها وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان.

كانت سياسة هذه القوة أموية وذلك من خلال حكم معاوية الذي كان والياً على بلاد الشام مدة من الزمن، من عهد عمر بن الخطاب.. إلى عهد عثمان بن عفان بأكمله: وقد أطلق عثمان يد معاوية قريبه في الحكم ووطد له سلطانه حتى تمكن من استمالة أهل الشام واستيلائه على عقولهم بالأموال.. والعطايا.. والهبات التي كان يهبها بلا حساب والاقطاعات التي يقطعها لرؤسائهم مما جعلهم بيده آلة صماء، يديرهم حسب ما تقتضيه مصلحته الخاصة.

استسلم أهل الشام لمعاوية بعد أن أغرقهم بالأموال والهبات كما ذكرنا، فأصبحوا لا ينكرون شيئاً من أفعاله، ولا يسألونه عن أمر يريد فعله.. لأي شيء يفعله.!

وقوة الأمويين هذه التي هي في الشام ضمت الأمويين وما والاهم من اتباع عثمان الحاقدين على علي وكانت قوة لا يستهان بها فهي لا تخضع إلا لأوامر معاوية، ولا يمكن لأحد أن يسيطر عليها غيره بعد أن اشترى ضمائر أهلها وعقولهم وسلب ارادتهم بالأموال كما أسلفنا.

ثالثاً: ـ قوة الصحابيين طلحة والزبير الناكثين لبيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

كانت هذه القوة تضم كل من أضمر العداء لعلي بن أبي طالب من القرشيين والأمويين وما والاهم وجميع الموتورين بسيف علي الحاقدين عليه.

كانت هذه القوى ليست بذات الشوكة الفاعلة في ذلك الوقت لولا انضمام طلحة والزبير تحت لواء السيدة عائشة أم المؤمنين الذي استظل تحته كل موتور من علي حاقد على الإسلام أمثال مروان بن الحكم طريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وغيرهم.

ولنستمع للإمام علي (عليه السلام) وهو يجيب أخاه عقيلاً حين أتاه بنبأ عن تجهيز القوم لحربه بعد نكث طلحة والزبير بيعته وخلعهما ما كان في رقابهما له من ولاء مفروض.

«دع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فإنهم قد اجمعوا على حربي، كإجماعهم على حرب رسول الله قبلي...

جزت قريشاً عني الجوازي!.. لقد جهلوا حقي، وجحدوا

فضلي، وقطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي[1] وجدوا في اطفاء نور الله . . » .

وجاء في تاريخ الطبري: أنه قدم كل من طلحة والزبير إلى مكة بعد مقتل عثمان باربعة أشهر وابن عامر بها يجر الدنيا . .

وقدم يعلي بن منية بمال كثير زيادة على اربعمائة بعير فاجتمعوا في بيت عائشة أم المؤمنين. فأرادوا الرأي فقالوا:

نسير إلى علي بن أبي طالب فنقاتله . . .

فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة . . ولكنا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة في الكوفة شيعة وهوى . . وللزبير بالبصرة هوى ومعونة . . .

فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة، وإلى الكوفة، وأعطاهم عبدالله بن عامر مالاً كثيراً، وإبلاً، فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل.

يقول الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب عن هذه القوة ورؤسائها.

تنادوا بدعوة ظالمة، وأغروا باتباعهم كل مفتون، وشطروا وحدة الأمة، فلما تبينوا أنفسهم في ساحة كفاح يجب أن يوفروا عتاده وعدته، أقبلوا في لهفة يمدون أيديهم إلى مال حرام فاحتجزوه، واستباحوه، ثم قدموه وقوداً لهذا الكفاح الحرام . . !

هكذا فعل القوم، وإلى هذا المنحدر انزلقت أقدامهم . . . فقد أباحهم ابن عامر ما جلبه من أموال البصرة ـ حيث كان والياً عليها من قبل عثمان ـ بعد خروجه منها. ووهبهم يعلي بن منية ما حمله من أموال

(١) وفي رواية : وهي الأصح : سلطان ابن عمي وهي الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

صنعاء حيث كان والياً عليها أيضاً:

وما كان لأي الرجلين ـ ابن عامر ويعلي بن منية ـ حق فيما وهب وأباح إلا كما لرسول من رسالة مولاه.

فقد كانت العادة المسنونة أن يجتمع عمال الأمصار في موسم الحج بالخليفة كل عام، ومعهم ما وسعهم جمعه من خراج ليسلموه إياه كي يضمه إلى بيت المال، ويعده للانفاق في الأوجه التي تعود بالخير على مجموع الأمة.

ولكن ابن عامر وابن منية استهوتهما الدعوة التي تنادت بها عائشة في أرجاء مكة عقيب مصرع عثمان فانحازا إليها، وأقرتهما هي وصاحباها ـ طلحة والزبير ـ على احتجاز أموال المسلمين لخدمة مأرب خاص، ولتكون عدة الحرب الأهلية التي لن تلبث أن تستشري وتفكك عرى الإسلام.

رابعاً: ـ القوة المحايدة: التي تتمثل بثلة من الصحابة أمثال سعد بن أبي وقاص أحد أهل الشورى الستة التي اختارها عمر بن الخطاب. وعبدالله بن عمر، وحسان بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وكعب بن مالك، ومسلمة بن خالد، وأبو سعيد الخدري وغيرهم ممن كانوا عثمانيي النزعة، بالاضافة إلى أنهم كانوا أقلية مضطربي الأفكار لا يقدرون على إبرام أمر من الأمور. فآثروا الوقوف جانباً، ولم يباشروا حرباً وقد وصفهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقوله:

«أولئك قعدوا عن الحق ولم ينصروا الباطل».

لذلك نجده (عليه السلام) لم يتعرض لهم بسوء لأنهم لا يشكلون خطراً على الدولة الإسلامية .

وهناك فئة خامسة كانت تعمل في الخفاء لتحطيم الإسلام والقضاء عليه من الداخل قوامها اليهود الذين تظاهروا بالإسلام خوفاً على حياتهم أمثال كعب الأحبار ومن كان على شاكلته. .

وأيضاً: من أظهر الإسلام وأبطن الكفر والنفاق والكيد للإسلام خوفاً من السيف على حياته وأهله أمثال طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذه الفئة المؤلفة من اليهود والمنافقين الذين أظهروا الإسلام خوفاً ورهبة وأبطنوا الكفر والنفاق والكيد للإسلام وأهله كانت تنتظر الفرص للوثوب على الإسلام وأهله فإذا وجدت فرصة سانحة لضرب المسلمين فعلت . . .

وهذه الفئة أيضاً: كان لها موقف مؤيد للأمويين غايتها تمزيق شمل المسلمين وضرب الإسلام من أساسه.

ومن خلال هذه الجولة السريعة المختصرة، ومن مجموع ما تقدم نقول كما قال السيد الأمين في كتابه أعيان الشيعة:

يعلم بذلك حراجة موقف علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتشعب الأمور عليه، وأنه ساسها بحكمة، وسياسة رشيدة، لا يمكن لأحد يريد أن يجمع بين رضا الله، وسياسة الخلافة والإمرة أن يأتي بأحسن منها، وأوفق بالمصلحة، بل ولا بمثلها. . .

فالشورى كانت قد غرست في نفس طلحة والزبير وغيرهما، أنهما أهل للخلافة، وطمحت بذلك نفوسهما إلى مسامات علي ومباراته فيها.

والأحداث التي وقعت في زمن عثمان كانت أثرت في النفوس، والأخلاق، أثرها. . .

وحساد علي (عليه السلام) ومنافسوه. . . وأصحاب الثارات، والدماء التي أهرقها في سبيل توطيد الإسلام، لم يزالوا باقين. . .

وعدوه الألد معاوية بن أبي سفيان متمكن من الشام قد حكمها واستوطنها أعواماً عديدة، وعرف أخلاق أهلها، وعلم من أين تؤكل الكتف. . .

وقتل عثمان كان قد فتح باباً واسعاً لمن يريد الفتن والوصول إلى آمال ما كان يحلم بها، وكانت بسببه الآراء قد تشعبت، والقلوب قد تنافرت وصار الناس أحزاباً وفِرَقاً، وتمهدت السبل لكل ذي غاية وغرض.

ومع ذلك فقد ساس الإمام علي (عليه السلام) الأمة الإسلامية سياسة بهرت العقول ، واستعمل (عليه السلام) ، المداراة . . والشدة . . واللين . . كلاً في محله حيث لا يخل بشيء من طريقته ـ المثلى ومنهجه العادل ـ .

حال المسلمين حينما تسلم علي (عليه السلام) الخلافة

لا بد من وقفة تأمل في أحوال المسلمين ومشاعرهم بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وانتهاء حياته على الشكل الذي انتهت إليه. واختلاط الأمر في مدينة الرسول الأعظم حتى ساد الهرج والمرج بين المسلمين... وبعدما باعدت الأهواء والأغراض بينهم... وبعدما أصبح المسلمون فرقاً محلولة مبعثرة... وأصبحت الغايات تلعب في نفوس بعض الصحابة وخاصة القرشيين.. أمثال طلحة - والزبير - وسعد بن أبي وقاص، وأصبحوا بعد مقتل عثمان لا يتفق منهم اثنان على رأي... إلا على محاربة علي بن أبي طالب.

وبعد أن أخذ التذمر يأكل قلوب العامة من المسلمين على اختلاف ميولهم، وهم يرون الخاصة من حواشي الخلفاء واتباع السلاطين والحكام قد استأثروا بمقدرات الدولة، وسلبوا أفراد الشعب أموالهم، وحتى ارادتهم، وحرياتهم، وجميع الحقوق التي منحها لهم الإسلام وجعلها حقاً مشروعاً وساوى بين جميع المسلمين بالحقوق والواجبات إذ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وما قدم من خدمات صادقة لشعبه ودينه.

هبت رياح الفتنة تعصف بالمسلمين في الوقت الذي كانت أكثرية

الصحابة لا تزال بينهم وهي التي وعت الإسلام وجاهدت في سبيل ارساء قواعد الرسالة.

كانت هذه الأكثرية المؤمنة ترى المنحرفين عن جادة الحق قد اتحدوا مع المنافقين والمؤلفة قلوبهم يعملون جاهدين لإزاحة الخلافة عن صاحبها الشرعي علي بن أبي طالب الذي سيحملهم على الحق والمحجة البيضاء.

وفي هذه الغمرة من الهرج والمرج والفوضى التي اندفعت في حاضرة الإسلام ـ المدينة ـ والتي كان يروج لها المنافقون والمنحرفون ولا يمكن لأهل الدين والإيمان السكوت عن مثل هذا الحال...

في هذا الظرف العصيب ذرَّ قرن الفتنة واستيقظت أحقاد قريش بعد أن أخنى عليها الإسلام بانتصاراته الباهرة.. وأظهرت ما كان كامناً في نفوسها من أضغان على البيت الهاشمي خصوصاً علي بن أبي طالب قاتل أحبتها وواترها بأسيادها يوم بدر وغيرها في سبيل الإسلام.

هذه لمحة خاطفة عن حال الدولة الإسلامية وحال المسلمين.. حين ألقت الخلافة بزمامها إلى علي بن أبي طالب.

لقد كانت النفوس فيها تتقاسمها النوازع، والأهواء، والأغراض الشخصية لا يربط بين الطامعين غرض عام بل أصبح الرجل لا يهمه إلا ما يرفع من شأنه وشأن بيته وحده وما يؤمن له السيادة والسلطان.

لذلك نجدهم بعد مقتل عثمان قد اتحدت صفوفهم واصطفوا جميعهم جيشاً واحداً ليناجزوا الفرع الهاشمي العريق الذي تمثل في شخص علي بن أبي طالب. وراحت هذه الصفوف تعمل جاهدة مع ما كان بينها من اختلاف لبلوغ أهدافها من محاربته بأي وسيلة غير ملتفتة إلى ما يجر هذا النزاع من تمزيق شمل المسلمين وجعلهم شيعاً. همهم الوحيد ازاحة علي عن الخلافة والاستيلاء عليها ولو أدى ذلك إلى هدم الإسلام.

وبعد أن اتضح لنا مسلك هذه الفئات وما كانت تنطوي عليه نفوسها من الحقد والطمع والتي أضلها الجشع وأعماها الحسد. . نقول: ليس عجباً أن ينتظم كل من معاوية بن أبي سفيان الأموي. . والزبير بن العوام. . وطلحة بن عبيد الله التيمي. . وعمرو بن العاص. . وغيرهم من أعداء علي وحساده في عقد واحد متكتلين كلهم حرباً عليه، لعلهم يغلبوه بالكثرة، لأنهم يعلمون حق العلم ما لعلي من الفضل، والتقى، والورع، والعدل، والمحبة في نفوس المسلمين. . . وهم يعلمون أيضاً أنه لا تستطيع أي فئة مهما كانت أن تنافسه ، أو تحاربه وحدها . . .

وهذا ما يظهر لنا بجلاء ووضوح في تصرف الزبير وطلحة الذين نكثا بيعة الإمام علي (عليه السلام)، واعتسفا الأسباب للنكوص. . وللشغب عليه. . .

لقد وحّد بينهما حسدهما له فقاما في جيش لجب تقوده أم المؤمنين عائشة يحاولان من خلاله انتزاع الخلافة منه (عليه السلام).

في الوقت الذي ترك فيه حكم الخليفة عثمان تراثاً من العوسج الشائك، والسبل الملتوية التي يصعب على أي كان إزالتها بسهولة مهما علا شأنه وعظمت قدرته.

لكن علي بن أبي طالب لم يكن بالرجل العادي الذي يرهب الشدائد، أو يستصعب الأمور، أو تنقصه القدرة على الكفاح، إذ هو خريج مدرسة الرسول الأعظم، استقى منه الحكمة والشجاعة، وخاض غمار المعارك والحروب في سبيل الإسلام منذ نعومة إظفاره. . . أليس هو القاتل بسيفه صناديد المشركين؟؟. . .

لذلك نجده (عليه السلام) منذ اللحظة الأولى التي تسلم بها الخلافة، أخذ يبين للناس خطر المهمة التي تنتظره، لأنه لا يمكنه أن يسلك الطرق الملتوية كغيره. . بل سوف يسلك بهم الطريق الواضح ويحملهم على المحجة البيضاء.

كما وأوضح لهم (عليه السلام) أنـه سيساوي بينهم بـالحقوق والواجبات كما نصت عليه الشريعة الإسلامية لا تأخذه في الله لومة لائم.

لم يخف عنه (عليه السلام) أيضاً: شيء مما في نفوس الناس بل استشف الحقيقة وأبان لهم: أنه مقبل على أمر له وجوه وألوان لا تثبت عليه العقول، ولا تقوم له القلوب، يوشك أن يفتتن فيه الناس، ويتفرقوا شيعاً شتى، تتناحر فرقهم، ويضرب بعضهم بعضاً... الخ.

إن علياً (عليه السلام) كان يعلم يوم مد يده للبيعة ما هو مقبل عليه.. فأخذ يبين الأخطار التي تحدق بالمسلمين، وتفغر فاها لتأكل الأخضر واليابس، ولنستمع إليه يقول في بعض خطبه:

«ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم. إن من صرّحت له العبر عما بين يديه من المثلات، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات...

ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه.. والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة، ولتغربلن غربلة، ولتسلطن سوط القدر؛ حتى ليعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم.. وليسبقن سابقون كانوا قصروا.. وليقصرن سباقون كانوا سبقوا...

والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم.. الخ».

لكنه (عليه السلام) رأى أنه لزام عليه أن ينهض بالأمر، فليس يعفيه من التبعة أن يتـراجع أو ينكـل عما وكـل إليه وإن استشف النتائج...

كلفه بالحق لذات الحق هو الذي قسره في النهاية على قبول الولاية.. فلم يكن يعرف أحداً في الناس أصلح منه لقيادة شعبه، ولا أقـوى على حمل الأمـانة التي تضعهـا تبعات الحكم على كـواهل

الحكام. . . . ولا أعلم منه بمنافذ الطرق التي تؤدي به إلى العدالة الشاملة التي كانت الغاية من رسالة الإسلام. . .

وقد كان هذا الشعور دائماً مفتاح صراحته وشفافية نفسه ومركبه إلى غاياته بغير مداورة ولا التواء.

وقد سئل عن موقف عثمان فوصفه بكلمات قصار صريحة كانت أبلغ من شرح طويل حيث قال: أنا جامع لكم أمره لقد استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع.



خطبة أمير المؤمنين علي بعد توليه الخلافة

ذكر المؤرخون وأصحاب السير أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعد أن جاء الناس يهرعون إليه من كل مكان بعد مقتل عثمان، يتقدمهم صحابة رسول الله الأجلاء، وبعد الحاح جميع الفئات عليه بقولهم: لا بد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك. . .

وبعد أن كان (عليه السلام) معتزلاً بداره، ضربوا عليه بابه حتى أخرجوه إلى المسجد وهو مستكره، والتفوا عليه من كل جانب، يهتفون له، ويهيبون به أن يقبل بيعتهم. . . وبايعوه. كما أسلفنا صعد منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب بهم خطبته الأولى. . . فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير. . ودعوا الشر. . الفرائض أدوها إلى الله سبحانه، يؤدكم إلى الجنة. . .

إن الله حرم حُرماً غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين. . .

والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. . .

لا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب...

بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن ما من خلفكم الساعة تحدو بكم، فتخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بالناس أخراهم..

اتقوا الله عباده في عباده، وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه..

وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه...

﴿واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾[1].

فلما فرغ من خطبته قال المصريون[2]:

خذها إليك واحذرنّ أبا الحسن	أنا نمر الأمر أمرار الرسن
صولة آساد كآساد السفن	بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن	حتى يمرّن على غير عنن[3]

فقال علي مجيباً لهم:

إني عجزت عجزة لا أعتذر	سوف أكيس بعدها وأستمر
أرفع من ذيلي ما كنت أجر	واجمع الأمر الشتيت المنتشر
إن لم يشاغبني العجول المنتصر	أو يتركوني[4] والسلاح يبتدر

---

(١) سورة الأنفال ـ آية ـ ٢٦.

(٢) هكذا في رواية الطبري في تاريخه، وابن كثير في البداية والنهاية. وفي رواية الكامل في التاريخ لابن الأثير: قالت السبيئة ـ أي أصحاب عبدالله بن سبأ ـ.

ويقول السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة: إن صحت الرواية فالقائل واحد منهم ولا يمكن جميعهم فكأن الراوي ظن أنه يعبر عن رأيهم.

(٣) في الأصل: حتى يمرون: صححناه من الطبري والبداية والنهاية.

(٤) وفي رواية: أو تتركوني والسلاح يبتدر.

سياسة أمير المؤمنين علي في ادارة شؤ ن الخلافة

بكل وضوح رسم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) للأمة الإسلامية سياسته القائمة على العدالة الشاملة، والتي تسع جميع الناس سواء بسواء. ولا تضع حواجز من المزايا تفرق بين المسلمين أدنى تفريق.

هدم (عليه السلام) ما كان قائماً قبله من حواجز بين طبقات المسلمين مالية كانت هذه الحواجز أو اجتماعية كان لها الأثر الهدام على مر الزمن في بناء المجتمع الإسلامي.

كان (عليه السلام) صريحاً في أقواله وأفعاله... تلك الصراحة السافرة التي جعلته من البدء يعلن على الملأ من المسلمين حينما أرادوا بيعته، أنه سيركب بهم ما يعلم.. ولا يصغي إلى قول قائل: أو عتب عاتب.

لقد أتبع أقواله بأفعاله.. وسار سراعاً إلى الخطة التي آمن من قديم.. من عهد الرسول الأعظم.. أنها الأقوم.

لذلك نجده (عليه السلام) ما إن تولى مقاليد الخلافة، وأصبحت السلطة في يده حتى فاجأ المسلمين بإلغاء النظام القائم منذ نحو من عشرين سنة من عهد من سبقه.. ودرج الناس عليه حتى ألفوه..

واستساغه الكثير من المسلمين الذين مُيزوا بالعطاء.

لقد كان عمر بن الخطاب حين توليه مقاليد الحكم على ما يروى أمر بتقسيم الفيء وفق أقدار الناس وطبقاتهم.. وميز بعض المسلمين على بعض.. فقرب من قرب.. وأعطى من أعطى.. وولى من ولى.. غير ملتفت إلى قانون الشريعة الإسلامية التي تنص على المساواة بين أفراد المسلمين.. الكل في الشرع سواء.. وغاب عنه في ذلك الوقت قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1] وان طوائف الشعب المسلم بالحق سواء إذ لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بتقوى الله والعمل بطاعته.

وعلى هذا فإن الإمام علي (عليه السلام) حين تولى مقاليد الخلافة كما أسلفنا لم يداهن ولم تأخذه في الله لومة لائم، بل سلك مسلك الرسول الأعظم وطبق بالفعل قوانين شريعة السماء التي جاء بها محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم) فقام في المسجد ثاني أيام بيعته فقال:

«.. أيها الناس... إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم، وعلي ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم ـ محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم) ـ ومنفذ فيكم ما أمرت به...

ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان.. وكل مال أعطاه من مال الله.. فهو مردود في بيت المال.. فإن الحق لا يبطله شيء.. ولو وجدته قد تزوج به النساء، وملك الإماء، وفُرق في البلدان.. لرددته... فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق...

أيها الناس... ألا يقولن رجال منكم غداً... قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار.. وفجروا الأنهار.. وركبوا الخيل.. واتخذوا الوصائف... إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه.. وأصرتهم إلى

---

(١) سورة الحجرات ـ آية ـ ١٣.

حقوقهم التي يعلمون: «حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا...».

ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار.. من أصحاب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته... فإن الفضل غداً عند الله.. وثوابه وأجره على الله...

ألا وأيما رجل استجاب لله ولرسوله، فصدق ملتنا.. ودخل ديننا.. واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده...

فأنتم عباد الله.. والمال مال الله.. يُقسم بينكم بالسوية.. ولا فضل فيه لأحد على أحد.. وللمتقين عند الله أحسن الجزاء...

فإذا كان الغد فاغدوا علينا إن شاء الله، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء...».

في ذلك اليوم بادر (عليه السلام) إلى تنفيذ ما قاله ورسمه للناس في خطبه، فطبق القول بالفعل، وأصدر أمراً بمصادرة جميع ما أقطعه سلفه ـ عثمان بن عفان ـ لأهله وذويه، وصنائعه، وخاصته، وجميع بني أمية واتباعهم من أراض وأموال...

كذلك تتبع (عليه السلام) كل درهم أو أي شيء آخر بذل في غير وجهه، أو أعطي لغير مستحقيه على غير الوجه الشرعي، وليس به مصلحة للمسلمين... فأعاد جميع ما استطاع اعادته من الأموال إلى بيت المال...

جاءه الناس في الغد حسبما أمرهم، وغدوا عليه من كل حدب وصوب، لأخذ أعطياتهم ـ أي رواتبهم ـ.

وقف (عليه السلام) بين جموعهم كواحد منهم، وما زال قائماً معهم يوزع عليهم أنصبتهم.. حتى أخذ كل رجل من المسلمين حقه كاملاً غير منقوص من العطاء المقرر له.. لا فرق فيهم بين كبير وصغير.. ولا بين أصيل ودخيل.. ولا بين سوقة وخاصة. بل وقف

(عليه السلام) بينهم كأحدهم، واستووا كلهم لديه.. وإن اختلفوا في الجنس والمقام... أليسوا جميعاً من المسلمين؟ لقد جعلهم الله سبحانه في الشرع سواء...

لا يغير علي (عليه السلام) طريقته المثلى، وحبه للعدالة، وسيره على نهج النبي الأعظم ما أنكره عليه بعض المسلمين ـ إذ كان من الأجدر بهم أن يلقى منهم التأييد والثناء بدل المعارضة والعداء...

ولكن قريشاً وأتباعها كانوا فئة ألفوا أن يتميزوا على الناس وتكون لهم طبقة رفيعة تبز غيرها بالمزايا المادية.. والمعنوية...

وقد بلغ من شدة إخلاص هذه الفئة المغرورة لتقاليدها الجاهلية أنها نسيت أو تناست أنها قد اعتنقت الإسلام.. وقد أقر الإسلام لجميع المسلمين بالمساواة.. وساوى بينهم بقوانينه وتشريعاته وإن كان بينهم فوارق من اختلاف اللون واللسان...

لذلك لم ترض هذه الفئة على فعل علي (عليه السلام) الذي ارجعها إلى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... وكثر اللغط بين أفراد هذه الفئة المتنكبة عن جادة الحق، حتى أصبح جهاراً، وأظهروا عدم رضاهم وإنكارهم صراحة لتسويتهم بغيرهم بالعطاء، حيث قالوا: ليس العرب كقريش.. وليس العجم كالعرب.. وليس الدهماء المغمورون كالسادة الأمجاد ذوي الأنساب والأحساب... الخ.

ولما بلغه (عليه السلام) ذلك كان جوابه وهو لا يُخفي دهشته واستغرابه لما تطلبه منه بعض جماعة المسلمين من عدم جعلهم طبقة مميزة وانكارها عليه هذه السياسة الجديدة التي ينتهجها، غير مبال لعتب عاتب.. أو قول قائل.. ولأنه لم يأبه في حكمه لعراقة الأنساب أو مفاخر الأحساب.. ويكفيه أن ينهض اليوم على توطيد المبدأ الأسمى الذي بعث الله به رسوله، وجعله رسولاً إلى جميع الأجناس البشرية كافة، لا تفاوت بين طبقاتها، وأفرادها، رغم اختلاف الألوان بعد أن

رسم خطوطها القرآن . . . دين عماده المساواة في الحقوق والواجبات . . مجرد من الأهواء والآفات . . .

قال (عليه السلام) بعد كلام له: «فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون، وأعذروا من لا حجة لكم عليه... وهو أنا . . .

أأعمل فيكم بالثقل الأكبر[١] وأترك فيكم الثقل الأصغر[٢]..!

قد ركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي...».

وقال (عليه السلام) أيضاً: «أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه..؟! والله ما أطور به ما سمر سمير وما أم نجم في السماء نجماً..! لو كان المال لي لسويت بينهم... فكيف وإنما المال مال الله؟!...

ألا وأن إعطاء المال في غير حقه تبذير.. وإسراف.. وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة... الخ».

---

(١) الثقل الأكبر: معناه الكتاب ـ القرآن ـ .
(٢) الثقل الأصغر: يعني بهم ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) ـ اشارة إلى قول الرسول الأعظم: « إني مخلف فيكم الثقلين.. كتاب الله.. وعترتي أهل بيتي ـ ».



سياسة أمير المؤمنين علي الإدارية في اختيار عماله

ما إن استولى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على مقاليد الخلافة، حتى بادر إلى تنفيذ خطته المثلى بكافة أركانها... في السياسة... والاجتماع... والاقتصاد.

فاجأ(عليه السلام) المسلمين بسرعة البت في الأمور، وحسمها على النسق الذي يؤمن به، والطريقة التي يرتضيها.. ألا وهو النظام الذي كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي هو تشريع من الله سبحانه.. وسنة رسوله محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم). فهما نهج علي الواضح، والقبس الذي أنار أمامه الطريق إلى بلوغ الغاية من العدل والأنصاف.

بقدر ما استقبل عامة المسلمين عهد الإمام علي (عليه السلام) بالترحيب والارتياح.. فقد عبست له طبقة المتنفذين والحكام الذين كانوا يطلقون على أنفسهم لقب طبقة الأشراف...

لقد ساءهم من أمير المؤمنين علي من أن يبدأ بتقويض المزايا المادية... والمعنوية التي كسبوها في عهد أسلافه...

وساءهم أيضاً إنزالهم عن المكانة الاجتماعية العليا، وجعلهم مع سائر المسلمين سواء بسواء.

وكفى بهؤلاء حنقاً على أمير المؤمنين علي أن قد سوى بينهم.. هم السادة ذوي الأحساب... بالدهماء والأوشاب... ووضعهم وإياهم أمامه بمنزلة واحدة كما هم في حقيقة الأمر أمام الله.. الكل عيال الله.. لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.. إنه النظام المثالي العادل الذي كان عليه رسول الله...

استشف المسلمون بشائر تصرف علي وعدله الشامل الذي قام به وخاصة في اختياره ولاة الدولة الإسلامية ـ أي عماله وامراؤه على البلاد ـ واختلفت نظرات المسلمين بين إنكار من أهل الأطماع والغايات، وإكبار من أهل الدين والإيمان الصحيح.

كانت غاية علي (عليه السلام) انتقاء الصالحين من الأكفاء لتسلم الإمارات.. ليكون حكمهم في الرعية معتدلاً بحملهم الناس على تطبيق العدالة الإسلامية، ونواميس الشريعة المقدسة. وحتى لا يكون في البين ظالم ومظلوم، وسالب ومسلوب حقه...

اختار (عليه السلام) ثلة من الرجال المسلمين كانت تعرف في حينها بالنزاهة والعفة والتقى.. ادركت الرسول الأعظم، وأخذت من تعاليمه الشيء الكثير. فكانت هذه الثلة بنظره هي الصالحة لإدارة الإمارات وارشادها إلى الحق واتباع سنة سيد المرسلين محمد (عليه وآله الصلاة والسلام).

ذكر الطبري في تاريخه عن تفريق علي (عليه السلام) عماله على الأمصار بقوله:.

«لما دخلت سنة ٣٦ ـ للهجرة ـ بعث علي عماله على الأمصار.. فبعث عثمان بن حنيف على البصرة.. وعمارة بن شهاب على الكوفة، وكانت له هجرة. وبعث عبيد الله بن عباس على اليمن. وبعث قيس بن سعد على مصر. وبعث سهل بن حنيف على الشام.

فأما سهل بن حنيف.. فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك، لقيته خيل.

فقالوا له: من أنت؟

قال: أمير...

قالوا: على أي شيء؟

قال: على الشام...

قالوا: إن كان عثمان بعثك.. فحي هلا بك.. وإن كان بعثك غيره، فارجع...

قال: أو ما سمعتم بالذي كان..!؟

قالوا: بلى...

فرجع سهل بن حنيف إلى علي.

- وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة[1] لقيته خيل...

فقالوا له: من أنت؟

قال: من قالة عثمان[2] فأنا أطلب من آوي إليه وانتصر به.

قالوا: من أنت؟

قال: قيس بن سعد - بن عبادة -.

قالوا: امض...

فمضى حتى دخل مصر، فافترق أهل مصر فرقاً.. فرقة دخلت في الجماعة، وكانوا معه. وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربتا - وفي ابن الأثير. اعتزلت بخربتا - وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا

---

(١) أيلة بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، فخالفوا، فمسخوا قردة وخنازير وبها في يد اليهود عهد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقدم يوحنة بن رؤبة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أيلة وهو في تبوك فصالحه على الجزية وقرر على كل حالم بأرضه في السنة ديناراً فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار، واشترط عليهم قرى من مرّ بهم من المسلمين. وكتب لهم كتاباً أن يحفظوا ويمنعوا. وقال أبو المنذر: سُميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم (عليه السلام). راجع معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: أنه قال: من قتلة عثمان.

فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا.. وفرقة قالوا: نحن مع علي ما لم يقد إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة. وكتب قيس بن سعد بن عبادة إلى أمير المؤمنين بذلك.

وأما عثمان بن حنيف... فسار - إلى البصرة - فلم يرده أحد عن دخول البصرة، ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم، ولا استقلال بحرب، - وعبدالله بن عامر كان عامل عثمان عليها -.

وافترق الناس بالبصرة فاتبعت فرقة القوم... ودخلت فرقة في الجماعة وفرقة قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا.

وأما عمارة.. فأقبل حتى إذا كان بزبالة[1] لقيه طليحة بن خويلد الأسدي -.. وقد كان حين بلغه خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه، ويقول: لهفي على أمر لم يسبقني.. ولم أدركه...

فلما لقي طليحة عمارة قادماً على الكوفة - والياً من قبل علي - قال له:

.. ارجع... فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً... وإن أبيت ضربت عنقك...

فرجع عمارة إلى علي بالخبر[2] وكان عامل عثمان على الصلاة بالكوفة هو أبو موسى الأشعري.

---

(١) زبالة منزل معروف بطريق مكة من الكوفة. وقال ابن الكلبي: سميت زبالة باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العمالقة نزلتها. وفي زبالة يقول بعض الأعراب: كما في معجم البلدان لياقوت.

ألا هل إلى نجد وماء بقاعها ... سبيل، وأرواح بها عطرات
وهل لي إلى تلك المنازل عودة ... على مثل تلك الحال قبل مماتي
فأشرب من ماء الزلال وارتوي ... وارعى مع الغزلان في الفلوات
والصق احشائي برمل زبالة ... وآنس بالظلمان والظبيات

(٢) تاريخ الطبري: ج -٣- ص- ٤٦٢ - ٤٦٣.

هذا ما حدث لعمارة بن شهاب حين برزت له حفنة من الرجال بقيادة طليحة بن خويلد الأسدي يحملون السيوف ويأبون على عمارة دخول مقر إمارته بالكوفة عندما جاءها والياً من قِبَل علي (عليه السلام) .

ويرتفع صوت طليحة بالتهديد وكأنه فحيح أفعى سامة وينفرج فمه اللئيم مخاطباً عمارة: ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً . . وإن أبيت ضربت عنقك . . .

فيكظم عمارة غيظه واستياءه، وينطلق راجعاً إلى الحاضرة الإسلامية . . المدينة المنورة ليخبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بما جرى معه . . وهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً . . فليس يملك عتاداً . . ولا رجالاً يضرب بهم هؤلاء المتمردين العصاة الذين يقودهم عدو الإسلام والمسلمين طليحة الأسدي . . . ذلك المرتد الزنيم اللئيم الدعي الذي تمرد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وادعى النبوة وحارب الإسلام . . .

وبعد ذلك دخل طليحة في الإسلام مقهوراً وخوفاً من السيف بعد انتصار المسلمين وظهورهم على أهل الردة . . .

لم يزل طليحة يتربّص الفرص للكيد للإسلام والمسلمين . . وها هو الآن وقد جاءته الأنباء بقيام حزب الثأر لعثمان وانقسام المسلمين . .

رأى طليحة الفرصة سانحة والظروف مؤاتية لينفخ في رماد الفتنة لتفريق شمل المسلمين عساه يؤجج النار على وريث رسول الله علي . . .

وهذه الفتنة وما شابهها بغير شك هي بعض الثمار التي سارع أعداء الإسلام لجنيها . . . وذلك عندما سمعوا الصيحة المرَّة التي اطلقتها السيدة عائشة في وديان البلد الحرام . . .



المغيرة بن شعبة بين يدي أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

هيج المناوئون لعلي بن أبي طالب جميع أنصارهم للحيلولة دون استتباب الأمر له، ولم يلتفتوا إلى أنصارهم سواء أكانوا من المتظاهرين بالإسلام، والتقى والإيمان، أو كانوا من أهل الكفر والعصيان أمثال طليحة الأسدي، أو من الفسقة.. أمثال المغيرة بن شعبة، الزاني المشهور. أو كانوا من المؤلفة قلوبهم، أمثال.. الوليد بن عقبة.. وحتى معاوية حينما أظهر الإسلام أيام الرسول الأعظم إنما أظهرهِ هو وأبوه أبو سفيان بعد أن اندحر جمع المشركين ولم يعد أمامهم إلا إظهار الإسلام أو القتل.

لذلك نرى أنه كل من أطلع على تاريخ المسلمين أو كان له بعض الإلمام فيه يجد أنه لا أحد ممن عادى الإمام علي يبتغي من عدائه له نصرة الإسلام أو الصالح العام للمسلمين بل كانوا جميعهم يسيرون في عدائهم له في صفين.. يقود أحدهما الحسد لعلي والحقد له.. أمثال الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله... وتقود الصف الآخر ضمائر مدخولة مشحونة بالكيد والعداء للإسلام والمسلمين.. حفنة من الواجدين على دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

أولئك الذين قُهروا على الخضوع للإسلام، واضطرهم الخوف

على الدخول فيه أمثال طليحة الأسدي وغيره كما أسلفنا .

لذلك نرى حساد علي المملوءة قلوبهم بغضاً وكراهية يسارعون إلى بث العراقيل في سبيله حين توليه الخلافة وخاصة عندما بادر (عليه السلام) إلى تنفيذ خططه المثلى التي هي صورة عن خطط رسول الله. نفذها علي بكافة نواحيها.. السياسية.. والاجتماعية.. والاقتصادية.. والادارية.. وسارع إلى انتقائه الولاة الإداريين القادرين على تنفيذ الأحكام وتصريف الأمور بين كافة طبقات الشعب بحزم وروية...

فمن تصميم علي (عليه السلام) وحزمه على تنفيذ خطته المثلى كما أسلفنا لا يمكنه أن يساير، أو يداهن، أو يراهن في دينه.. وهو المأمون عليه.. والحافظ له.. والمدافع عنه. إذ هو وصي رسول الله وخازن علمه... لا يمكنه والحالة هذه أن يستمع لرجل داهية مثل المغيرة بن شعبة.. ويسمع رأيه في تثبيت الولاة أو عزلهم عندما أتاه وجلس بين يديه يبدو كالمشير المخلص بعد أن ارتدى ثياب الناصح الأمين.. في حين لا تكون المشورة، أو النصيحة من أمثاله إلا إغراءً مستتراً على ارتكاب الأخطاء.

ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب: أن ابن عباس قال:

«قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال، فجئت علياً أدخل عليه فقيل لي: عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة، فسلم علي وقال: متى قدمت؟

قلت: الساعة..

ودخلت على علي، وسلمت عليه، فقال:

أين لقيت الزبير.. وطلحة؟

قلت: بالنواصف..

قال: ومن معهما؟..

قلت: أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فتية من قريش..

فقال علي: أما أنهم لم يكن لهم بد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان.. والله يعلم أنهم قتلة عثمان..!

فقلت: أخبرني عن شأن المغيرة.. ولم خلا بك؟

قال: جاءني بعد مقتل عثمان بيومين، فقال: اخلني - كن معي في خلوة - ففعلت، فقال:

إن النصح رخيص، وأنت بقية الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك أن لا ترد عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأن أمرك، عزلت من أحببت، وأقررت من أحببت.

فقلت له: والله لا أداهن في ديني، ولا أعطي الرياء في أمري..

قال: فإن كنت قد أبيت، فانزع من شئت واترك معاوية، فإن له جراءة.. وهو في أهل الشام مسموع منه ولك حجة في اثباته فقد كان عمر بن الخطاب ولاه الشام كلها.

فقلت له: لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً.

فخرج - المغيرة - من عندي على ما أشار به، ثم عاد.. فقال: إني أشرت عليك بما أشرت به وأبيت علي، فنظرت في الأمر، وإذا أنت مصيب لا ينبغي أن تأخذ أمرك بخدعة، ولا يكون فيه دلسة[1].

قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما أول ما أشار به - المغيرة - عليك فقد نصحك، وأما الآخر فقد غشك...

وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية فإن بايع لك، فعلي أن أقلعه من منزله..

قال: - علي - لا... والله لا أعطيه إلا السيف، ثم تمثل:

---

(١) وفي رواية: دنسة.

فمـا ميتة إن متهـا غيـر عـاجـز بعار، إذا ما غالت النفس غولها

قال ابن عباس ـ لعلي ـ : أما والله لئن أطعتني لأصدرت بهم بعد ورود، ولأتركنهم ينظرون في أدبار الأمور، ولا يدرون ما كان وجهها، من غير نقص لك ولا إثم عليك.

فقال علي: يا ابن عباس.. لست من هنياتك.. ولا هنيات معاوية في شيء تشير به علي برأي.. فإذا عصيتك فأطعني..

فقلت: أنا أفعل.. فإن أيسر ما لك عنـدي الطاعـة يا أميـر المؤمنين، والله ولي التوفيق»[1].

وفي تاريخ اليعقوبي قوله: روى بعضهم: أن المغيرة بن شعبة، قال له ـ لعلي ـ يا أمير المؤمنين، انفذ طلحة إلى اليمن، والزبير إلى البحرين، واكتب بعهد معاوية على الشام، فإذا استقامت الأمور، فشأنك وما تريده فيهم.

فأجابه علي في ذلك بجواب.

فقال المغيرة: والله ما نصحت له قبلها، ولا أنصح له بعدها[2].

---

(١) مروج الذهب: للمسعودي ـ ج ـ ٢ ـ ص ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ـ ٢ ـ ص ـ ١٦٩.

نظرة حول موقف المغيرة بن شعبة

أقول: إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان على معرفة تامة بأحوال المغيرة ودجله وأحوال الأمويين ونواياهم الخبيثة.

ويعرف أيضاً: من أن هؤلاء أهل دنيا، لا أهل دين وإيمان. وأنه إذا أقرهم عليه السلام على أعمالهم لاستغلال سكوتهم حتى تستتب له الأمور.. فيعزل من يعزل.. ويبقي من يبقي على حد اشارة المغيرة بن شعبة ورأيه.. واستصواب ابن عباس هذا الرأي... وهذا يبدو لأول وهلة.. هو الرأي الصائب والصحيح..

لكن الذي ينظر بتعقل في عواقب الأمور يجد العكس مجسماً وماثلاً أمام عينيه.. إذ أن بني أمية هم من أساسهم كانوا ولم يزالوا يعملون جاهدين لمحاربة الهاشميين وبغضهم لهم جار في عروقهم والتاريخ يشهد بعدواة البيت الأموي للبيت الهاشمي.. وأما دخول الأمويين في الإسلام لم يكن إلا خوفاً من السيف وطمعاً بالدنيا كما أسلفنا.

في الوقت الذي لم يكن يمنع بني أمية من الغدر إذا سنحت لهم الفرص وتمكنوا من ايذاء علي.. فكيف يطمئن (عليه السلام) لهؤلاء الذين أعمى الجشع عيونهم.. والغدر سرى في عروقهم !؟

واشارة المغيرة على أمير المؤمنين علي بإقرار ولاة عثمان على أعمالهم، وإقرار معاوية بالخصوص على إمارة الشام، لم يكن إلاّ لمصلحة المغيرة نفسه لِأنّه كغيره من الوصوليين. وأيضاً لمصلحة معاوية بالخصوص. لأنه إذا أقر أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان على ولاية الشام.. فمعناه رضي به وظهر للناس عامة أن معاوية هو ذلك الرجل الذي ترضى به الخلفاء لادارة شؤون الدولة وسياسة الشعب..

ويكون معاوية أيضاً: قد اتخذ من هذا الاقرار سبيلاً لتقوية أموره وتثبيت ولايته.

وحينما يستتب لمعاوية الأمر في الشام ينتقض على أمير المؤمنين علي ويعلن العصيان ويطالبه بدم عثمان، ويحمله المسؤولية.. ويحاربه إذ لا أمان لمعاوية ابن آكلة الأكباد ـ واتباعه أهل الغدر والنفاق.. كما كان منه ومن عمرو بن العاص بعد ذلك من الغدر يوم صفين وتحكيم الحكمين كما سيأتي.

على أن المغيرة لم يكن لينصح علياً في اشارته بإقرار ولاة عثمان على عملهم كما روى ذلك العيقوبي في تاريخه عن المغيرة قوله: والله ما نصحت له قبلها.. ولا أنصح له بعدها..

بالاضافة إلى ما ذكرنا: كيف يمكن لعلي (عليه السلام) أن يفعل غير ما ينطوي عليه قلبه وما درج عليه من سجايا العدل.. والصدق.. والانصاف..

وهل من مثل علي وهو أول الناس إسلاماً.. وأقومهم إيماناً.. واحفظهم على الإسلام وأعرفهم بدين الله، وهو وصي رسول الله وخازن علمه وخليفته من بعده.. أن يداهن لأجل الملك والسلطان حتى تستتب له الأمور كما يفعل أهل الدنيا من أهل التجبر والأطماع..

وهل لعلي العابد لله تعالى الزاهد في الدنيا مطمع في الخلافة أو السلطان إذا لم يقم حقاً أو يدحض باطلاً وهو القائل لابن عباس عند

دخوله عليه بذي قار وهو يخصف نعله.. فقال علي لابن عباس: ما قيمة هذا النعل ؟

أجابه عبدالله بن عباس: لا قيمة له.

فقال علي: والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.

على أنه من المسلم به بأن النهج الواضح الذي اختطه علي (عليه السلام) لنفسه لم يكن بحاجة إلى رأي مشير، أو إدخال تعديل عليه من هنا أو هناك. فما كان أمير المؤمنين علي يتصرف في أعماله، أو يصدر أحكامه إلا عن دستور قويم واحد لا يمكن أن يتناوله التحريف أو التعديل ـ ألا وهو الدستور الإلهي الذي نزل به القرآن الكريم من لدن عزيز حكيم، على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين.

لقد كانت غاية أمير المؤمنين علي اصلاح المجتمع الإنساني كله وذلك بإصلاح الأخلاق، فقد بعث رسول الله محمد ليتم مكارم الأخلاق.

فمن غير المعقول والحالة هذه أن يبقي علي أو يقر أولئك الولاة الذين هم أصل الانحراف، وأصل الداء الذي أخذ ينخر في جسم الدولة الإسلامية التي أشرفت على الانهيار الروحي والاجتماعي في أيام سلفه عثمان بن عفان والطغمة الحاكمة التي كانت تسوس الناس تارة بالترغيب بالدنيا وزخرفها وتارة بالارهاب.

وأما ما كان من ابن عباس في استصواب رأي المغيرة في اقرار عمال عثمان على أعمالهم وقوله لعلي: عن المغيرة: بالأمس نصحك.. واليوم غشك.. فعلى تقدير صحة الرواية فابن عباس لم يكن بالرجل المعصوم عن الخطأ... وأين علمه من علم ابن عمه علي..؟! وهو المروي عنه قوله: حينما سئل عن مدى علمه من علم ابن عمه علي، فأجاب ما معناه: ما علمي من علم علي إلا كنقطة في البحر المحيط...!



موقف طلحة والزبير بعد بيعتهما لعلي (عليه السلام)

بعد أن تمت البيعة لعلي (عليه السلام) وألقت الخلافة الإسلامية مقاليد الحكم له، أخذ الندم والحسرة يغليان بمراجل الحقد والحسد الكامنين في قلبي طلحة والزبير، لما فاز به علي من ثقة المسلمين به واجماع المسلمين على بيعته التي اثلجت قلوب المؤمنين الصالحين حيث صار الحق إلى أهله . . .

لكن الشيخين طلحة والزبير مهما جاهدا في إبعاد الحسرة والألم وإزالتهما عن نفسيهما . . ومهما حاولا التأسي على بيعتهما لعلي التي كانت في عنقيهما . . فقد عملا على اخراج نفسيهما من تلك البيعة بشتى الوسائل . . . إذ أخذا ينتحلان الأعذار عن بيعتهما له . حيث كانا دائماً حينما يسئلان من قبل عامة الناس :

ألم تبايعا علياً بدون إكراه . . ؟! إذ أن علياً لم يكره أحداً على بيعته . .

فيكون الجواب من كليهما واحد:

إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا من غضب الناس . . ثم يردفان قولهما: لقد عرفنا أنه لم يكن ليبايعنا.

وتظهر الحسرة من كلامهما لضآلة الأثر الذي سيكون لهما في ظل

فيقول طلحة والحسد يأكل قلبه: «ما لنا في هذا الأمر إلا كحسة أنف الكلب».

ثم تنطق نفساهما بالغيرة على المكانة التي بلغها الإمام علي بسجاياه . . وميزاته من قلب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وبز بها على كافة قادة المسلمين فيقولان لمن سألهما : بايعنا مكرهين .

في ذلك الحين سمع طلحة والزبير من القادمين من مكة عن صيحة السيدة عائشة التي أطلقتها في أنحاء البلد الحرام ضد علي بن أبي طالب. واشعال الفتنة. . . واضرام نار الحرب عليه، بحجة المطالبة بدم عثمان.

لقد ارهفا السمع لصيحة عائشة التي تحمل في طواياها الانتقام من علي فاتقدت في قلبيهما جذوة النقمة عليه ومضيا معاً يهدفان علانية وخفية للنيل منه ليتصيدوا له الهنات. . ولكنهما لم يفلحا لأن عليا رجل كامل معصوم من الزلات لا يصانع، ولا يداهن بل يعمل بما يرضي الله ورسوله ولا تأخذه في الله لومة لائم.

أخذ كل واحد من طلحة والزبير ينتهز الفرصة لإظهار معارضته للإمام علي التي ستكون خطوطها الأولى مقدمة إلى العصيان واعلان التمرد عليه. وما نراهما كانا مدفوعين بدوافع صادقة مخلصة للإسلام أو الحفاظ على المسلمين. بل كانا ينطقان عن الهوى في كره علي والحقد والغيرة منه حيث لم يتمكنا من كبت هذه النوازع أو السكوت عليها. فانطلقا إليه بعد البيعة قائلين له بغير خجل أو حياء، يكشفان عن طويتهما الخبيثة بوضوح وجلاء: ودار بينهما الحديث التالي كما جاء في كتاب تاريخ الخلفاء ـ أو الإمامة والسياسة لابن قتيبة حيث قال:

«ذكروا أن الزبير وطلحة، أتيا علياً بعد فراغ البيعة، فقالا له: هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين؟

قال علي: نعم.. على السمع والطاعة، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر.. وعمر.. وعثمان.

فقالا: لا... ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر...

قال علي: لا.. ولكنكما شريكان في القول، والاستقامة، والعون على العجز، والأولاد.

وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق، وطلحة في اليمن..

فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما شيئاً، أظهرا الشكاة..

فتكلم الزبير في ملأ من قريش، فقال:

هذا جزاؤنا من علي، قمنا في أمر عثمان، حتى اثبتنا عليه الذنب، وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته ـ لم يشاركنا في شيء من ذلك ـ فلما تولى أمر الخلافة ـ جعل دوننا غيرنا...

فقال طلحة: ما للوم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا، وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا.

فانتهى قولهما إلى علي.. فدعا عبدالله بن عباس، وكان علي استوزره فقال له: بلغك قول هذين الرجلين؟

قال: ـ ابن عباس ـ بلغني قولهما.

قال: ـ علي (عليه السلام) ـ فما ترى؟

قال: ـ ابن عباس ـ أرى أنهما أحبا الولاية.. فولِّ البصرة الزبير.. وولِّ طلحة الكوفة، فإنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان.

فضحك علي، ثم قال: ويحك، إن العراقيين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان...

ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية، لكان لي فيهما رأي.

ويقول ابن قتيبة أيضاً: ثم أتى طلحة والزبير إلى علي، فقالا: يا أمير المؤمنين، إئذن لنا إلى العمرة، فإن تقم إلى انقضائها رجعنا إليك، وإن تسر نتبعك...

فنظر إليهما علي، وقال: نعم، والله ما العمرة تريدان!.. وإنما تريدان أن تمضيا إلى شأنكما... فمضيا»[1].

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج - ١ - ص - ٥١.

نكث طلحة والزبير بيعة علي أمير المؤمنين

روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : أنّه لمّا بويع علي (عليه السلام) ، كتب إلى معاوية :

أما بعد، فإن الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة مني، وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع، فإذا أتاك كتابي، فبايع لي.. واوفد إلي أشراف أهل الشام قبلك.

فلما قدم رسول ـ أمير المؤمنين علي ـ على معاوية، وقرأ كتابه، بعث رجلاً من بني عميس، وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام، وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم..

لعبدالله الزبير أمير المؤمنين.. من معاوية بن أبي سفيان:

سلام عليك، أما بعد..

فإني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا.. واستوسقوا[1] كما يستوسق الجلب[2]. فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي

(١) استوسقوا: استجمعوا وانضموا.

(٢) كما يستوسق الجلب: أي كما يستوق جلب الغنم ـ أي استجمعوا.

طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين. .

وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فاظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، اظفركما الله. . . وخذل مناوئكما.

فلما وصل هذا الكتاب ـ كتاب معاوية ـ إلى الزبير بن العوام، سُرَّ به. . واعلم به طلحة بن عبيد الله، وأقرأه إياه. . .

فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية. واجمعا عند ذلك على خلاف علي (عليه السلام).

ويتابع ابن أبي الحديد روايته كما في شرح النهج:

جاء الزبير، وطلحة إلى علي (عليه السلام) بعد البيعة بأيام، فقالا له:

يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت رأي عثمان كان في بني أمية، وقد ولاك الله الخلافة من بعده، فولنا بعض أعمالك. .

فقال لهما علي: أرضيا بقسم الله لكما، حتى أرى رأيي، واعلما أني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي. . ومن قد عرفت دخيلته.

فانصرفا عنه وقد دخلهما اليأس.

ويتابع صاحب شرح النهج روايته فيقول:

دخل الزبير وطلحة على علي (عليه السلام)، فاستأذناه في العمرة. . .

فقال (عليه السلام): ما العمرة تريدان. !. .

فحلفا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة. . .

فقال لهما (عليه السلام): ما العمرة تريدان. . . وإنما تريدان

الغدرة، ونكث البيعة...

فحلفا بالله ما الخلاف عليه،.. ولا نكث بيعة يريدان.. وما رأيهما غير العمرة..

فقال لهما (عليه السلام): فاعيدا البيعة لي ثانية...

فأعاداها بأشد ما يكون من الإيمان والمواثيق... فأذن لهما.

فلما خرجا من عنده، قال لمن كان حاضراً:

والله لا ترونهما إلا في فتنة يقتتلان فيها.

فقالوا: يا أمير المؤمنين.. فمر بردهما عليك؟..

قال (عليه السلام): ليقضي الله أمراً كان مفعولاً...

ولما خرج الزبير وطلحة من المدينة إلى مكة.. لم يلقيا أحداً إلا وقالا له: ليس لعلي في أعناقنا بيعة، وإنما بايعناه مكرهين.

فبلغ علياً (عليه السلام) قولهما، فقال:

« أبعدهما الله وأغرب دارهما[1] أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم،.. والله ما العمرة يريدان..

ولقد أتياني بوجهين فاجرين.. ورجعا بوجهي غادرين ناكثين..

والله لا يلقيانني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء[2] يقتلان فيها أنفسهما... فبعداً لهما وسحقاً..!»[3].

هذا ما كان من أمر طلحة والزبير ونكثهما البيعة لعلي (عليه السلام) التي كانت في عنقيهما.. فبالإضافة إلى طمعهما في الولاية، وحطام

---

(١) يقال: أغرب داره: أبعدها.

(٢) كتيبة خشناء: أي كثيرة السلاح ـ خشنته.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ـ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

الدنيا الذي جرهما إلى الهلاك، وخسران الدنيا والآخرة كان كتاب معاوية بن أبي سفيان الذي ورد عليهما يمنيهما فيه بالسلطان وخلافة المسلمين.. ذلك الكتاب الذي أغشى منهما السمع والبصر، فأصبحا لا يريان إلا الامارة مغنماً...

انطلت عليهما حيلة معاوية الغادر الماكر، فاستخفهما الطرب لسماع كلمة أمير المؤمنين للزبير... وأعماهما الطمع وحب السلطان، فلم يعد يلتفت أحدهما إلى عواقب الأمور... من سخط الله... ونكث بيعة علي... تلك البيعة التي أوجبها الله عليهما.

نعم... انطلت عليهما حيلة معاوية وجرهما بغدره ومكره إلى الفتنة العمياء فلم يحسبا للأمر حسابه. ولم يلتفتا أيضاً إلى ما سيؤدي فعلهما من اقتتال بين المسلمين واشعال حرب شعواء تجر عليهما الوبال وتكون عاقبتهما خسراً..!

عوامل شخصية.. إذن.. حملت طلحة والزبير على مخالفة علي (عليه السلام)، واظهار العداء له.

مشاعر ذات ألوان.. من حسد وحقد عليه في نفس طلحة والزبير، مع انسياق أمام تيار نفسي بغير روية جعلت هذين الصاحبين يحاولان هدم خلافة علي (عليه السلام) لغير غاية شريفة، ولا مصلحة للمسلمين.. فسارا في طريق محفوفة بالأغراض والمطامع.. ورانت الأهواء على بصيرتهما فلم يميزا بعد هذا بين الخطأ والصواب.

أطاع طلحة والزبير هواهما فسلكا طريقاً معوجاً وذهبا يعارضان الإمام أمير المؤمنين علي في كل عمل يقوم به. وانساقا مع الضغائن الكامنة في صدريهما إلى تحريض الناس عليه مع علمهما أنه لم يأت (عليه السلام) ببدعة أو منكر وإنما سار على نفس النظام الذي سنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باذلاً جهده في نصرة الإسلام ومصلحة المسلمين.

ومع كل ذلك فقد أغضى (عليه السلام) كريماً عن اجتراءاتهم وأذاهم وكان يكتفي بأن يقابل كل من أذاه أو انقلب عليه بحجته الدامغة، ومنطقه القاطع.

وقد أشار (عليه السلام) إلى ذلك كله من كلام له في شأن طلحة والزبير:

«والله ما أنكروا علي منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً!.. وأنهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه، فإن كنت شريكهم فيه!.. فإن لهم نصيبهم منه!.. وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قبلهم.

وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم!.. وإن معي لبصيرتي، ما لبست.. ولا لُبِّسَ علي[1].

وانها للفئة الباغية.. فيها الحمأ والحمة[2] والشبهة المغدفة[3]..

وان الأمر لواضح.. وقد زاح الباطل عن نصابه.. وانقطع لسانه عن شغبه.

وأيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه[4] لا يصدرون عنه بري.. ولا يعبون[5] بعده في حسى»[6].

---

(١) لبس عليه الأمر: خلطه وجعله: مشتبهاً بغيره خافياً. أي والله العالم ما اختفى عليه شيء من الأمور.

(٢) الحمأ: الطين الأسود، قال سبحانه تعالى: ﴿من صلصال من حمأ مسنون﴾ سورة الحجر ـ آية ٢٦ والحمة: حمة العقرب سمها والمراد أن في هذه الفئة الباغية، الضلال، والفساد، والضرر. وإذا أرادت العرب أن تعبر عن الضلال والفساد قالت: الحمء، مثله الحمأة.

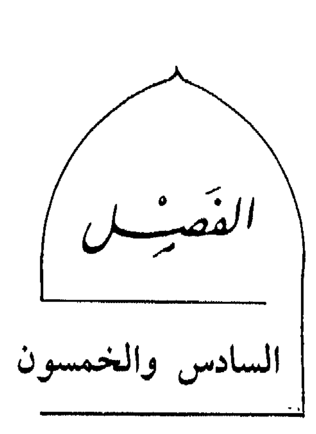
(٣) الشبهة المغدفة: أي الخفية ـ أغدف الليل: أظلم.

(٤) الماتح: بنقطتين من فوق، وبالياء: مالىء الدلاء.

(٥) يعبون: العب: الشرب بلا مص، كما تشرب الدابة.

(٦) الحسى: ماء كامن في رمل، يحفر عنه فيستخرج، وجمعه احساء. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ٩ ـ ص ـ ٣٤ ـ ٣٥.




الفَصْل
السادس والخمسون

موقف أم المؤمنين عائشة من خلافة علي بن أبي طالب

بوادر التدهور تتجمع في أفق الدولة الإسلامية كما تتجمع الغيوم الدكناء علامة على هبوب العاصفة الهوجاء.

إنها نذر الانحلال الخلقي بين الكثير من المسلمين. . . ولما يكد يغب عن عيون الناس طيف الرسول الأعظم صاحب الرسالة المقدسة. . .

ها هي الدنيا بزخرفها. . تتمايل أمام عشاقها. . وحزب الشيطان يوشك على الانتصار. . .

ها هي المادة ترفع ألويتها البراقة على انقاض الروح والإيمان. . وما جف بعد المداد الذي سطر به الإمام علي (عليه السلام) من تعاليم الإسلام وتشريعاته بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من دستور عظيم عن الباري عز وجل. . هذا الدستور الذي انتشل به النبي الأكرم العرب كافة من حمأة الضلال، وجعلهم أمة محترمة، مهابة الجانب، يحسب لها ألف حساب.

لكن أهواء أنفس قريش التي ألهبتها سياط الأطماع، راحت تطغى على صفاء القلوب، فأصبح علي (عليه السلام). . وهو النبع الصافي. .

فريسة لبغضاء قديمة، مجنونة، وضحية اختارتها شياطين الحقد والحسد.. وأهل الدنيا. فقاموا يناصبونه العداء بكل صوره وأشكاله...

عاد ثانية إلى الحياة ذلك الصراع الخفي الذي طوته الأعوام.. وبرز من الماضي بما فيه من مرارة ذلك التناحر القديم، والعداء الذي كان بين قريش والنبي عندما جاء برسالة السماء يدعوها إلى الإيمان بالله...

عادت قريش تناصب علياً العداء، وتضمر له الغدر كما وقفت فيما سبق بوجه ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

لم يكن خافياً على علي ما تنطوي عليه ضمائر حساده ومناوئيه.. بل كان يعرف ذلك حق المعرفة، لذلك نسمعه يقول لأخيه عقيل حينما جاء يخبره عن تجهيز عائشة واتباعها جيشاً لحربه:

«دع عنك قريشاً وتركاضهم في الظلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه... فإنهم قد أجمعوا على حربي.. كإجماعهم على حرب رسول الله قبلي...

جزت قريشاً عني الجوازي!.. لقد جهلوا حقي، وجحدوا فضلي، وقطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن عمي... وجدوا في اطفاء نور الله...».

لقد تنادت عائشة مع أتباعها بدعوة ظالمة.. وأغروا باتباعهم كل مفتون بحب الدنيا، وشطروا وحدة الدولة الإسلامية، وأعلنوا التمرد والعصيان، والحرب على الإمام علي الذي هو بالحقيقة صاحب الحق الشرعي بالخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

تنادوا بدعوة ظالمة.. وساروا في الطريق المعوج.. والسبل الملتوية، معصوبي الأعين تقودهم أم المؤمنين عائشة.

تناست عائشة قول الله عز وجل: **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن**

تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾[1] ومضت إلى ميدان السياسة ولم يقف نشاطها في دعوتها للتخذيل على عثمان حيث أخذت تعمل على قتله وهدم سلطانه.. ونأت بجانبها عنه نفوراً وموجدة.. بل راح لسانها ينال منه بقولها: اقتلوا نعثلاً.. الخ.

ولقد هداها فكرها إلى نوع من التأليب أشد أثراً وأبلغ نفوذاً إلى النفوس والأذهان، فسارعت إلى قميص لرسول الله فنشرته في بيتها الذي هو بجوار المسجد النبوي الشريف ليراه الناس وهي تقول: هذا قميص رسول الله لم يبل.. وقد أبلى عثمان سنته.

كانت السيدة عائشة ذات نفوذ قوي ساعدها على ذلك بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنها زوجة صاحب الرسالة محمد... وابنة أبي بكر..

وبذكائها وفطنتها اغتنمت هذين الأمرين فأبرزت شخصيتها وخصوصاً في مطلع خلافة أمير المؤمنين علي الذي تكن له الكره والحسد.

كانت السيدة عائشة منذ زواجها من رسول الله محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم).. إلى آخر أيامه.. وحتى وفاته تلك المرأة المناهضة لسياسة علي.. المعارضة له بكل ما تستطيع من المعارضة، وكانت ناصبة له العداوة والبغضاء..

حوافز نفسية كثيرة حملت عائشة على الامعان في كره علي والحسد له، ودفعتها للسير أشواطاً بعيدة في طريق المعارضة له، حتى أصبحت تستعين على ذلك بالعدو والصديق.. والقريب والبعيد.

وقفت بالمرصاد له باذلة كل ما في وسعها لضرب سياسته، ولازاحته عن الخلافة مهما أمكنها ذلك ولو أدى الأمر إلى زعزعة

---

(١) سورة الأحزاب ـ آية ـ ٣٣.

الإسلام، وتمزيق شمل المسلمين.

حوافز نفسية كثيرة كان لها الأثر الكبير في حياتها حملتها على السير في الطريق المعوج، وسدت أمامها جميع المسالك. حتى أخذت تتصرف بعاطفة مكبوتة وحزازة نفسية منها:

أولاً: ـ أنه كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفضل علياً (عليه السلام) على جميع أهله وذويه، ويحبه حباً يفوق الوصف حتى اتخذه خليلاً.. ونجياً، وجعله عن أمر الله تعالى من بعده خليفة ووصياً... ثم زوجه من بعد هذا ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) فأصبح صهره...

أصبح علي بن أبي طالب بعد زواجه من الزهراء الوالد لسلالة الرسول الأعظم والأب للأئمة الأطهار. وقد ذهب بهذا الزواج بشرف المصاهرة للرسول الأكرم والأبوة لأبناء الرسول الميامين ـ الحسن والحسين ـ على مدى الدهر.

ثانياً: ـ أن علياً كان زوج فاطمة الزهراء ابنة خديجة الكبرى أم المؤمنين المسلمة الأولى الوفية لمحمد الرسول الأعظم.

كانت عائشة تنظر إلى الزهراء فاطمة زوجة علي فترى فيها شخص أمها خديجة، تلك الضرة التي استأثرت بحب النبي وتقديره العميق لها.

وقد كانت عائشة لا تُخفي غيرتها العمياء من خديجة وتردد دائماً قولها: ما غرت من امرأة قط كغيرتي من خديجة ولم أرها. وفي رواية: وهي تحت الثرى.

لقد بقيت خديجة تشارك عائشة عواطف الزوج وحنانه، وهي بين الأموات، وتحت الثرى، ولكن طيفها بقي ماثلاً أمام عيني الرسول، ولسانه الشريف يلهج بذكرها، لم يسأم من الثناء عليها حتى تأججت نار الغيرة في قلب السيدة عائشة حتى قالت للنبي ذات مرة: لقد عوضك

الله من كبيرة السن...

فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كلامها غضباً عظيماً حتى أسقطت من جلدها.

علاوة على أن النبي كان يكثر من ذكر خديجة ومديحها ـ كما تقول عائشة ـ وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة. فتقول له عائشة: كأنه لم يكن في الدنيا إلا خديجة...؟!

فيجيبها النبي (صلوات الله عليه وآله وسلم): أنها كانت، وكان لي منها ولد...

فتزداد نار الغيرة في قلبها وهي تسمع النبي يردد في كل حين: كان لي منها ولد... وهذه ابنة خديجة فاطمة الزهراء تلد الحسن والحسين ابني رسول الله... وعائشة تتجرع مرارة العقم وحرمان الأمومة فتزداد نار الغيرة في قلب عائشة على فاطمة فتنقلب بغضاً وكراهية لفاطمة وزوجها علي...

ثالثاً: كانت عائشة تنظر إلى علي بن أبي طالب على أنه المنافس الوحيد لأبيها أبي بكر.. مع علمها أن علياً صاحب الحق الشرعي في الخلافة ورغم أنه ابتز أبوها أبو بكر هذا الحق منه بعد وفاة النبي بقيت على عدائها ومناهضتها له.

وكانت عائشة تنظر إلى فاطمة وهي تناصر علياً لارجاع الحق إليه ومطالبتها بتطبيق وصايا الرسول بخلافة علي على المسلمين وكذلك مطالبتها بارثها من أبيها ونحلتها... الخ فتزداد من ذلك بعداً من فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب.

رابعاً: ـ أن عائشة كانت تستشعر الكراهية الصادرة عن أبيها أبي بكر وصاحبه عمر بن الخطاب لعلي بن أبي طالب.. حيث كان علي استأثر بحب النبي العظيم وتقديره له، وتفضيله عليهما، والتنويه باسمه

بأنه الخليفة من بعده... وترى أباها وصاحبه عمر أيضاً: يعملان دائماً للحيلولة دون وصول علي إلى مركز الخلافة لذلك اقتفت عائشة أثر خطاهما... وما في الآباء يرثه الأبناء...

خامساً: ـ أن عائشة إنما ألبت على عثمان وحرضت على قتله لأنها كانت قد رشحت ابن عمها التيمي طلحة بن عبيد الله لتولي الخلافة بعد عثمان. لكنها لما فشل مسعاها وقتل عثمان وبايع المسلمون علي بن أبي طالب بالخلافة.. أظهرت ما في نفسها وانقلبت على أعقابها..

وصاحت: .. قتل عثمان مظلوماً...

كل هذه الأمور وغيرها الكثير مما يضيق عنه المجال كانت تعتلج في نفس عائشة بنت أبي بكر.. حتى جعلتها تؤلب الناس على علي وتركب عنادها غير ملتفتة إلى ما سيؤول فعلها على المسلمين من ويلات وإراقة دماء....

حملها كرهها لعلي وفاطمة على الذهاب على رأس جيش لجب لحرب خليفة رسول الله علي مخالفة لكلام الله تعالى ﴿**وقرن في بيوتكن..**﴾ هاتكة ستراً وحجاباً ضربه عليها رسول الله لعلها بشنها الحرب على علي تخفف من موجدتها عليه.

خروج أم المؤمنين عائشة من المدينة إلى مكة

اشتد الحصار على عثمان، وعلم أن عائشة أم المؤمنين تتأهب للمسير إلى مكة فبعث إليها زيد بن ثابت ومروان بن الحكم يحاولان أن يحملاها على البقاء في المدينة لعلها تخفف من حدة هيجان الثوار. . .

أقبل زيد ومروان على عائشة وأعلماها بسبب مجيئهما إليها، هتفت بزيد بن ثابت، بلهجة ساخرة، مبطنة بالاستنكار. . .

ـ ما منعك يا ابن ثابت وقد أقطعك عثمان. . وأعطاك من بيت المال عشرة آلاف دينار. . ! الخ.

ثم التفتت إلى مروان بن الحكم فصاحت به.

يا ابن الحكم. . أعلي تمثل الأشعار؟. . قد والله سمعت ما قلت. . أتراني في شك من صاحبك؟!. .

والذي نفسي بيده لوددت أنه الآن في غرارة من غرائري مخيط عليه. . فألقيه في البحر.

ثم رحلت السيدة عائشة عن المدينة كما رحل غيرها، وسار بها الركب حتى شارف الصلصل[1] فلقيها هناك عبدالله بن عباس وهو يشق

(١) الصلصل: وصلصل بنواحي المدينة على سبعة أميال منها نزل بها رسول الله (صلى الله =

طريقه إلى البلد الحرام مكة المكرمة . .

تقدم ابن عباس لتحية أم المؤمنين عائشة والسلام عليها، فقالت له بعد أن ردت عليه التحية: توغر صدره على الخليفة الذي تركته بين أيدي الثائرين . . وتدعوه كسابق عهدها مع غيره من علية القوم للتأليب على عثمان . .

قالت له: يا ابن عباس . . . أنشدك الله . . . فإنك قد أعطيت لساناً أزعيلاً[1] . . أن تخذل عن هذا الرجل ـ أي عثمان ـ وأن تشكك فيه الناس. فقد بانت لهم بصائرهم، وأنهجت، ورفعت لهم المنار . . . وتحلبوا من البلدان لأمر قد جم . . . وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح . . . فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر . . .

فأجابها ابن عباس على الأثر:

يا أمة . . . لو حدث بالرجل ـ أي بعثمان ـ حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا ـ أي علي ـ ! . .

فقالت له بعد أن أحست بمرارة الخيبة: إيها عنك! . . أني لست أريد مكابرتك . . ولا مجادلتك . . وتابعت طريقها، إلى مكة.

يقول المؤرخون أن السيدة عائشة كانت في مكة تترقب ما تتكشف عنه الثورة في المدينة، وتتوقع النهاية السريعة للمعركة الدائرة فيها.

أقول: يظهر لنا من كل ما أسلفنا أن خروج عائشـ [illegible] ـدينة في وقت اشتداد الحصار على عثمان كان أشبه بإعلان الحرب عليه، والقضاء على سلطانه.

= عليه وآله وسلم) يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح. معجم البلدان لياقوت الحموي.

(١) لساناً أزعيلا: الأزعيل: النشيط.

لذلك لم تستجب لدعوة من دعاها للتريث وأن تبقى في المدينة لتهدئة الأمور.

ولنا أيضاً: من حديثها مع ابن عباس.. أنها كانت لا ترى غير طلحة أولى بالخلافة لأنه مرشحها الوحيد لقرابتـه منها شاهد على أنها لها اليد الطولى في تأليب الناس على الخليفة عثمان والقضاء عليه.

روى الطبري في تاريخه: أنه قدم على أم المؤمنين مكة رجل يقال له: الأخضر....

فقالت عائشة: ما صنع الناس؟

فقال: قتل عثمان المصريين!

فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون... أيقتل قوماً جـاؤوا يطلبون الحق.. وينكرون الظلم..! والله لا نرضى بهذا.

ثم قدم آخر..

فقالت عائشة: ما صنع الناس؟

قال: قتل المصريون عثمان..

قالت: العجب لأخضر.. زعم أن المقتول هو القاتل، فكان بضرب المثل ـ أكذب من أخضر[1] ـ

وروى العسكري عن البلاذري[2] لما بلغ أم المؤمنين عائشة وهي بمكة أمرت بقبتها فضربت في المسجد الحرام، وقالت: إني أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر.

ويقول العسكري أيضاً: وقد روي عن طرق مختلفة[3] أن عائشة

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٥ ـ ص ـ ١٩٦.

(٢) راجع كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري: ص ـ ١٦٧ ـ والأنساب للبلاذري: ج ـ ٥ ـ ص ـ ٩١: وكنز العمال: ج ـ ٣ ـ ص ـ ١٦١ ـ الخلافة والامارة.

(٣) كالمدائني في كتابه الجمل ـ وأبو مخنف لوط بن يحيى على رواية ابن أبي الحديد في شرح النهج.

لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت: أبعده الله.. ذلك بما قدمت يداه.. وما الله بظلام للعبيد.

وكانت تقول أيضاً: أبعده الله، قتله ذنبه، وأقاده الله بعمله، يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه..

أن أحق الناس بهذا الأمر ذو الأصبع... ـ يعني طلحة ـ

ثم أقبلت مسرعة إلى المدينة وهي لا تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر.

وكانت تقول: بعداً لنعثل وسحقاً.. إيه ذا الإصبع.. إيه أبا شبل.. إيه ابن عم.. لله أبوك أما أنهم وجدوا طلحة لها كفؤاً.. لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع.. حثوا الإبل.. ودعدعوها.. ـ أي حركوها ـ.

عائشة في طريقها إلى المدينة ثم عودتها إلى مكة

جاء في الكامل في التاريخ لابن الأثير: أن أم المؤمنين عائشة كانت خرجت إلى مكة، وعثمان محصور. ثم خرجت من مكة، تريد المدينة.

فلما كانت بسرف[1] لقيها رجل من أخوالها، من بني ليث، يقال له.. عبيد بن أبي سلمة ـ وهو ابن أم كلاب ـ.

فقالت له ـ عائشة ـ: مهيم؟..

قال ـ عبيد: ـ قتل عثمان.. وبقوا ثمانيا..

قالت ـ عائشة ـ: ثم صنعوا ماذا؟

قال ـ عبيد ـ: اجتمعوا على بيعة علي..

فقالت ـ عائشة ـ: ليت هذه ـ السماء ـ انطبقت على هذه ـ الأرض ـ إن تم الأمر لصاحبك... ردوني... ردوني.

فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتل والله عثمان مظلوماً.. والله لأطلبن بدمه...

(١) سرف: هو موضع على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة وتسعة واثني عشر، تزوج به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ميمونة بنت الحارث، وهناك بنى بها، وهناك توفيت.

فقال لها ـ عبيد بن أبي سلمة ـ : ولِمَ ؟ . . . !

والله إنّ أول من أمال حرفه لأنت. . . ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر. . .

قالت ـ عائشة ـ : إنهم استتابوه، ثم قتلوه. . وقد قلت. . وقالوا. . . وقولي الأخير خير من قولي الأول. . .

فقال لها ـ ابن أم كلاب ـ وهو عبيد ـ :

فمنك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا أنه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله ... وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ... ولم ينكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تدرإ[1] ... يزيل الشَّبا ويقيم الصَّعر[2]
ويلبس للحرب أتوابها ... وما من وفى مثل من قد غدر

عادت عائشة إلى مكة فقصدت الحجر، فسترت فيه، فاجتمع الناس حولها، فقالت:

أيها الناس، إن الغوغاء، من أهل الأمصار. . . وأهل المياه. . . وعبيد أهل المدينة، اجتمعوا على هذا الرجل ـ عثمان ـ المقتول ظلماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أمثالهم قبله. ومواضع من الحمى حماها لهم. . فتابعهم ونزع لهم عنها.

فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً. . بادروا بالعدوان. . فسفكوا الدم الحرام. . واستحلوا البلد الحرام. . والشهر الحرام. . وأخذوا المال الحرام.

---

(١) التدرأ: المدافع ذو العزة والمنعة. المنجد في اللغة.

(٢) شبا: علا ـ ويقيم الصَّغر: الراضي بالذل والضيم. ولعل المراد من قوله: يزيل الشبا ويقيم الصغر: هو أن علياً سوف يرفع من شأن المظلومين الذين أصابهم الذل والضيم، ويحط من شأن المتعالين المتكبرين.

والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم.

ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه، أو الثوب من درنه إذ ماصوه.. كما يماص الثوب الماء ـ أي يغسل ـ.

فقال عبدالله بن عامر الحضرمي، وكان عامل عثمان على مكة: ها أنا أول طالب... فكان أول مجيب وتبعه بنو أمية على ذلك، وكانوا هربوا من المدينة بعد قتل عثمان إلى مكة، ورفعوا رؤوسهم.

وكان أول ما تكلموا بالحجاز، وتبعهم سيعد بن العاص... والوليد بن عقبة.. وسائر بني أمية[1].

أقول: كانت السيدة عائشة من حين وصولها إلى منزل رسول الله زوجة ـ وأصبحت أم المؤمنين ـ تضمر الحقد والبغضاء لفاطمة الزهراء ابنة ضرتها خديجة التي كانت تغار منها غيرة عمياء وإن لم ترها كما أسلفنا.

وسرى هذا الحقد وتلك الكراهية إلى زوج فاطمة ـ أمير المؤمنين علي ـ وعلى مر الأيام أخذ الكره يتفاعل بقلب أم المؤمنين وخصوصاً عندما كانت تشاهد النبي (صلوات الله عليه وآله وسلم) يؤثره على جميع أهله وصحبه...

وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن غير علي الذي وقف يطالب بحقه الشرعي بالخلافة بعد أن سلبه إياها أبو بكر والد عائشة بمعونة صاحبيه عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح.

ومن البديهي أن تنصاع عائشة لعاطفتها ـ وهي صاحبة الأهواء المتقلبة، التي لا تستقيم على حال من الأحوال السياسية كما سنورد

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ٣ـ ص ـ ١٠٦.

ذلك ـ بأن تنضم إلى الجماعة المناوئة لعلي برآسة أبيها المتآمرة لسلب الخلافة منه. . وقد نسيت. . أو تناست كل أحاديث الرسول الواردة في حق ـ علي وفاطمة ـ وتناست أيضاً: النص الذي أعلنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الملأ يوم غدير خم بأن علياً خليفة وولياً للمؤمنين إلى غير ذلك من الحوادث التي لا مجال لذكرها الآن ونقول كما قال القائل:

حفظت أربعين ألف حديث ومن الذكر آية تنساها

ولا يسعنا إلا القول: أنه غير خفي على كل من تتبع الأحداث بعد وفاة الرسول الأعظم بشرط أن يكون المتتبع منصفاً ومتجرداً من شوائب الأهواء، والأغراض والعصبية يجد أن السيدة عائشة قد استغلت ذكاءها، ومركزها الاجتماعي من كونها زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنة أبي بكر الذي استولى على الخلافة وأخذت من هذين سلاحين ماضيين لتشنها حرباً شعواء على أمير المؤمنين علي. علها بذلك تخفف من وطأة ما يعتلج في صدرها من الحقد عليه.

إن السيدة عائشة كانت على جانب من المقدرة السياسية. وخبرة بما يؤثر في نفوس الناس. . وبمقدرتها. . ونفوذ شخصيتها المرموقة استطاعت أن تؤلب الجماهير على الخليفة عثمان وتزعزع من كيانه. . وأن تحارب خليفتين في زمن واحد.

ألبت الناس على عثمان. . وحرضتهم عليه حتى أدى الأمر بها، إلى أن أفتت بقتله، وإراقة دمه وتحطيم هيبة الخلافة. . .

ويأخذنا العجب ونحن نقف أمام شخصية السيدة عائشة، الغريبة الأطوار. . المتقلبة نجد أنها بسرعة مذهلة انقلبت فجأة من محرضة على عثمان، مفتية بقتله إلى المطالبة بدمه والأخذ بالثأر. . . وذلك عندما وجدت أن خطتها التي دبرتها، من ازاحة عثمان عن الخلافة، وتأمير ابن عمها طلحة قد باءت بالفشل. . .

علمت عائشة بفشل مسعاها من تأمير طلحة. . . وتأكدت من

رجوع المسلمين إلى علي بن أبي طالب.. صاحت صيحة البسوس... وقالت: قُتل عثمان مظلوماً... وذهبت تستنهض الهمم للأخذ بالثأر.

استطاعت السيدة عائشة أن تبرأ قتلة عثمان.. وهي على رأسهم.. بأن تجعل القاتل مطالباً بدم القتيل!؟ والآخذ بثأره، وهي عالمة حق العلم من هم قتلة عثمان.. والمحرضون عليه...

واستطاعت أيضاً: أن تتهم الإمام علي بالتحريض على قتل عثمان وهي تعلم أن علياً كان من أنصح الناس لعثمان.. وأكثرهم دفاعاً عنه يوم حوصر في داره...

واستطاعت عائشة أيضاً: أن تؤلب الناس على الإمام علي وتدعوهم للثورة عليه.. مستنهضة الهمم تشحذ العزائم سائرة على رأس جيش لحربه، مع أنه لم يكن خافياً عليها ولا على أحد من المسلمين ما لعلي من الفضل والجهاد في تركيز دعائم الإسلام ومواقفه المشهورة في قتل المشركين لإرساء قواعد الدين.

وخلاصة القول: استطاعت السيدة عائشة بتدبيرها وذكائها، ونفوذ شخصيتها، أن تجمع تحت لوائها بين الأضداد، ومضت في سبيلها تستعدي على علي بن أبي طالب غريمها القديم كل من توسمت فيهم الاستجابة لدعوتها من أعداء علي وخصومه الذين وترهم يوم بدر، وأحد، والأحزاب وهو بين يدي الرسول يجاهد الكفار ويدافع عن المسلمين، ويناضل عن فكرة الإسلام.

وما كان أكثر من جمعتها وإياهم وحدة الفكر، واتساق الشعور حيث لبوا النداء، وجاؤوا يدينون لها بالولاء، كرهاً لعلي وحسداً له. ووقفوا لحربه (عليه السلام) صفاً واحداً بعد أن كانت بينهم عداوات وحزازات.

لكن أقول: كان الأجدر بالسيدة عائشة أن لا تزج نفسها في حرب نهاها عنه رسول الله بل تبقى مع أمهات المؤمنين في البيت الذي خلفها فيه.



عائشة في مكة.. واستنفارها الناس لحرب علي

في مكة المكرمة.. وفي دار السيدة عائشة بالذات.. تلك الدار التي كانت في ذلك الوقت ندوة لأهل الفتنة.. ومأوى لأهل الأطماع المتآمرين على علي وخلافته.

جمعتهم دار السيدة عائشة.. وغلقت أبوابها عليهم، أعواناً.. وأولياء، بعد أن كانوا بالأمس القريب خصوماً وأعداء!..

ولكن ماذا أقول: إنها شرعة المطامع.. والأهواء.. والأغراض، التي تستذل النفوس، حتى لتعرضها في السوق سلعة رخيصة، تجاه منصب أو مال، أو الأخذ بثأر...

جمعتهم دار السيدة عائشة في مكة، وما منهم من رجل إلا استبق مأربه إلى هذا الاجتماع، وكاد أن يصل إليه قلبه قبل جسمه...

إن من هؤلاء المجتمعين من خدعته مظاهر الأمور، فلم يرسل عينيه لتكشف الحقائق الراسية في الأعماق...

ومنهم ـ من أضله هواه، فسار كالمفتون، أشبه شيء بطائر استهوته حية رقطاء فزحف إليى وكرها وهو مبصر، وليس بيقظان...

ومنهم ـ من علم وقدَّر.. ثم آثر أن يمضي قدماً في ضلاله يدوس

على أشلاء ضميره، ويصم أذنيه عن أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الواردة في حق علي (عليه السلام)...

لوحت لهم الدنيا فتبعوها بدون روية أو تبصر.. وما كانت لتقودهم إلى صواب.. أو لتهديهم إلى الحق.. بل أضلتهم عن سواء السبيل.. وذهبت بهم إلى مهاوي الهلاك.

غلقت دار السيدة عائشة أبوابها على أصحاب الأهواء، والأغراض وأعداء علي كما أسلفنا، لنلقي نظرة على هؤلاء الذين جاؤوا ليشدوا أزر عائشة الثائرة على علي بن أبي طالب يقدمون لها الولاء...

منهم ـ طلحة بن عبيد الله التيمي الذي تملكت نفسه حب الدنيا والسيطرة.. وأعمى بصيرته حب الولاية، والإمرة.. فانضم إلى عائشة بدافع الرغبة في الحكم التي بقيت في قلبه أعواماً طويلة وكرهه وحسده للإمام علي..

ومنهم ـ الزبير بن العوام الذي لا يختلف عن طلحة في هواه.. ومسعاه لنيل الامارة. فانساق إلى عائشة وانضم إلى اتباعها بدافع حسده للإمام علي المعروف عنه منذ عهد الشباب. وأيضاً: بدافع الإغراء الذي زينه له ابنه عبدالله..

ومنهم ـ مروان بن الحكم ـ طريد رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ كذلك بقية بني أمية الموتورين.. الحاقدين على الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي قتل بسيفه أشياخهم يوم بدر. وحال الأمويين معروف منذ عهد الرسول الأعظم.

فأعجب بها من زمرة اجتمعت في دار السيدة عائشة على حرب أمير المؤمنين علي!..

حزب من تيم تترأسه السيدة عائشة، ويؤازرها طلحة ابن عم أبي بكر.. كذلك أختها أسماء بنت أبي بكر جاءت تشد أزرها مع زوجها

الزبير بن العوام وابنه عبدالله ربيب عائشة...

قد ربطت بين الجميع غاية مشتركة... ثم قرنتهم الموجدة على الإمام علي بن أبي طالب والحقد والحسد له في سلك واحد لأنه من بيت يطولهم إن ذكرت مفاخر الأبطال وأمجاد الإسلام.

جمعهم كره علي وألف بين قلوبهم فاشتدوا على منازعته.. أنه نازعهم ذات يوم السيادة ـ الخلافة ـ التي كانت له حقاً مشروعاً بوصية النبي... وابتزها منه، شيخهم الأول أبو بكر.. ثم لعبت بطلحة شهوة الحكم حتى رأى نفسه أهلاً للامارة والخلافة، خاصة بعدما رشحه الخليفة عمر بن الخطاب وجعله أحد الستة أصحاب الشورى.

كذلك الزبير بن العوام.. أخذه الغرور، وجنح به إلى الهاوية ولولا ترشيح الخليفة لطلحة والزبير من جعلهما من أقطاب الشورى، وقرنهما بعلي.. لما طمعا بالخلافة، وطمحت أنفسهما إليها...

وأما عائشة فقد جنحت لوحي قلبها المليء بالغيرة على غريمها القديم علي الذي كرهته منذ عهد رسول الله وزواجه بفاطمة بنت محمد (صلوات الله عليه وآله وسلم) وإيثاره له.

وأما عبدالله بن الزبير الفتى الغرير، فقد مال مع خالته عائشة التي رعته كابنها بعد أن حرمت الولد. ولقنته كره علي منذ طفولته.. وبعدها هفت نفسه إلى الحكم إذ رأى أنه حفيد أبي بكر وربيب عائشة. وأبوه الزبير ابن صفية بنت عبد المطلب. وقد كان عبدالله سيء الخلق مغروراً يستحث أباه ويستنهضه على المطالبة بالخلافة، وعدم الرضوخ للإمام علي، حتى استجاب الزبير لإغراء ولده ولدعوته إياه إلى محاربة إمام الحق من أجل السيطرة على السلطان.

وقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله... فلهاه عنا.

اجتمع في دار السيدة عائشة بمكة المكرمة أعداء علي بن أبي طالب وأخصامه للتداول والتشاور فيما بينهم في كيفية الانتفاضة عليه، والخروج لحربه. فبدت لهم الشام ملاذاً أميناً، وبؤرة تنتشر منها جيوشهم الغازية لتغطي بقية الأمصار وتقضي على حكم الإمام علي.

قدوم طلحة والزبير على عائشة بمكة

يقول ابن الأثير في تاريخه: قدم طلحة والزبير من المدينة فلقيا عائشة، فقالت: ما وراءكما؟

فقالا: إنا تحملنا هراباً من المدينة من غوغاء، وأعراب، وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً، ولا ينكرون باطلاً، ولا يمنعون أنفسهم[1].

وفي شرح النهج: أنه كتب طلحة والزبير إلى عائشة كتاباً وهي بمكة.. أن خذّلي الناس عن بيعة علي، واظهري الطلب بدم عثمان...

وحملا الكتاب مع ابن اختها ـ عبدالله بن الزبير ـ فلما قرأت الكتاب، كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان[2].

وروى الطبري في تاريخه عن الزهري قال: ثم ظهرا يعني طلحة والزبير، إلى مكة، بعد قتل عثمان (رض) بأربعة أشهر.. وابن عامر بها يجر الدنيا..

وقدم أيضاً: يعلى بن أمية معه بمال كثير وزيادة على اربعمائة

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ٣ـ ص ١٠٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن الحديد: ج ـ٦ـ ص ٢١٦.

بعير. فاجتمعوا في بيت عائشة (رض) فأرادوا الرأي. . .

فقالوا: نسير إلى علي. . . فنقاتله . . .

فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة. . . ولكننا نسير حتى ندخل البصرة، والكوفة. ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة[1] .

والآن لنرجع قليلاً إلى الماضي. . ونتصور أننا في مكة المكرمة وفي بيت السيدة عائشة وقد غلقت هذه الدار أبوابها على نفر متفاوتي الأعمار. . متبايني المكانة. . .

فكانت دار عائشة ندوة ومقراً لأهل الفتنة، ومأوى لأهل الأطماع والأغراض، المتآمرين على علي وخلافته. . وأخذ الجميع يتداولون الرأي بالكيفية التي سيحاربون بها الإمام علي حيث جمعهم بيت عائشة الكره لابن أبي طالب والحسد له، والحقد عليه. . بعد أن كانوا بالأمس القريب أخصاماً متباعدين، وأعداء متنافرين أمثال. . مروان بن الحكم الأموي. . والزبير بن العوام الصحابي. . وهكذا. . .

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمام والسياسة، الحوار الذي دار بين المجتمعين في بيت أم المؤمنين ـ عائشة ـ قبل أن يستقر رأيهم على المسير إلى البصرة: «أنه لما اجتمع طلحة والزبير، وذووهما مع عائشة، وأجمعوا على المسير من مكة، أتاهم عبدالله بن عامر، فدعاهم إلى البصرة، ووعدهم الرجال والأموال. . .

فقال سعيد بن العاص لطلحة والزبير:

إن عبدالله بن عامر يدعوكما إلى البصرة. . ! وقد فرَّ من أهلها فرار العبد الآبق! وهم في طاعة عثمان. . . ويريد أن يقاتل بهم علياً. . .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج ـ٣ـ ص ٤٧١.

وهم في طاعة علي؟!.. وخرج من عندهم أميراً.. ويعود إليهم طريداً..! وقد وعدكم الرجال والأموال... فأما الأموال فعنده... وأما الرجال فلا رجل...

فقال مروان بن الحكم: أيها الشيخان ـ يعني طلحة والزبير ـ ما يمنعكما أن تدعوا الناس إلى بيعة مثل بيعة علي؟..

فإنْ أجابوكما.. عارضتما ببيعة كبيعته.. وإنْ لم يجيبوكما عرفتما ما لكما في أنفس الناس..

فقال طلحة: يمنعنا أن الناس بايعوا علياً بيعة عامة... فبم ننقضها؟!..

وقال الزبير: ويمنعنا أيضاً من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان.. وخفتنا إلى بيعة علي..

فقال الوليد بن عقبة: إن كنتما أسأتما.. فقد أحسنتما.. وإن كنتما أخطأتما فقد أصبتما.. وأنتما اليوم خير منكما أمس[1]..

فقال مروان بن الحكم: أما أنا فهواي الشام.. وهواكما البصرة.. وأنا معكم، وإن كانت الهلكة.

فقال سعيد بن العاص: أما أنا فراجع إلى منزلي..

فلما استقام أمرهم واجتمعت كلمتهم على المسير، قال طلحة للزبير:

---

(١) قول الوليد بن عقبة لطلحة والزبير: أنتما اليوم خير منكما أمس. أقول أن الوليد متى دخل الإيمان قلبه، ومتى نصح للإسلام والمسلمين؟! ولولا الوليد الذي جعل من مسجد الكوفة يوم كان أميراً عليها من قبل عثمان ـ مسرحاً للمشعوذين والمستهترين، وشرب الخمر غير مبال بحرمة الإسلام وشريعته. ولولا الوليد وأمثاله من عمال عثمان لما ثار الناس عليه وقتلوه. ولكن الوليد الفاسق الفاجر لا يريد إلا التأليب على علي (عليه السلام) وحربه بأي وسيلة لأن سياط الإمام علي لم تزل آثارها باقية على جسمه يوم أقام عليه الحد بحضور عثمان كما أسلفنا.

إنه ليس شيء أنفع ولا أبلغ في استمالة أهواء الناس من أن نشخص لعبدالله بن عمر.

فأتياه.. فقالا له: يا أبا عبد الرحمن.. إن أمنا عائشة خفَّت لهذا الأمر، رجاء الإصلاح بين الناس، فاشخص معنا، فإن لك بها أسوة، فإن بايعنا الناس... فأنت أحق بها...

فقال ابن عمر: أيها الشيخان ـ طلحة والزبير ـ أتريدا أن تخرجاني من بيتي... ثم تلقياني بين مخالب ابن أبي طالب؟!

ـ ثم قال لهما ابن عمر: ـ إن الناس إنما يخدعون بالدينار والدرهم، وأني قد تركت هذا الأمر عياناً في عافية أنا لها.. فانصرفا.

فانصرفا عنه.

وقدم يعلي بن منية[1] من اليمن عليهم، وكان عاملاً لعثمان ـ فيها ـ. فأخرج اربعمائة بعير، ودعا إلى الحملان.

فقال له الزبير: دعنا من أبلك هذه، وأقرضنا من هذا المال...

فأقرض الزبير ستين ألفاً، وأقرض طلحة أربعين ألفاً، ثم سار القوم.

فقال الزبير: الشام بها الرجال والأموال.. وعليها معاوية، وهو ابن عم الرجل ـ أي عثمان ـ، ومتى نجتمع يولنا عليه..

وقال عبدالله بن عامر: البصرة.. فإن غلبتم علياً فلكم الشام، وإن غلبكم علي.. كان معاوية لكم جنة ـ أي ملجأ ـ وهذه كتب أهل البصرة إلي.

فقال يعلي بن منية، وكان داهياً: أيها الشيخان.. قدرا قبل أن ترحلا.. أن معاوية قد سبقكم إلى الشام، وفيها الجماعة. وأنتم تقدمون

(١) وفي رواية: يعلى بن أمية ـ وفي رواية: يعلى بن منية.

عليه غداً في فرقة... وهو ابن عم عثمان دونكم،.. أرأيتم آن دفعكم عن الشام.. أو قال: اجعلها شورى.. ما أنتم صانعون؟..

أتقاتلونه.. أم تجعلونها شورى.. فتخرجا منها؟..

وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلاً في يديه أمر قد سبقكما إليه، وتريدا أن تخرجاه منه..!

فقال القوم: فإلى أين؟..

قال ـ يعلي بن منبه ـ: إلى البصرة.

فقال الزبير لعبدالله بن عامر[1]: من رجال البصرة؟..

قال ـ عبد الله بن عامر ـ: ثلاثة ... كلهم سيد مطاع.

كعب بن سور في اليمن... والمنذر بن ربيعة في ربيعة... والأحنف بن قيس في مضر...

(١) هو عبدالله بن عامر، ابن خال عثمان، وكان والياً على البصرة، وقد عزله عنها أهلها في خلافة عثمان لسوء معاملته.



كتب طلحة والزبير إلى رؤساء أهل البصرة

فكتب طلحة والزبير إلى كعب بن سور:

أمـا بعـد. . .

فإنك قاضي عمر بن الخطاب، وشيخ أهل البصرة. . وسيد أهل اليمن . . . وقـد كنت غضبت لعثـمان من الأذى . . فـأغضب لـه من القتل . . . والسلام .

وكتب ـ طلحة والزبير أيضاً ـ إلى الأحنف بن قيس:

أمـا بعـد. . .

فإنك وافد عمر. . . وسيد مضر. . . وحليم أهل العراق. . . وقد بلغك مصاب عثمان. . . ونحن قادمون عليك. . . والعيان أشفى لك من الخبر. . . والسلام.

وكتب ـ طلحة والزبير أيضاً: ـ إلى المنذر بن ربيعة:

أمـا بعـد. . .

فإن أباك كان رئيساً في الجاهلية. . . وسيداً في الإسلام. . . وإنك من أبيك بمنزلة المصلى[1] من السابق، يقال: وقد قتل عثمان من أنت

(١) المصلى: الذي في أثر السابق، وإنما سمي مصلياً لأنه مع صلوة السابق، وهما عرقان=

خير منه... وغضب له من هو خير منك... والسلام.

فلما وصلت كتبهما ـ طلحة والزبير ـ إلى القوم من سادة أهل البصرة... قام زيد بن مضر.. والنعمان بن شوال.. وغزوان، فقالوا:

ما لنا ولهذا الحي من قريش؟!..

أيريدون أن يخرجونا من الإسلام.. بعد أن دخلنا فيه؟!..

ويدخلونا في الشرك.. بعدما خرجنا منه؟..

قتلوا عثمان... وبايعوا علياً... لهم ما لهم... وعليهم ما عليهم[1]...

أقول: ماذا كان جواب القوم عندما وصلت كتب طلحة والزبير إلى رجال البصرة الثلاثة، الذين كلهم سيد مطاع في قومه.. طالبين منهم المؤازرة، مستنهضين هممهم لحرب علي بن أبي طالب (عليه السلام).

دعواهم المطالبة بدم عثمان بن عفان... والثأر من قاتليه...

لم تغن كتبهم شيئاً في استعطاف القوم واستنهاضهم، مع أننا نلمح في كتب طلحة والزبير ما يثير النخوة... والتملق... حتى بمفاخر الجاهلية القديمة وأمجادها، كما جاء في كتابهما المبعوث إلى ابن ربيعة «... إن أباك كان رئيساً في الجاهلية...».

أهابوا بهذه الأمجاد، التي تقدس الثأر، ظناً منهم أنه حقيق بسادة كرام مثلهم تلبية النداء. لعلمهم أنهم مطاعون في قومهم، ولسوف تكون هذه الفئة من رؤساء أهل البصرة لهم عوناً على القتال ومحاربة الإمام علي بن أبي طالب.

= في الردف. قال الشاعر:

تركت الرمح يعمل في صلاه كأن سنانه خرطوم نسر

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ٦٠.

لكن مع كل ذلك التملق.. وتلك النخوة التي حاولوا استنهاضها...

لم تلق دعوتهم بالبصرة أذناً صاغية... ولم يسارع أهلها إلى طاعتهم، وتلبية دعوتهم... كما ظنوا وحسبوا...

وكما صور لهم أيضاً عبدالله بن عامر ـ الذي كان والياً على البصرة من قبل عثمان ـ بحديثه لهم عن صنائعه التي في البصرة، وذلك عندما تداولوا الرأي في بيت عائشة بمكة المكرمة واجتمعوا لحرب علي بن أبي طالب.

بالاضافة إلى ما ذكرنا لم تغن طلحة والزبير كتبهما إلى رؤساء أهل البصرة فتيلا.. ولم تؤجج الحمية في نفوسهم.. ولم تشعل نار الفتنة التي أرادوها هما وعائشة نتيجة لمسعاهم، بل عادت عليهم بالخيبة والفشل...

أجل.. لم يسارع أهل البصرة إلى الطاعة والعون.. كما حسب القوم وظنوا... بل جاءت الأجوبة عكس ما أرادوا... معبرة عما وعته قلوب الناس. من الرد عليهم بأجوبة مخيبة لآمالهم.

نعم.. وردت أجوبة أهل البصرة كلها متشابهة في تصوير الحقيقة التي أرادوا اخفاءها عن الناس إذ كانوا زعموا بأنهم إنما خرجوا للأخذ بثأر عثمان.

جاء الجواب من رؤساء أهل البصرة الثلاثة بمضمون واحد ونكتفي بما بعثه المنذر بن ربيعة حيث بعث لهم كتاباً موجزاً يقول فيه.

أما بعد...

فإنه لم يلحقني بأهل الخير، إلا أن أكون خيراً من أهل الشر...

وإنما أوجب حق عثمان اليوم حقه أمس...

وقد كان بين أظهركم فخذلتموه...

فمتى استنبطتم هذا العلم..؟!

وبدا لكم هذا الرأي..؟!

يقول ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة:

فلما قرآ ـ أي طلحة والزبير ـ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا.

عودة طلحة والزبير لإقناع ابن عمر للانضمام إليهما

فعل طلحة والزبير كل أمور الخداع والحيل لحمل الناس على الإنتفاضة على علي بن أبي طالب وخلافته. . فأثارا الفتنة. . ونكثا بيعة علي. . والتحقا بأم المؤمنين عائشة بمكة كما أسلفنا. . . كي يقوى جانبهما وتكون لهما الغلبة التي حسباها بادىء بدىء حينما نكثا البيعة وأعلنا الخلاف.

ولكن كل فعل فعلوه كان لغايتهما الشخصية ومطامعهما الدنيوية. . وكل رأي ارتؤوه كان مصيره الخطأ ونهايته الفشل، لأنه تصرف شاذ مخالف لشريعة الإسلام من نكث البيعة بعد إبرامها.

وبعد ورود كتب أهل البصرة وعدم تجاوبهم شعر الشيخان طلحة والزبير بالخيبة والخسران فالجأهما الحال إلى معاودة عبدالله بن عمر لعله يقف إلى جانبهما ظناً منهما أن له كلمة مسموعة تقوي من شأنهما.

ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنه غدا مروان إلى طلحة والزبير فقال لهما: عاودا ابن عمر، فلعله ينيب.

فعاوداه. . فتكلم طلحة، فقال:

يا أبا عبد الرحمن، إنه والله لرب حق ضيعناه وتركناه، فلما حضر

العذر قضينا بالحق، وأخذنا بالحظ، إن علياً يرى انفاذ بيعته، وإن معاوية لا يرى أن يبايع له... وإنا نرى أن نردها شورى...

فإن سرت معنا ومع أم المؤمنين ـ عائشة ـ صلحت الأمور.. وإلا فهي الهلكة...

فقال ابن عمر: إن يكن قولكما حقاً ففضلاً ضيعت.. وإن يكن باطلاً فشر منه نجوت...

واعلما أن بيت عائشة خير لها من هودجها...

وأنتما المدينة خير لكما من البصرة... والذل خير لكما من السيف.... ولن يقاتل علياً إلا من كان خيراً منه... فأكفياني أنفسكما، فانصرفا.

أقول: لم يوافق عبدالله بن عمر طلحة والزبير عندما عاودا الكلام معه لإقناعه في المسير معهما ومع أم المؤمنين عائشة إلى البصرة لحرب علي بن أبي طالب (عليه السلام).

مع أن ابن عمر لم يكن من اتباع علي... ولا من أنصاره.. ولا من محبيه.. ولا من مؤيديه. بل كان يضمر له العداء والكراهية، ولا يريد له الخير.. وميله معروف مع أعدائه.

ومع هذا كله لم يوافقهما... ولم ينضم إلى قافلتهما، لا حباً بعلي ، بل لأنه خاف أن يكتوي بنار الحرب التي سيسعرانها ، حيث قال لهما أولاً :

«أيها الشيخان: ـ طلحة والزبير ـ أتريدان أن تخرجاني من بيتي ثم تلقياني بين مخالب ابن أبي طالب!».

وقال لهما مرة ثانية عندما عاوداه في كلام كما أسلفنا: ـ إن بيت عائشة خير لها من هودجها... وأنتما المدينة خير لكما من البصرة..

والذل خير لكما من السيف. . . ولا يحارب علياً إلا من كان خيراً منه. . الخ.

وإذا تأملنا وأمعنا النظر، ورجعنا قليلاً إلى تلك الحقبة من الزمن، وما حدثنا به التاريخ، نجد أن معاودة طلحة والزبير الكلام مع ابن عمر للانضمام إليهما ليس لخطره.. أو لعظيم شأنه في المجتمع.. فما هو ممن يرتجى لملمة . . . ولا هو بصاحب شوكة فيخشى منه . . بل ليس إلا لأنه ابن الخليفة عمر بن الخطاب، وممن تخلف عن بيعة علي مع أعدائه، وكان هواه مع بني أمية.

ورجوع طلحة والزبير ومعاودتهما لابن عمر للانضمام إليهما. . ليس إلا لتكثيف جبهة المعارضة التي كانا يقودانها مع أم المؤمنين عائشة لمحاربة خليفة الحق الإمام علي بن أبي طالب. وهذا ظاهر وواضح لكل من تتبع الأحداث التاريخية الصحيحة المجردة من الأهواء والعصبية .

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: أن عبد الله بن خلف أتى طلحة والزبير، فقال لهما: إنه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شيء إلا وقد بلغ أهل العراق. . . وقد كان منكما في عثمان من التخليب والتأليب. . ما لا يدفعه جحود، ولا ينفعكما فيه عذر وأحسن الناس فيكما قولاً من أزال عنكما القتل. . وألزمكما الخذل. . . وقد بايع الناس علياً بيعة عامة. . . والناس لاقوكما غداً . . فما تقولان؟. .

فقال طلحة: ننكر القتل. . ونقر بالخذل. . ولا ينفع الاقرار بالذنب إلا مع الندم عليه، ولقد ندمنا على ما كان منا.

وقال الزبير: بايعنا علياً والسيف على أعناقنا حيث تواثب الناس بالبيعة إليه دون مشورتنا، ولم نصب لعثمان خطأ. . فتجب علينا الدية. . ولا عمداً فيجب علينا القصاص.

فقال عبدالله بن خلف: عذركما أشد من ذنبكما...

وهكذا نرى أن طلحة والزبير قد أصما أذنيهما عن كل ناصح يريد أن يثنيهما عن عزمهما للمضي إلى الحرب.. إذ ظنا أنهما واتتهما الفرصة لنيل مآربهما الدنيوية في بلوغ السلطان... فنكثا بيعة علي بن أبي طالب، وسارا في دروب الفتنة التي سجلها لهما التاريخ على صفحاته.

كتاب أم المؤمنين عائشة إلى زيد بن صوحان

راحت أم المؤمنين عائشة وهي بمكة تدبر الرأي لاستقطاب الناس، لعلها تمهد بهم السبيل للوقوف إلى جانبها، وتقوية الجهة التي هي فيها، مستنهضة الهمم، ومستنفرة المسلمين ضد الإمام علي.

كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي كتاباً تمتدحه وتثير النخوة في رأسه لعله ينقاد إلى حزبها ويجيبها لما تريده منه من تحريض الناس على حرب علي بن أبي طالب... فكانت عباراتها في الغاية من التعبير عما تريد من تخذيل الناس عن علي واستنفار من يمكن استنفاره لحربه.

لكن خاب ظن أم المؤمنين عندما جاءها جواب زيد بغير ما ظنت وأرادت وما طلبته منه من التأييد لرأيها وحزبها...

كان جواب زيد صريحاً واضحاً.. بين لها فيه الصواب من الخطأ.. وأنه غير موافقها على الوقوف ضد إمام الحق علي ومحاربته...

لكن السيدة عائشة كانت في ذلك الوقت غير عابئة بكلام أي إنسان يحول بينها وبين المسير إلى البصرة...

لقد عزمت بإصرار وعناد على محاربة علي بن أبي طالب مهما

كلف الأمر.. أو كان الثمن غالياً... فحقدها الكامن في صدرها على علي المتراكم على مر الأعوام أو كر السنين... وكرهها له أعمى بصيرتها وأصم أذنيها عن كل كلام أو نصيحة لا توافق هواها أو أي أمر يثنيها عن مسيرها إلى الحرب.

ذكر ابن أبي الحديد في كتابه شرح النهج: أنه كتبت السيدة عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي:

من عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)...

إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان العبدي...

أما بعد... فأقم في بيتك.. وخذل الناس عن علي.. وليبلغني عنك ما أحب.. فإنك أوثق أهلي عندي.. والسلام[1].

فكتب إليها زيد:
من زيد بن صوحان.. إلى عائشة بنت أبي بكر...
أما بعد...
فإن الله أمركِ بأمر.. وأمرنا بأمر...
أمركِ أن تقري في بيتكِ...
وأمرنا أن نجاهد...

وقد أتاني كتابك... فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله،

---

(١) وفي كتاب أعلام النساء للأستاذ عمر رضا كحالة أنه كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدي: من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. سلام عليك.. أما بعد.. فإن أباك كان رأساً في الجاهلية وسيدا في الإسلام. وإنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق، وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان بن عفان. ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر. فإذا أتاك كتابي هذا فثبط الناس عن علي بن أبي طالب. وكن مكانك حتى يأتيك أمري... والسلام.
وقول عائشة لزيد بن صوحان: ـ أنك من أبيك بمنزلة المصلي من السابق ـ المراد منه كما في لسان العرب لابن منظور: المصلي في كلام العرب.. السابق.. المتقدم.

فأكون قد صنعتُ ما أمركِ الله به!.. وصنعتِ ما أمرني الله به..!

فأمرك عندي غير مطاع... وكتابك غير مجاب.. والسلام[1].

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي مخنف أنه قال:

«كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة:

أما بعد... فإنك ظعينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد أمركِ أن تقري في بيتك... فإن فعلتِ فهو خير لكِ...

فإن أبيتِ إلا أن تأخذي منسأتكِ[2]... وتلقي جلبابك... وتبدي للناس شعيراتك... قاتلتكِ حتى أردكِ إلى بيتك، والموضع الذي يرضاه لك ربكِ.

فكتبت إليه ـ عائشة في الجواب ـ:

أما بعد... فإنك أول العرب شب الفتنة، ودعا إلى الفرقة، وخالف الأئمة، وسعى في قتل الخليفة...

وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم، وقد جاءني كتابك، وفهمت ما فيه، وسيكفينك الله، وكل من أصبح مماثلاً لك في ضلالك وغيك إن شاء الله».

أقول: لقد ذكرنا فيما سبق أن السيدة عائشة كانت مصرة على عنادها ورأيها من قتال أمير المؤمنين علي مهما كلف الأمر، أو كان الثمن غالياً. فكانت تضع جميع النصائح وكلام الناصحين خلف أذنيها، ولا تعمل إلا ما يوافق هواها.

فعبد الله بن عمر مثلاً أنكر خروجها على رأس جيش لجب لمحاربة علي وقال لطلحة والزبير: «واعلما أن بيت عائشة خير لها من

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج ـ ٦ ـ ص ٢٢٧ أنه روى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن بحر، عن شيخنا أبي سعيد الحسن البصري.

(٢) منسأتك: المنسأة: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي. لسان العرب لابن منظور.

هودجها.. الخ» وهكذا نصحها الكثير من الناصحين أن لا تنزلق في مثل هذا المنزلق الخطير...

فكتاب الأشتر للسيدة عائشة والمطالبة بلزوم بيتها الذي خلفها فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعدم السير في دروب الفتنة لم يكن بالكتاب الفريد من نوعه.. ولا هو أول الصارخين المنكرين لخروجها للحرب، وليس بينه وبينها أي عداوة في الأصل.

فجواب عائشة للأشتر لم يكن بالجواب المقنع، بل كان جوابها له جواباً كله تهجم. مع العلم أنها هي التي حرضت الناس على قتل الخليفة عثمان كما أسلفنا.

وكانت تفعل ذلك لعلمها أن الذي سيلي أمر الخلافة بعد عثمان هو ابن عمها طلحة بن عبيد الله التيمي الذي كانت له اليد الطولى في التحريض على عثمان وقتله كما ذكر ذلك جميع المؤرخين.

لكن أم المؤمنين السيدة عائشة لما علمت بمبايعة الناس لعلي بن أبي طالب بالخلافة، وأن الأمر أفلت من يدها خرجت تؤلب الناس وتدعوهم لحرب علي مطالبة بالثأر من قتلة عثمان.

وعاد إلى الحياة ثانية ذلك الصراع الذي طوته الأعوام، وبرز من الماضي بما فيه من مرارة ذلك التنافر القديم واستوى قائماً ليأخذ مكانه في قيادة الأحداث. فاتخذت عائشة من مقتل عثمان ذريعة لمحاربة علي.

مع علمها بأن علي بن أبي طالب لم يكن من قتلة عثمان، ولا ممن حرض عليه، ولا ممن رضي بقتله بل كان من الناصحين له والمدافعين عنه.

وقد أجمع المؤرخون وأصحاب السير أن علي بن أبي طالب أرسل ولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة اللذين هما أعز عليه من

نفسه ـ فلذة كبده ـ ليقفا على باب عثمان للمحافظة عليه.. وردع الثائرين.

في الوقت الذي كانت فيه أم المؤمنين عائشة واتباعها كطلحة والزبير من أشد المحرضين على قتل عثمان.

لذلك أخذت الدهشة عبيد بن أبي سلمة ـ وهو ابن أم كلاب ـ رجل من أخوالها وذلك عندما أخبرها خبر مقتل عثمان واجتماع الناس على بيعة علي فقال:

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا أنه قد كفر.



الحوار الذي دار بين عائشة وأم سلمة

وقفت أم المؤمنين عائشة بمكة المكرمة تستنفر الناس للخروج إلى حرب علي. . .

وقفت عائشة بمكة تزعم أنها ما دعت دعوتها تلك. . . إلا وهي تبتغي من ورائها توحيد كلمة المسلمين. . . والاصلاح بينهم. . .

وما نهضت أيضاً: إلا لتحاجز بين اتباع الإمام علي بن أبي طالب وبين الذين تواروا خلف الطلب بدم عثمان. . .

زعمت عائشة هذا. . وهي التي صاحت صيحة. . البسوس. . غب مقتل عثمان، بعد أن عملت جهدها على قتله كما أسلفنا. . وراحت تستنهض الهمم للأخذ بثأر عثمان. . ثم سارت على رأس جيش لجب تحدوهم للحرب. . وتشحذ عزائمهم ليثيروها فتنة شعواء على البلاد والعباد التي كانت تدين للإمام علي بالولاء.

ولو أمعنا النظر قليلاً نجد أن أم المؤمنين عائشة لم يكن هدفها الطلب بالثأر لعثمان. . بل كان هدفها الوحيد هو حرب أميرالمؤمنين علي، كما أسلفنا. . .

وأبلغ دليل على ما ذكرنا هو الحوار الذي دار بين السيدة عائشة

وبين أم المؤمنين أم سلمة. وذلك حينما جاءت السيدة عائشة إليها تطلب منها تأييدها لموقفها ثم الخروج معها إلى الحرب.. وقد ألبست دعوتها ثوباً فضفاضاً براقاً.. ألا وهو الاصلاح بين الناس.

روى ابن أبي الحديد في شرح النهج: عن أبي مخنف أنه قال:

«جاءت عائشة إلى أم سلمة تخادعها على الخروج، للطلب بدم عثمان، فقالت لها:

يا بنت أبي أمية، أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنت كبيرة أمهات المؤمنين... وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم لنا من بيتك... وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك...

فقالت أم سلمة: ـ وقد أخذتها الدهشة ـ
لأمر ما قلت هذه المقالة...؟!!
فقالت عائشة:

إن عبدالله ـ ابن أختي ـ أخبرني أن القوم استتابوا عثمان.. فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام... وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة...

فاخرجي معنا.. لعل الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا.. وبنا...
فقالت أم سلمة:

إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان.. وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً...!

وإنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أفأذكرك..؟

قالت عائشة: نعم..

قالت أم سلمة:

أتذكرين يوم أقبل النبي (عليه السلام) ونحن معه.. حتى إذا هبط من قُديد ذات الشمال، خلا بعلي يناجيه.. فأطال. فأردت أن تهجمي عليهما، فنهيتك.. فعصيتني.. فهجمتي عليهما. فما لبثت أن رجعتي باكية...

فقلتُ لك: ما شأنك؟..

فقلت لي: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان.. فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام... أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي؟!

فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. وهو غضبان محمر الوجه...

فقال: ارجعي وراءك... والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي.. ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان...

فرجعت نادمة.. ساقطة..!

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت أم سلمة:

وأذكرك أيضاً:؟!

كنتُ أنا وأنتِ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنتِ تغسلين رأسه، وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس[1] يعجبه، فرفع رأسه الشريف، وقال:

---

(١) الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلك حتى تمتزج ثم يندر نواه، والأقط: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل، والقطعة منه أقطة. وقال ابن الأعرابي: هو من ألبان الإبل خاصة. لسان العرب لابن منظور.

«يا ليت شعري.. أيتكن صاحبة الجمل الأذنب.. تنبحها كلاب الحدأب.. فتكون ناكبة عن الصراط!».

فرفعت يدي من الحيس فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك...

ثم ضرب ـ رسول الله ـ على ظهرك، وقال:

«إياك أن تكونيها».

ثم قال: «يا بنت أبي أمية.. إياك أن تكونيها.. يا حميراء، أما أنا فقد أنذرتك».

قالت عائشة: نعم أذكر هذا...

قالت أم سلمة: وأذكرك أيضاً...

كنت أنا وأنت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفر له، وكان علي يتعاهد نعلي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيخصفها[1]، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت[2] له نعل. فأخذها ـ علي ـ يومئذ يخصفها، وقعد في ظل سمرة ـ شجرة ـ وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أرادا، ثم قالا له:

يا رسول الله إنا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا، ليكون لنا بعدك مفزعاً؟

فقال لهما ـ رسول الله ـ:

«أما أني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه.. كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران».

---

(١) خصف النعل يخصفها خصفاً: ظاهر بعضها على بعض وخرزها. وفي الحديث في ذكر علي (عليه السلام) خاصف النعل.

(٢) وفي بعض النسخ فثقبت.

فسكتا ثم خرجا. . .

فلما خرجنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قلتِ له: وكنتِ أجرأ عليه منا. . .

من كنتَ يا رسول الله. . مستخلفاً عليهم؟

فقال ـ رسول ـ : «خاصف النعل». .

فنظرنا فلم نر أحداً إلا علياً. . .

فقلتِ: يا رسول الله. . ما أرى إلا علياً؟!. .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «هو ذاك».

فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

فقالت لها أم سلمة:

فأي خروج تخرجين بعد هذا. .؟!

فقالت عائشة: إنما أخرج للاصلاح بين الناس. . وأرجو فيه الأجر إن شاء الله .

فقالت لها أم سلمة: أنتِ ورأيكِ. . . فانصرفت عائشة عنها»[1].

لكن أم المؤمنين السيدة عائشة ابنة أبي بكر مضت لطيتها ولم تقعدها هذه النصيحة الخالصة من أم المؤمنين أم سلمة، عما عزمت عليه.

لات حين ارتداد. . . والنكوص على العقب أصبح عسيراً وإن كان في نصرة الحق. . . والاقدام هين يسير وإن كان في نصرة الفتنة والباطل.

لم تلتفت ابنة أبي بكر إلى نصح أم سلمة، وما ذكرتها به من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما حذرتها به من مغبة سفرها،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ٦ـ ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

وما بصرتها به من العواقب الوخيمة التي تعود عليها وعلى المسلمين بالخسران. . .

ولكن. . هيهات. . فقد وقفت نزعات الأنفس والأهواء والأغراض حائلاً دون ما أرادت أم سلمة. . . لأن السيدة عائشة كانت تشعر أن الأقدار قد واتتها، وأن فرصة العمر جاءتها أخيراً. . دون تدبير، لتفرغ مراجل حقدها الدفين على علي بن أبي طالب.

ولئن قامت أم سلمة تثبط همتها وتثنيها عن عزمها على الخروج للحرب، وتحاول اقناعها بالحجة والمنطق أن تحول بينها وبين ما تبتغيه. . فهذا أمر غير مقبول عند السيدة عائشة، ولا يحظى بالرضا أو الاقرار منها بعد كل السنين الطويلة من التنافر والإزورار.

أليس علي بن أبي طالب في نظرها هو خصمها الوحيد بحياة الرسول. . وبعد وفاته. . !

أليس علي بن أبي طالب هو زوج فاطمة ابنة أم المؤمنين خديجة التي كانت تغار منها عائشة غيرة عمياء وهي تحت الثرى لما ترى من حب زوجها رسول الله ووفائه لها بعد موتها. . . فكانت عائشة تفرغ حقدها على ابنة خديجة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنها ترى فيها شخص أمها ضرتها المستأثرة بحب الزوج وعطفه. . .

أليس علي بن أبي طالب هو المنازع الوحيد لأبيها أبي بكر عندما استلب منه أبوها الخلافة التي هي من حق علي الشرعي. . . إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي جعلت عائشة تصم أذنيها عن كل كلام وتذهب لما أرادته من الانتقام حينما واتتها الفرصة.

ويروى أن حفصة زوج النبي ابنة عمر عندما كلمتها عائشة لترافقها في خروجها للحرب وافقتها على الخروج معها لحرب علي. لكن أخاها عبدالله بن عمر منعها من ذلك. فوقفت عائشة وقد رأت نفسها وحيدة

بين رجال ليسوا ممن تطمئن لهم القلوب.. فكلهم صاحب هوى.. وغرض.

حتى حفصة تخلت هي الأخرى عنها.. حفصة صفيتها وظلها الذي لا يغيب.

وليس من العجب أن توحد العاطفة بين السيدتين ابنتي الخليفتين أبي بكر وعمر، اللذين هما رأس الحزب القرشي المناهض لخلافة علي. وكأنما بعث أبو بكر وعمر من جديد إلى هذه الدنيا، يعيدان بشخصي ابنتيهما ما أبرماه في البدء ويحولان بين علي (عليه السلام) وحقه الشرعي بالخلافة كما فعلا غب موت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتاب أم سلمة إلى عائشة

عندما عزمت أم المؤمنين عائشة على الخروج إلى البصرة، وجمعت حولها كلاً من طلحة والزبير واتباعهما، وكل حاقد على أمير المؤمنين علي موتور منه، سواء كانوا من قريش من الأمويين وغيرهم. والتحق أيضاً بركبها كل طامع في حطام الدنيا، وكل من ظن أن النصر سيكون حليفها.

وحينما رأت أم المؤمنين حولها المؤيدين لسياستها وفيهم من علية القوم كطلحة والزبير.. اغترت بذلك فلم تعد تلتفت إلا إلى ما توحيه مصلحتها، وما يوافق هواها.

نسيت عائشة أو تناست الحجاب الذي ضربه عليها الإسلام...

نسيت أيضاً: أو تناست قوله تعالى: ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾..

نسيت كل ذلك أو تناسته إذ هالها أن ترى الإمام علي قد خضعت لخلافته الآفاق .. وقد احتل قلوب العباد قبل البلاد ...

علي بن أبي طالب خصمها الأوحد بزعمها الذي نسيت في سبيل الانتقام منه كل ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقه من المدح والثناء كما سيأتي.

أجل عزمت عائشة على الخروج لحرب علي. ولم تلتفت إلى نصح الناصحين، بل تابعت طلحة والزبير وطريد رسـول الله مروان بن الحكم الأموي وأمثاله.

تحدثت الركبان بمسير عـائشة وأصحـابها من أهـل الفتنة إلى البصرة، وكثر لغط أهل المدينة المنورة مستنكرين لمسيرها، وما أن وصل الخبر إلى أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بادرت بكتابة كتاب إليها لعلها تعي أو ترتدع فتعدل عن مسيرها إلى البصرة، الذي لا يرضى به الله ولا رسوله.

كتبت لها أم سلمة كتاباً تتوجه إليها بنصيحتها التي تفيض عطفاً، وحرصاً على المصلحة العامة، وعدم تضعضع الصف، وحفاظاً على الإسلام، والنظر في عواقب الأمور.

وذكرتها أيضاً: بما يجب عليها فعله بعد وفاة الرسول الأعظم، وهي احدى زوجاته اللواتي ضرب الله عليهن الحجاب، وميزهن عن سائر النساء.. بأنهن أمهات المؤمنين.

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: «أنه لما تحدث الناس في المدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير، ونصبهما الحرب لعلي بن أبي طالب، وتألفهم الناس.

كتبت أم سلمة إلى عائشة كتاباً قالت فيه:

أما بعد: فإنك سدة بين رسول الله وبين أمته[1] وحجابك مضروب على حرمته. قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تندحيـه[2]. وسكن

---

(١) السدة: الباب، أرادت أم سلمة إنك باب بين النبي وبين الناس، فمتى أصيب ذلك الباب بشيء فقد دُخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حرمه وحوزته، واستبيح ما حماه.

(٢) في القاموس: ندحه كمنعه، ومنه قول أم سلمة لعائشة: قد جمع القرآن ذيلك ـ أي سترك ـ فلا تندحيه، أي لا توسعيه بخروجك إلى البصرة.

عقيراك فلا تصحريها[1] الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله مكانك.. لو أراد أن يعهد إليك...

وقد علمتِ أن عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن انصدع[2] حماديات النساء[3].. غض الأبصار.. وضم الذيول..

ما كنتِ قائلة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لو عارضك بأطراف الجبال... والفلوات، على قعود الإبل من منهل إلى منهل.. إن بعين الله مهواكِ.. وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تردين.. وقد هتكت حجابه الذي ضرب الله عليك.. وتركتِ عهيداه[4].

ولو أتيت الذي تريدين، ثم قيل لي ادخلي الجنة، لاستحييت أن ألقى الله هاتكة حجاباً قد ضربه علي.

فاجعلي حجابك الذي ضرب عليك، حصنكِ، فابغيه منزلاً لكِ حتى تلقيه.. فإن أطوع ما تكونين إذا ما لزمتهِ.. وأنصح ما تكونين إذا ما قعدت فيه..

ولو ذكرتك كلا ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لنهشتني نهش الحية الرقطاء[5] والسلام.

فكتبت إليها السيدة عائشة:

---

(١) في النهاية: سكن عقيراك، أي أسكنك بيتكِ وسترك فيه فلا تبرزيه، وهو اسم مصغر مشتق من عقر الدار فلا تصحريها: أصحر: أي خرج إلى الصحراء.

(٢) لا يرأب بهن إن أنصدع: أي لا يسد بهن ولا يجمع.

(٣) حماديات النساء: أي الصفات التي تحمد منهن.

(٤) وتركتِ عهيداه: لفظة مصغرة مأخوذة من العهد.

(٥) في شرح نهج البلاغة: لنهشتني نهش الرقشاء المطرقة: أي لعضك ونهشك ما أذكره لك، واذكرك به كما تنهشكِ أفعى رقشاء: والرقش في ظهر الحية هو النقط: وخصت الرقشاء لأنها من أخبث الحيات. قال النابغة:

فبت كأني ساورتني ضئيلة　　من الرقش في أنيابها السم ناقع

ما أقبلني لوعظك.. وأعلمني بنصحك.. وليس مسيري على ما تظنين.. ولنعم المطلع مطلع فزعت فيه إليَّ فئتان متناجزتان، فإن أقدر ففي غير حرج، وأن أحرج مالي ما لا غنى بي عن الازدياد منه.. والسلام»[1] .

أقول: محاورة أم المؤمنين أم سلمة مع أم المؤمنين عائشة رواها المؤرخون وأصحاب السير: بطرق مختلفة، مع اختلاف بسيط في تسلسل الجمل والعبارات...

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: أنه لما قالت أم سلمة لعائشة ما قالت، وما ذكرتها به. قالت عائشة: نعم.

«ما أقبلني لوعظك واسمعني لقولك.. فإن أخرج ففي غير حرج، وإن أقعد ففي غير بأس وحرج...

فخرج رسولها فنادى في الناس: من أراد أن يخرج فإن أم المؤمنين غير خارجة...

فدخل عليها عبدالله بن الزبير ـ ابن أختها أسماء بنت أبي بكر ـ فنفث في أذنها، وفتلها في الذروة والغارب...

فخرج رسولها ينادي: من أراد أن يسير فليسر فإن أم المؤمنين خارجة»[2] ..

وروى الطبرسي في الاحتجاج محاورة أم سلمة[3] مع عائشة نحواً

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ٥٧.

(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ـ ١ ـ ص ٤٥٠ ـ ط ـ دار التعارف بيروت.

(٣) أم سلمة: هي أم المؤمنين، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، القرشية المخزومية وأمها عاتكة بنت عبد المطلب . وكان أبوها يعرف ـ بزاد الركب لكرمه وجوده ـ وهي زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن المهاجرات إلى الحبشة .. وإلى المدينة .

وكانت أم سلمة مستودعة لبعض الوصايا، وميراث النبوة. ولما سار أمير المؤمنين (عليه=

مما ذكرناه عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: «فلما كان من ندمها ـ أي عائشة ـ أخذت أم سلمة تقول:

لـو كان معتصماً من زلة أحـد كانت لعائشة الرتبى على الناس
من زوجـة لـرسـول الله فـاضلة وذكـر أي من القـرآن مـدراس
وحكمـة لم تكن إلا لهـاجسهـا في الصدر يذهب عنها كل وسواس
يستنـزع الله من قـوم عقـولهم حتى يمر الذي يقضي على الراس
ويـرحم الله أم المؤمنين لـقـد تبـدلت لي يحـاشـا بـإينـاس

فقالت لها عائشة: شتمتني يا أختِ..!

= السلام) إلى الكوفة استودعها كتبه والوصية.. فلما رجع الحسن (عليه السلام) ـ من الكوفة إلى المدينة ـ دفعتها إليه. ولما توجه الحسين (عليه السلام) إلى العراق استودعها كتبه والوصية.. وأوصاها أن تدفعها إلى علي بن الحسين زيد العابدين (عليه السلام) حين رجوعه ـ إلى المدينة ـ ففعلت.

وفي الدر النظيم للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي قال: بعد خطبة فاطمة (عليها السلام): وكلام أبي بكر (رض) فقالت أم سلمة (رض)، حيث سمعت ما جرى لفاطمة (عليه السلام):

ألمثل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقال هذا القول؟!..

هي والله الحوراء بين الأنس، والنفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأة، ورُبيت خير مربى...

أتزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حرم عليها ميراثه ولم يعلمها، وقد قال الله تعالى: **﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾** أفأنذرها وخالفت مطلبه؟! وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبان، وعديلة ابنة عمران. تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر.

ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله: رويداً ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمرأى منكم..!! وعلى الله تردون.. واها لكم فسوف تعلمون..! قال الشيخ جمال الدين: فحُرمت أم سلمة عطاءها تلك السنة.

وفي بيت أم سلمة نزلت آية التطهير وهي آخر من مات من نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ماتت في زمن يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هجرية. راجع شرح الاحتجاج للطبرسي: ج ـ ١ ـ ص ٢٤٢: وأسد الغابة ـ ج ـ ٥ ص ٥٨٨: وسفينة البحار: ج ـ ١ ـ ص ٦٤٢ ـ ٦٤٣.

فقالت لها أم سلمة:

ولكن الفتنة إذا أقبلت غضت عيني البصير ـ وفي نسخة ـ غطّت على البصيرة... وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل[1].

أقول: على أي حال من الأحوال، فقد وضعت أم المؤمنين عائشة نصائح أم المؤمنين أم سلمة خلف أذنيها... فلم ترتدع... ولم ترعوي... ولم تع من كتاب أم سلمة ونصائحها إلا أنه كلام أتاها على لسان ضرة...

ومضت السيدة عائشة في سبيلها، تستعدي على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كل من توسمت فيهم الاستجابة لدعوتها مبادرين...

وما كان أكثر من جمعتها وإياهم المصلحة الشخصية... ووحدة الفكر... واتساق الشعور... في محاربة علي...

فلتول إذن أم المؤمنين وجهها إلى معسكرها...

إلى الذين أغرتهم الأطماع الدنيوية.. والأغراض السياسية حتى الأذنين...

إلى الذين يدينون لها بالولاء...

وخلاصة القول: أن أم المؤمنين أم سلمة عمدت في نصائحها إلى صفحات من حياة الرسول الأعظم تقلبها أمام ناظري عائشة، لتريها آيات من إعزاز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي ومواقفه الشهيرة معه. وتصور لها صوراً واضحة المعالم وما قاله (صلوات الله عليه وآله وسلم) بما سيلاقيه علي من أعدائه من الظلم والجور.

ولكن القلوب الشائنة كانت قد امتلأت إلى حافتيها بأحقاد الماضي، وعميت العيون التي عصبتها الأغراض عن الحقائق..

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج ـ ١ ـ ص ـ ٢٤٥.

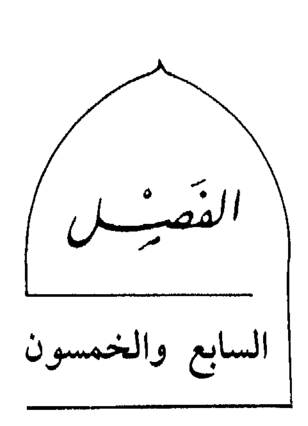
أسدت النصح أم سلمة لتقطع على ضرتها عائشة ومن والاها طريق الفتنة الذي سلكوه.. إذ كان بإمكان أم سلمة أن تدفعهم عن غيهم، بسلاحهم.. فتقود جحفلاً من المواليين للحق... ولكنها كانت امرأة عاقلة حكيمة، تعرف ما خلقت له.. فلم تقحم نفسها في مثل هذا المعترك، ولم تفعل إلا ما هيأتها له الطبيعة... وفرضه عليها الإسلام... فآثرت النصح تزجيه لعائشة عسى أن يلاقي كلامها أذناً صاغية من الذين جانبوا الروية والحكمة، ومالوا مع أهوائهم...

كانت أم سلمة (رضوان الله عليها) تأمل في بقية من رشاد بعقول القوم لعلها تردهم إلى الصواب...

وخاب ظنها في رجوع القوم عن ضلالهم... وكانت كمن تعلق بسراب...



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الفَصْل

السابع والخمسون



مسير أم المؤمنين عائشة إلى البصرة

اجتمع رأي المتآمرين على الذهاب إلى البصرة لحرب علي (عليه السلام)، وهم: عائشة وطلحة، والزبير، واتباعهم من بني أمية وغيرهم. . .

استنفروا الناس. . واستنهضوا الهمم. . لكن كان يعوزهم المال، فهم بحاجة إليه لتجهيز الجيش. . .

ولما قدم عليهم عبدالله بن عامر بمال كثير من البصرة ـ إذ كان والياً عليها من قبل عثمان ـ وكذلك يعلى بن منية الذي جاء من اليمن ومعه ستمائة بعير، وستمائة ألف درهم ـ ما جمعه من الخراج إذ كان والياً من قبل عثمان ـ.

ولما اجتمع للقوم ما أرادوه من مال وعتاد، نادى مناديهم مؤذناً بالمسير للحرب والتوجه إلى البصرة.

ذكر ابن الأثير في تاريخه: أنه لما جهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير، وستمائة ألف درهم، وجهزهم ابن عامر بمال كثير، نادى منادي ـ أم المؤمنين عائشة ـ

ـ إن أم المؤمنين. . وطلحة. . والزبير شاخصون إلى البصرة. .

فمن أراد اعزاز الإسلام.. وقتال المسلمين.. والطلب بثأر عثمان.. وليس له مركب، وجهاز فليأت..

فحملوا ستمائة على ستمائة بعير، وساروا في ألف، وقيل: في تسعمائة من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس، فكانوا في ثلاثة آلاف رجل...

وفي تاريخ الطبري: خرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة...

وفي ابن الأثير أيضاً: خرجت عائشة ومن معها من مكة، فلما خرجوا منها أذن مروان بن الحكم.. ثم جاء حتى وقف على طلحة.. والزبير، فقال:

على أيكما أسلم بالأمرة.. وأؤذن بالصلاة..؟
فقال عبدالله بن الزبير: على أبي عبدالله ـ يعني أباه الزبير ـ.
وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد ـ يعني أباه طلحة ـ
فأرسلت عائشة إلى مروان، وقالت له:

أتريد أن تفرق أمرنا..؟! ليصل بالناس ابن أختي.. تعني عبدالله بن الزبير.

وقيل: بل صلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، حتى قُتل. فكان معاذ بن عبيد الله يقول: والله لو ظفرنا لاقتتلنا.. ما كان الزبير يترك طلحة والأمر.. ولا كان طلحة يترك الزبير والأمر.

أقول: قام مروان بن الحكم ـ طريد رسول الله ـ دون غيره من اتباع الجمل يدعو إلى الصلاة...

لكن لو تأملنا بفعل مروان هذا.. هل كان حباً منه في الصلاة..! وثقه منه بطلحة والزبير.. أو لعلة أخرى..!

لا شك أنه كان يريد زرع الفتنة مسبقاً... لأن كل من يعرف

مروان.. لا يراه إلا مفتوناً بتدبير الفتن.. ونسج خيوط الأحابيل والخداع.. وحياكة الدسائس...

وها هو يعد عدته لنصب الشَّرَك الجديد لزرع الفتنة بين الزعيمين ـ طلحة والزبير ـ لأنه يخشى أن تنجح عائشة وصاحباها بما جاؤوا لأجله من الحصول على السلطة والفوز بالسلطان... وهو في قرارة نفسه يريد الأمر لبني أمية أولاً.. ولنفسه ثانياً.. فقد أطمعه الخليفة عثمان ولفت نظره إلى الامارة عندما استوزره...

هكذا حرك مروان رماد الغيرة الكامنة في الصدور.. وأذكى نار الفتنة بين زعيمي موكب عائشة الذاهب لحرب علي بن أبي طالب.. عسى بفعله هذا أن يكشفا ما يخبآن من النوايا التي في صدرهما عن جمر التحاسد والخلاف الذي بينهما.

فهو يعلم أن لكل من طلحة والزبير في جيش أم المؤمنين عائشة حزب وأعوان.. وقد أدى تجاذب ولديهما ـ عبدالله بن الزبير ومحمد بن طلحة ـ إلى أن يقدِّم كل واحد منهما أباه ليؤم الناس ليفوز بزعامة الإمامة...

وأحرى بمن يؤذن باسمه للصلاة ويصلي إماماً في ذلك الحين أن تنعقد له الخلافة فيما بعد...

على أنهما ما خرجا مع عائشة إلا لابتزاز الحكم من علي بن أبي طالب (عليه السلام).



يوم النحيب

لما ذهبت أم المؤمنين عائشة إلى مكة معتمرة، كان نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمهات المؤمنين قد خرجن معها. فلما قضين العمرة.. وتوجهن إلى المدينة.. وكان من أمر الخليفة عثمان ما كان، وعلمت عائشة بمقتله.. وعلمت بعد هذا بتولي أمير المؤمنين علي الخلافة بمبايعة الناس له.. صاحت.. وناحت على عثمان في الوقت الذي كانت من أكبر المحرضين على قتله، كما أسلفنا.

ولما لم تر سبيلاً لإزاحة الخلافة عن علي بن أبي طالب بكل وسيلة... أعلنت بالاتفاق مع طلحة والزبير وأعوانهما من بني أمية وغيرهم الحرب عليه.. جمعت الجيوش واستنفرت الناس للذهاب إلى البصرة... بعد أن ألبست دعوتها ثوباً فضفاضاً براقاً.. هو ـ المطالبة بدم عثمان..

في الوقت ذاته لم تكن تجهل أن مسعاها سوف يؤجج نار الفتنة... واعلانها الحرب ضد خليفة المسلمين علي بن أبي طالب ضربة عنيفة قاصمة لوحدة المسلمين.. فقد قالت: حينما علمت أن الناس قد بايعوا علياً: «ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض...» كما في رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة.

وفي رواية ابن الأثير، أنها قالت: حينما أخبرها رجل من أخوالها يقال له عبيد بن أبي سلمة بمقتل عثمان بن عفان واجتماع الناس على أمير المؤمنين علي. صاحت ثم قالت:

«. . ردوني . . ردوني . . ليت هذه أطبقت على هذه . . - أي ليت السماء أطبقت على الأرض - إن تم الأمر لصاحبك . . الخ».

انصرفت راجعة إلى مكة وهي تقول: قتل عثمان والله مظلوماً . . لاطلبن بدمه . . وكانت هي المحرضة الأولى على قتله، كما ذكرنا ذلك في مقتل عثمان فيما سبق.

ولما عزمت على المسير إلى البصرة جئن أمهات المؤمنين اللواتي كن معها إليها، وعرضت عليهن الذهاب لمرافقتها . . لم يوافقنها على ذلك . . سوى حفصة بنت عمر بن الخطاب وافقتها على ذلك . . . لكن أخاها عبدالله بن عمر منعها من الذهاب . . وسلوك هذا الطريق الوعر.

كذلك أم المؤمنين أم سلمة كانت قد نهتها عن عزمها على الذهاب إلى البصرة لحرب علي بن أبي طالب في مقابلتها أولاً . . وفي كتاب لها قد مرَّ ذكره.

ولما رأين أمهات المؤمنين إصرار عائشة على الحرب والذهاب إلى البصرة، بكين بكاء شديداً . . لأن في مسيرها هذا فتنة . . ونكبة على المسلمين . . ستفصم وحدتهم إلى آخر الدهر . . .

يقول ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: «خرجت عائشة ومن معها من مكة . . وتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق[1] فبكوا على الإسلام، فلم يُر يوم كان أكثر باكياً وباكية، من ذلك اليوم . . . فكان

---

(١) عرق: جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق. وقال ابن ثبيب: ذات عرق: من الغور، والغور من ذات عرق إلى أوطاس. وعرق الظبية: بين مكة والمدينة. راجع معجم البلدان لياقوت الحموي.

يُسمى ذلك اليوم... يوم النحيب..»[1].

ليت شعري.. لماذا بكين أمهات المؤمنين، واجتهدن بالنحيب.. لفراق صاحبتهن حتى سُمي ذلك اليوم يوم النحيب..؟!

هذا السؤال الذي يراود كل إنسان، فيتساءل.. لماذا كل هذا البكاء أو النحيب؟

هل هو لفراق السيدة عائشة... والبعد عنها..؟ أم لعلة أخرى..؟

والجواب واضح... لمن له أدنى تأمل أو إلمام بسيرة أم المؤمنين عائشة...

لا شك أنه عندما التف زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بصاحبتهن، يذرفن الدمع أسى ولوعة.. ويبدين الأسف لهذا الفراق المفاجىء الذي لم يكن بالحسبان..

كن جميعاً قد أتين معها إلى مكة المكرمة وأظهرن العزم ليكن بصحبتها إلى مكة والرجوع إلى المدينة.. إلى البيت الذي خلفهن فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن اليوم ليس كالأمس.. والمقصد غير المقصد.. فما يسعهن أن يسرن الآن وإياها على درب البصرة.. لاشعال نار حرب لا تعود على المسلمين إلا بالدمار.. وتفكيك عرى الإسلام...

لقد نصحتها أم المؤمنين أم سلمة بعدم الذهاب إلى البصرة لحرب علي كما أسلفنا فلم تنتصح.. ولم تصغ لأي كان من أي ناصح.. وما أكثرهم...

بل كان همها الوحيد.. ضرب خلافة علي (عليه السلام) والكيد

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ٣ـ ص ١٠٧.

له بأي وسيلة... إذ كانت تتصرف عن عاطفة هوجاء... لا عن تعقل وروية...

فمراجل حقدها على علي بن أبي طالب أعمت بصيرتها فباتت لا ترى إلا الانتقام منه كما أسلفنا.

وصدق أمير الشعراء شوقي حيث يذكرها بقصيدته وهو يخاطب الإمام علي التي منها:

يا جبلا تأبى الجبال ما حمل   ماذا دهت عليك ربة الجمل
اثأر عثمان الذي شجاها   أم غصة لم ينتزع شجاها
ذلك فتك لم يكن بالبال   كيد النساء موهن الجبال

حوار سعيد بن العاص مع أم المؤمنين عائشة وصحبها

أحداث كثيرة رافقت السيدة عائشة وموكبها في مسيرها من مكة إلى البصرة. فما إن انفصل الموكب عن أم القرى ـ مكة ـ حتى أخذت الأفكار عائشة فراحت تقلب الأمر على أوجهه.. وكيف قامت بعملها الجريء الذي يعجز عن تنفيذه الرجال.. والذي استهلت فصوله بالتخذيل عن عثمان . . والتحريض على قتله . . ليستتب الأمر لبني تيم بزعامة ابن عمها طلحة . . .

وها هي الآن تنهض بالمطالبة بدم عثمان والأخذ بثأره.. ممن لا علاقة لهم بقتله.. أو التحريض عليه. وهي والحالة لا تدري ما سيحدث غداً في البصرة عندما تشتبك الأسنة.. وتنطق السيوف.. ويفتح الموت صدره بالمقاتلين . . . ومع ذلك كله فإنها تسير في طريق مظلمة . . . محفوفة بالمخاطر . . .

لكن عنادها.. وحقدها على غريمها أمير المؤمنين علي أغشى بصيرتها وجعلها تنطلق في زحمة الحوادث مع الرجال الأجانب، تقود الجيوش برباطة جأش، وعزم أكيد لحرب الإمام علي والكيد له والانتقام منه . . .

لم يثنها عن عزمها نصيحة صديق.. أو انكار منكر. .

روى المؤرخون وأصحاب السير: أنه عندما وصل ركب ـ أو جيش ـ أم المؤمنين عائشة إلى أوطاس من أرض خيبر[١] أقبل سعيد بن العاص[٢] ومعه المغيرة بن شعبة يحثان السير حتى أدركا الركب وقد حط رحله للاستراحة..

ذهب كل من سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة إلى صاحبة الهودج عائشة..

تقدم سعيد إليها قائلاً:

أين تريدين يا أم المؤمنين؟!

أجابته: إلى البصرة...

قال: وما تصنعين بها؟

قالت: أطلب بدم عثمان..

فاستضحك سعيد ساخراً وقال:

فهؤلاء قتلة عثمان معك يا أم المؤمنين.

ثم توجه كل من سعيد والمغيرة إلى الشيخين طلحة والزبير ودار بينهما الحوار التالي قال سعيد: كما جاء في رواية الطبري وابن الأثير:

«أنه خلا سعيد، بطلحة والزبير، فقال:

إن ظفرتما.. لمن تجعلان الأمر؟.. أصدقاني..

قالا: لأحدنا أينا اختاره الناس.

---

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ببني هوازن ويومئذ قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): حمي الوطيس، وذلك حين استعرت الحرب، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) أول من قاله. وأوطاس على نفس الطريق، ولما نزل المشركون بأوطاس، قال دريد بن الصمة: وكان مع هوازن شيخاً كبيراً: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس.. قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس، ولا سهل دهس. راجع معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) سعيد بن العاص الأموي كان عاملاً لعثمان على الكوفة بعد أن عزل عثمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط يطلب من أهل الكوفة: لأنه كان سكيراً زنديقاً.

قال ـ سعيد ـ بل اجعلوه لولد عثمان.. فإنكم خرجتم تطلبون بدمه..

قالا ـ طلحة والزبير ـ: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم..!!

قال ـ سعيد ـ: أفلا أراني أسعى لاخرجها من بني عبد مناف[1].

وفي رواية ابن الأثير: «أنه لما بلغ القوم ـ عائشة واتباعها ـ ذات عرق[2] لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بها.

فقال: أين تذهبون..؟ وتتركون ثأركم وراءكم على اعجاز الإبل؟! يعني.. عائشة. وطلحة. والزبير.. اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم.

فقالوا: نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً»[3].

ويقول ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة:

«لما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس، من أرض خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاص على نجيب له، فأشرف على الناس، ومعه المغيرة بن شعبة.

نزل وتوكأ على قوس له سوداء، فأتى عائشة، فقال لها:

أين تريدين يا أم المؤمنين؟

قالت: أريد البصرة...

قال ـ سعيد ـ: وما تصنعين بالبصرة؟.

قالت ـ عائشة ـ: أطلب بدم عثمان...

---

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري: ج ـ ٤ ـ ص ٤٥٣.

(٢) ذات عرق: مهلّ أهل العراق، وهو الحد بين نجد وتهامة: وقيل: عرق جبل بطريق مكة، ومنه ذات عرق. وقال الأصمعي: ما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق.. وقال ابن شبيب ذات عرق من الغور، والغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق ـ راجع معجم البلدان لياقوت.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ١٠٧.

قال ـ سعيد ـ : فهؤلاء قتلة عثمان معك . . .
ثم أقبل ـ سعيد ـ على مروان، فقال له :
وأنت أين تريد أيضاً . . ؟!
قال ـ مروان ـ : البصرة . .
قال ـ سعيد ـ : وما تصنع بها؟ . .
قال ـ مروان ـ : أطلب قتلة عثمان . .

قال ـ سعيد ـ فهؤلاء قتلة عثمان معك . . إن هذين الرجلين، قتلا عثمان . . «طلحة والزبير»، وهما يريدان الأمر لأنفسهما . . فلما غلبا عليه . . قالا : نغسل الدم . . بالدم، والحوبة . . بالتوبة .

ثم قال المغيرة بن شعبة :

أيها الناس، إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم ـ عائشة ـ فارجعوا بها خيراً لكم . .

وإن كنتم غضبتم لعثمان . . . فرؤساؤكم قتلوا عثمان . . .

وإن كنتم نقمتم على علي بن أبي طالب شيئاً . . فبينوا ما نقمتم عليه . .

أنشدكم الله . . فتنتين في عام واحد . . .
فأبوا إلا أن يمضوا بالناس . . .

فلحق سعيد بن العاص باليمن، ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين[1] .

أقول : ما روي عن المغيرة بن شعبة قوله : «أنشدكم الله فتنتين في عام واحد» على تقدير صحة هذه الرواية عنه لا نرى إلا أنه كان يذهب لمطامعه الدنيوية المحضة . . لأن المغيرة من طبعه كان لا يترك أمراً فيه الفتنة . . إلا اتبعه .

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ج ـ ١ ـ ص ٦٣ .

ولكنه على ما يظهر رأى أمر الخلافة بادياً.. في استتباب الأمر لعلي بن أبي طالب (عليه السلام). فما أحب أن ينزلق مع عائشة وصحبها ويظهر عداوة علي.

بل آثر الوقوف جانباً يرقب الأمور وسير الأحداث لعله عندما ينتصر علي على أخصامه يحصل المغيرة على ولاية بعض الأمصار...

إذن فغرض المغيرة من الحياد دنيوي محض..

ولهذا نجده لما انتهت السلطنة إلى معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل أمير المؤمنين علي رأى أن مصلحته الخاصة في اتباع معاوية وتأييده والسير بركابه ليفوز بما أراد من الامارة.

فكان المغيرة زمن معاوية من أعدى أعداء الإمام علي (عليه السلام) وذريته الأطهار. وذلك واضح لمن تتبع تاريخ المغيرة.



شراء الجمل لأم المؤمنين عائشة

يحدثنا التاريخ على صفحاته من أنه لما تم تجهيز الجيش المتوجه لحرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بقيادة عـائشة، وطلحـة، والزبير، ومعهم مروان بن الحكم وغيره من بني أمية وأرادوا الخروج طلبوا لأم المؤمنين جملاً قوي البنية عظيم الجثة، ليضعوا فوق ظهره هودجاً يكون مركباً لها.

هذا الهودج الذي سوف تشغله عائشة.. قـد اتقنوا صنعـه.. فألبسوه صفائح الحديد، والجلود المانعة من وصول النبال والسهام إلى داخله الواقية.. حتى لا تصاب هي بأي أذى، مهما اشتد القتال، وطال أمد الحرب..

هذا الهودج المتقن الفاخر كـان بمثابـة العلم يتقدم الجيـوش المحتشدة حوله، وفي داخله استقرت أم المؤمنين... سائرة على رأس هذه الحشود التي استنفرتها لحرب علي (عليه السلام) بعد أن تركت رقة المرأة، وبيتها الذي خلفها فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخرجت مع الرجال، فياضة القلب بحمية القتال.. تسير بجمهور غفير إلى وديان الموت، حيث ضرب السيوف وطعن الرماح، غير آبهة بما سيحدث أو تكون العاقبة.

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أنه.. لما عزمت

عائشة على الخروج إلى البصرة، طلبوا لها بعيراً أيِّداً[1] يحمل هودجها، فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكراً، وكان عظيم الخلق شديداً.

فلما رأته ـ عائشة ـ أعجبها... وأنشأ الجمال يحدثها بقوته، وشدته. ويقول في أثناء كلامه: «عسكر».

فلما سمعت ـ عائشة ـ هذه اللفظة، استرجعت، وقالت: ردوه لا حاجة لي فيه...

وذكرت حيث سُئلت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر لها هذا الاسم... ونهاها عن ركوبه... وأمرت أن يطلب لها غيره. فلم يوجد لها ما يشبهه.

فغيِّر لها بجلال غير جلاله[2]، وقيل لها: قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً، وأشد قوة...

وأتيت به فرضيت[3].

وفي تاريخ الطبري، عن صفوان بن قبيصة الأحمسي، قال: حدثني العرني صاحب الجمل، قال:

بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال:

يا صاحب الجمل... تبيع جملك؟..

قلت: نعم.

قال: بكم..؟

قلت: بألف درهم..

---

(١) أيِّداً: الأيد ـ والآد جميعاً: القوة، ورجل آيِّد ـ بالتشديد، أي قوي.

(٢) جل الدابة: وجلها ـ الذي تلبسه وتصان به. قال ابن دريد: وهي لغة تميمية معروفة والجمع جلال وأجلال. وجلال كل شيء غطاؤه. لسان العرب لابن منظور.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ٦ ـ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

قال: مجنون أنت..! جمل يباع بألف درهم..!

قال ـ العرني ـ:

قلت: نعم.. جملي هذا...

قال: ومِمَّ ذلك..؟

قلت: ما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته... ولا طلبني وأنا عليه أحد إلا فته...

قال: لو تعلم لمن نريده لأحسنت بيعنا...

قال ـ العرني ـ:

قلت: ولمن تريده...؟

قال: لأمك...

قلت: لقد تركت أمي في بيتها قاعدة ما تريد براحاً...

قال: إنما أريده لأم المؤمنين عائشة...

قلت: فهو لك.. فخذه بغير ثمن...

قال: لا... ولكن ارجع معنا إلى الرحل فلنعطك ناقة مهرية[1] ونزيدك دراهم...

قال ـ العرني ـ: فرجعت فاعطوني ناقة لها ـ لعائشة ـ مهرية، وزادوني اربعمائة، أو ستمائة درهم...

ثم قال لي: يا أخا عُرينة، هل لك دلالة بالطريق؟

قال ـ العرني ـ: قلت: نعم... أنا من أدرك الناس...

قال ـ الرجل الذي اشترى البعير ـ: فسر معنا...

قال ـ العرني ـ فسرت معهم، فلا أمر على واد، ولا ماء إلا سألوني عنه[2].

---

(١) مهرية: الإبل المهرية: جمع مهارى: وهي المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من عرب اليمن.

وقالوا: أنها كانت لا يعدل بها شيء في سرعة جريانها. المنجد في اللغة.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ٢٥٦ ـ ٤٥٧.



الحـوأب

روى المؤرخون من أن يعلى بن منية جاء إلى أم المؤمنين عائشة بجمل عظيم الجثة. . قوي البنية، يدعى ـ عسكر ـ قد اشتراه لها من رجل من ـ عرينة ـ مقابل ناقة مهرية، وستمائة، أو اربعمائة درهم على اختلاف الروايات. . . فاعجبها. . ورضيت به. ليكون مركبها أمام جيشها السائر لحرب علي بن أبي طالب كما أسلفنا.

ونادى مناديها. . لاستئناف السير نحو البصرة. . . فإذا ـ عسكر ـ يخطر أمام حشد زاخر من المقاتلين مزهواً بالهودج المهيب الذي ركز فوق سنامه، وبدا كحصن منيع لراكبته ـ عائشة ـ التي كانت الصارخة الأولى في اعلان الحرب. . التي مزقت وحدة الأمة الإسلامية. . ودمرت وشائج الصلات القائمة بين الأخوة في الإسلام.

سار الدليل، وهو رجل من عرينة، أمام الجيش، ليـدل على الطريق المؤدية إلى البصرة. فكان كلما نزل بمكان من الأمكنة أعلن عن اسمه، أو مر بماء صاح بصوته الجهوري: هذا الماء يُسمى كذا. . . وما قصده من ذلك إلا ليهون على السائرين بقية المراحل من الطريق.

تقول الروايات: أنه عندما أشرف الجيش على بقعة من بقـع الصحراء، رفع العرني صوته فأعلن. . ها قد وصلنا ماء الحوأب. . .

لكن صوته ضاع في دوي زمجرة نباح الكلاب الموجودة بكثرة في ذلك المكان..

وأعاد الرجل العرني ثانية: ها قد وصلنا ماء الحوأب...

فما إن سمعت أم المؤمنين عائشة باسم الحوأب... ورأت جمهرة الكلاب، التي أحاطت بالهودج تنبح نباحاً عالياً حتى ملكها هلع عظيم.. كمن لدغتها أفعى.. أو انقضت على رأسها صخرة..

فهتفت: وهي تلهث وصوتها يبدو كأنه آت من أعماق سحيقة: ماذا أسمع؟!..

ومدت أصابعها في قلق فحسرت بعض الستر الذي كان يغشي الهودج، وألقت نظرة على من حولها من الرجال.. فإذا نظرها يقع على قريبها محمد بن طلحة التيمي...

فسألته بلهفة: أي ماء هذا يا محمد؟..

فأجابها ابن طلحة بكل هدوء:

ماء الحوأب يا أم المؤمنين...

فصرخت قائلة: ما أراني إلا راجعة...

فقال محمد بن طلحة وقد بُهت لما أصاب عائشة:

راجعة...؟!.. ولِمَ..؟!.. تقدمي يرحمك الله...

لكن أم المؤمنين عائشة كانت في تلك اللحظات بحالة ارتباك.. واضطراب..

ليست تلك المرأة التي أتت معهم من مكة، راسخة القلب ثابتة الجنان.. ذات الارادة القوية والعنفوان الشديد...

بل أصبحت امرأة أخرى، تملكها الجزع.. والهلع.. وراحت تضرب عضد بعيرها ـ عسكر ـ مضطربة بغير وعي أو ارادة... حتى استحال صوتها إلى صرخة مدوية شقت سكون الصحراء...

... ردوني... ردوني... إني لهية...
فيم هذا الصراخ اذن... وهذا الجزع... والهلع..؟!

وقف كل من كان حولها حين سمعوا صرختها واجمين.. وذهبوا يتساءلون.. ويتهامسون.. ما السبب.. وماذا حدث؟!..

وقع الاضطراب في الجيش كأنما فاجأه عدو عنيد.. وأقبل الناس نحو أم المؤمنين عائشة في دهشة وتساؤل.. وأناخوا مطيهم حولها...

في تلك الساعة دلف من بينهم فتى يتوثب في مسيره كأنه ذئب يلمع الخبث على قسمات وجهه وفي عينيه بريق المكر... إنه عبد الله بن الزبير ربيب عائشة... وابن شقيقتها أسماء... حفيد أبي بكر...

أكب على خالته ليسألها بلهفة وتعجب!

... ما بك يا أماه..؟!..

فصاحت ثانية. ولم يبارحها خوفها واضطرابها:
إنا لله وإنا إليه راجعون... إنا والله صاحبة كلاب الحوأب..

... ردوني... ردوني...
وكانت هي صاحبة حديث كلاب الحوأب حقاً...

في تلك اللحظة ارتدت بها الذاكرة لكلمة الحق.. والحديث الشريف الذي نطق به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم عندما رأى بعلم الغيب ما سيكون من أمر زوجه عائشة، ومرورها بهذا المكان، وتنبحها كلابه، حيث ستذهب محاربة لعلي بن أبي طالب، ناهضة في فتنة شعواء تشنها على الإمام الحق.

ومنذ أيام قلائل أعادت لذاكرتها ضرتها أم سلمة زوج النبي حديث الرسول الأعظم وتحذيره إياها عن ركوبها غيها، والمسير على رأس جيش العصاة.

لكنها لم تسمع من أحد نصيحة... بل ركبت عنادها، واعتدادها بنفسها، حتى أغفلت حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. وتناسته.

أما الآن فقد تحقق لها كل ما قاله الرسول.. وها هو صوته الشريف يدوي في أذنيها دوياً عظيماً.. قائلاً: «إياك أن تكوينها يا حميراء»..

ودت أم المؤمنين عائشة في هذه اللحظة الحرجة لو أنها أصغت لنصح أم سلمة وهي تثنيها عن عزمها، وتذكرها بقول الرسول الأعظم وتحذيره.

لكن عبدالله بن الزبير.. الماكر كان يدرك الخطر الذي سينجم من موقف خالته عائشة لو عادت أدراجها من حيث أتت...

هذا الخطر الذي سيكون وبالاً على الدعوة الباغية التي قام بها أبوه.. الزبير.. وصاحبه طلحة.. لحرب الإمام علي (عليه السلام) بعد أن نكثا بيعته.

لقد كانت عائشة لواء جيشهم.. وقطب الرحى.. فقالا: أم المؤمنين، وزوج رسول الله...

وبهذا الإسم ... زوجة رسول الله ... استنفرا الناس لحرب علي ... لأنّ عامة الناس في كل زمان ومكان كانوا .. ولا زالوا ... يفتتنون في الأسماء ، والألقاب .

ولو أن عبدالله بن الزبير ترك خالته عائشة تعود أدراجها.. بهذه اللحظات التي اعترتها.. لتفرق أكثر الجيش عنهم...

وبذلك تكون العاقبة، حيث تفشل خطتهم التي رسموها في مؤامرتهم ضد أمير المؤمنين علي، وتذهب دعوتهم.. وتتقوض أركان مطامعهم التي أسسوها. على مناهضة خلافة الإمام علي.

عمل عبدالله بن الزبير في تدبير الأمر بكل ما أوتي من حيلة وخداع، عسى أن يحتفظ بخالته عائشة لتسير في مقدمة الصفوف.. ولتكمل المسيرة...

ولا يهمه أن يضحي بكل ما قررته الشريعة الإسلامية من الأمر بالصدق.. والنهي عن الكذب.. وتحريم شهادة الزور.. وعدم قسم اليمين الكاذبة...

والذي وعاه التاريخ: أن عبدالله بن الزبير أقسم لعائشة.. وأتاها بشهود من الأعراب أقسموا أمامها أيضاً: أن الماء ليس بماء الحوأب الذي تخشاه.. والذي حذرها منه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فكانت أول شهادة زور في الإسلام.

أجل.. لقد خشي عبدالله بن الزبير أن يكون في الجيش من يتردد في المسير إلى البصرة بعد أن سمع من عائشة قولها.. ردوني.. ردوني.. أو تترد عائشة حين يأتي من يقول الحقيقة أو يثبت لها أن هذا الماء هو ماء ـ الحوأب ـ الذي نهاها عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

عمل عبدالله بن الزبير على أن لا يفسح المجال للتريث أو التثبت وفتح جعبة كيده ومكره على حيلة جديدة تصرف القوم عما هم فيه من البلبلة والتساؤل..

أقبل وهو يصيح بصوت عال: النجاء... النجاء... قد أدرككم علي بن أبي طالب.

انطلت حيلة ابن الزبير على عائشة ومن معها، فركب الناس الخوف، وراحوا يستبقون إلى مطيهم مسارعين للفرار، والنجاة من ضربات علي بن أبي طالب المشهورة.

وما إن سمعت عائشة صيحة ابن أختها عبدالله بن الزبير قائلاً: النجاء... النجاء... الخ.. حتى استشاطت غضباً وذهب جزعها،

واستعادت حقدها الدفين خصوصاً حين تصور لها علي بن أبي طالب قابضاً على زمام الخلافة، وقد سلمته الأمة الإسلامية مقاليدها، وبايعته، ومنحته حبها وتقديرها. . .

وما أن بلغ بها التصور إلى هذا الحد حتى نفضت عنها غبار الجزع والهلع الذي انتابها من برهة قصيرة. . . سارعت إلى هودجها، وسارت أمام الجيش لتكمل المسيرة.

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي مخنف أنه قال: لما انتهت عائشة في مسيرها إلى الحوأب، وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، نبحتها الكلاب، حتى نفرت صعاب إبلها، فقال قائل من أصحابها: ألا ترون، ما أكثر كلاب الحوأب، وما أشد نباحها. . !

فأمسكت زمام بعيرها، وقالت: وأنها لكلاب الحوأب؟!. . .

. . . ردوني. . . ردوني. . . فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول. . . وذكرت الخبر.

فقال لها قائل: مهلا يرحمك الله! فقد جزنا ماء الحوأب. .
فقالت: فهل من شاهد؟

فلفقوا لها خمسين أعرابياً، جعلوا لهم جعلاً، فحلفوا لها: أن هذا ليس بماء الحوأب[1].

وفي الإمامة والسياسة لإبن قتيبة : أنّه لما انتهوا إلى ماء الحوأب في بعض الطريق ومعهم عائشة نبحها كلاب الحوأب . . . .

فقالت لمحمد بن طلحة: أي ماء هذا؟

قال: هذا ماء الحوأب.

فقالت: ما أراني إلا راجعة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ٦ ـ ص ٢٢٥.

قال ـ محمد بن طلحة ـ : ولِمَ؟

قالت ـ عائشة ـ سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لنسائه: كأني باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء..

فقال لها ـ محمد بن طلحة ـ : تقدمي رحمك الله، ودعي هذا القول.

وأتى عبدالله بن الزبير، فحلف بالله لقد خلفته أول الليل، وأتاها ببينة زور من الأعراب. فشهدوا بذلك... وهكذا.

فكانت أول شهادة زور شهد بها في الإسلام[1] .

هذا ما كان من أمر أم المؤمنين عائشة عند مرورها بالحوأب، وما كان من تناسيها لحديث الرسول الأعظم وتحذيره إياها، وبعد أن لعب بقلبها الحقد وعصفت بها الكراهية، أتمت مسيرتها مع اتباعها الذين ضحوا بكل القيم والشعائر الإسلامية وقدموها قرباناً لأغراضهم الدنيوية، فبدلوا وغيروا، وأحلوا شهادة الزور، واليمين الكاذبة..

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ـ ١ ـ ص ٦٣.



وصول جيش أم المؤمنين عائشة ومن معها إلى الحفير

تابع موكب عائشة مسيره من الحوأب، سالكاً الطريق إلى البصرة بعد أن انطلت، حيلة، ـ عبدالله بن الزبير ـ عليها حين قال: النجاء.. النجـاء، أدرككم ابن أبي طالب بجيشـه وخف الناس إلى الهـرب مسارعين.

ألقت عائشة وهي في هودجها نظرة على ما حولها من خلال الأستار الموضوعة على الهودج، فإذا الصحراء قد بدت أمـامها واسعة الأطراف، يغرق البصر في فضائها الرحيب.

وتلفتت يمنة.. ويسرة.. وإلى الوراء، فلم تر أي أثر لجيش علي بن أبي طالب.. لا عن يمينها.. ولا عن يسـارها.. ولا من خلفها.. ولا من أمامهـا، ولم تجد شيئاً ينبىء عن اقتراب جيش علي...

حينئذٍ أخذت تردد وكأنها تخاطب نفسها قائلة:

كانت إذن صرخة ابن أختي ـ عبدالله بن الزبير ـ حيلة لحملي، وحمل من معي على الإسراع في المسير..

وبعد مسيرها برهة من الزمن تراءت لها ـ الحفير[1] ـ على قيد مد البصر.. أما البصرة فإنها لا تزال على مسيرة يوم أو بعض يوم ليصبح ركب عائشة على مشارفها.

وأما أهل البصرة.. فإنهم آمنون مطمئنون مرتاحون بالأمير الجديد ـ عثمان بن حنيف ـ الذي أرسله أمير المؤمنين علي والياً...

ولا يدرون ما يكون من حالهم حينما يصبحهم.. أو يمسيهم جيش عائشة ومن معها، الزاحف نحوهم من البلد الحرام من مكة المكرمة.. التي يأمن فيها الطير. وأنهم والحالة هذه لا يعلمون من أمر هذا الجيش شيئاً...

لماذا هذا الجيش القادم؟!.. وما أهدافه؟!. وما يبتغي قادته؟!. مع أنه لم يكن لهم من مهمة تعود على المسلمين بالخير والعافية، تدفعهم لترك المدينة ومكة.

ذكر ابن الأثير في تاريخه: أنه لما ارتحل جيش عائشة من الحوأب وتوجه إلى البصرة، فلما أصبحوا بفنائها لقيهم عمير بن عبدالله التميمي ـ وكان من رجال عائشة المخلصين ـ تقدم نحوها وقال لها:

يا أم المؤمنين.. أنشدك الله أن تقدمي اليوم على قوم، لم

---

(١) الحفير: بلفظ التصغير: منزل بين ذي الحليفة وملل يسلكه الحاج. ماء لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال
وقال الحفصي: إذا خرجت من البصرة تريد مكة، فتأخذ بطن فلج فأول ماء ترد الحفير: قال بعضهم:

ولقد ذهبت مراغماً ... أرجو السلامة بالحفير
فرجعت منه سالماً ... ومع السلامة كل خير

والبئر إذا وسعت فوق قدرها سميت حفيراً قال أبو منصور: الأحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة: حفر أبي موسى، وهي ركايا أحفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة بينه وبين البصرة خمس ليال والثاني: حفر الرباب ماء بالدهناء من منازل تيم بن مرة. والثالث: حفر السبيع: موضع بالكوفة ينسب إليه أبو داود الحفري. راجع معجم البلدان لياقوت.

تراسلي منهم أحداً . . . فعجلي ابن عامر . . فإن له بها صنائع، فليذهب إليهم ليلقوا الناس إلى أن تقدمي ، ويسمعوا ما جئتم به .

ـ فأعجبها الرأي . . فأرسلته . . فاندس إلى البصرة، فأتى القوم .

أقول : أعجب عائشة رأي عمير التميمي الذي ارتآه . . من إرسال ابن عامر[١] تمهيداً لقدومها . . .

ولولا ما كانت فيه السيدة عائشة من ضيق وقلة النصحاء من أصحابها المتفرقي الاهواء والأغراض . . الذين لا يهمهم سوى مكاسبهم الشخصية ومطامعهم الدنيوية . . . لما ارتاحت لقول عمير حيث أجابته بقولها : جئتني بالرأي . . .

عملت بنصيحة التميمي . وأرسلت ابن عامر فاندس إلى البصرة ليختلط بالناس ويدعوهم لتأييدها . . .

ابن عامر هذا الذي تعلم عائشة أنه طريد أهل البصرة، منذ وقت قصير . . ولكن ما العمل . . . وما الحيلة لاستجلاب الناس أو استقطابهم . . على أي حال . . فهو أداة تملكها في وقتها العصيب . . ولا بد لها من الضرب بها . . عسى أن تعود عليها ببعض ما ترتجيه من التأييد والدعم، للفريق الذي تترأسه .

أجمع المؤرخون أن عائشة لما اقتربت من البصرة، كتبت إلى رجال من أهلها :

وكتبت أيضاً : إلى الأحنف بن قيس[٢] وصبرة بن شيمان، وأمثالهم

---

(١) ابن عامر: هو عبدالله بن عامر الذي كان والياً على البصرة من قبل الخليفة عثمان بن عفان وأحد صنائعه . . وقد مرَّ ذكره .

(٢) الأحنف بن قيس: أبو بحر صخر بن قيس التميمي . كان من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأدرك عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يره . وروى عنه الحسن البصري وغيرهما، وشهد صفين مع علي (عليه السلام) أميراً، وكان سيد أهل البصرة . كان نحيل الجسم دميماً قصيراً، صغير الرأس خفيف العارضين، قال له =

من الوجوه.. ومضت حتى إذ كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر.

= عمر بن الخطاب: ويحك يا أحنف.. لما رأيتك ازدريتك.. فلما نطقت، قلت: لعله منافق صنع اللسان. فلما اختبرتك حمدتك. ثم قال عمر: ـ هذا والله السيد. وقال الحسن البصري: ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف. وكان الأحنف حليماً، حتى صار يضرب به المثل في الحلم، وقد قال: كنا نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف إلى العلماء فنتعلم منهم العلم... وقال سفيان الثوري: ما وزن عقل الأحنف بعقل أحد إلا وزنه راجع أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين.
وفي أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري: صخر بن قيس بن معاوية بن حصين المعروف بالأحنف التميمي السعدي. وأمه امرأة من باهلة. وسُمي الأحنف لحنف رجله فإنه كان يطأ على وحشيها ـ أي ظهرها ـ أسلم في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يره، وكان سيد قومه موصوفاً بالعقل والدهاء، والعلم والحلم. شهد بعض الفتوح في زمن عمر وعثمان. واعتزل الجمل وشهد صفين مع علي (عليه السلام). ولما بايع معاوية ليزيد، تكلم الناس في مدحه، فقال له معاوية: مالك لا تقول يا أبا بحر؟.. فقال: أخاف الله إن كذبت.. وأخافكم إن صدقت. مات عن ثمانين سنة عام ٦٧ ودفن عند قبر زياد ـ بالثوية كان موضعاً بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة.

حال أهل البصرة عند وصول كتب عائشة إليهم

نجحت فكرة ـ عمير بن عبدالله التميمي ـ بعض النجاح، وكان لها أثر كبير في تحويل رأي بعض الناس.. لناحية عائشة...

وذلك عندما ذهب ابن عامر إلى البصرة داعية من قبل أم المؤمنين عائشة.. يمهد السبيل.. يـزيل العقبـات.. يحيي الأمل في نفوس أعوانه القدامى.. يدفعهم إلى العمل معه من أجل حزبه.. يعدهم الفوز.. والمجد...

اندس ـ ابن عامر ـ داعية السوء والفتنة بين أهل البصرة الذين هم على شاكلته. فراح وإياهم في إثارة الفوضى بين صفوف الناس. وعملوا جاهدين بنفث سموم الفتنة حتى افترق الناس شيعاً...

ـ منهم.. من أيد عائشة واتباعها بالمطالبة بدم عثمان...

ـ ومنهم.. من أشاعت الدعاية في نفـوسهم التردد والخـوف، فأصبحوا لا يعلمون بأي فريق يلتحقون... فريق عائشة ومن معها النازل على أبواب البصرة... أم فريق أمير المؤمنين علي الذي أعطوه البيعة طائعين وواليه بين أظهرهم ـ عثمان بن حنيف يعاملهم برفق وحسن رعاية وهم له مطمئنون.. وبه راضون...

ـ ومنهم. . الأكثرية والعقلاء من وجوه أهل البصرة وساداتها، بقيت هذه الفئة الصالحة على ولائها للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) متمسكة بايمانها بأنه الخليفة الشرعي الذي سيحملهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم.

هذه الأكثرية المؤمنة الصالحة وقفت صامدة لا تحيد عن رأيها ولا تتزعزع.

ذكر الطبري في تاريخه: أنه لما بلغ أهل البصرة ـ وصول عائشة ومن معها إلى مشارف البصرة ـ دعا عثمان بن حنيف ـ الوالي على البصرة من قبل أمير المؤمنين علي ـ عمران بن حصين[1] وكان رجل عامة. والزه[2] بأبي الأسود الدؤلي، وكان رجل خاصة[3].

فقال لهما: انطلقا إلى هذه المرأة ـ عائشة ـ فاعلما علمها وعلم من معها. . .

---

(١) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدها بعثه عمر معلماً للبصرة. ولما ولي ابن عامر استقضاه، فأقام قاضياً يسيراً، ثم استعفى. وكان به استسقاء، فثقب له سرير، فبقي عليه ثلاثين سنة، وتوفى بالبصرة سنة اثنتين وخمسين راجع أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري ـ ص ـ ١٨١ ـ وأسد الغابة ـ ج ٤ ص ـ ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) وفي تاريخ ابن الأثير: الزمه.

(٣) ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلي أدرك حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهاجر إلى البصرة على عهد عمر بن الخطاب، وتوفي سنة تسعة وستين في خلافة عمر بن عبد العزيز عن عمر يناهز ٨٥ سنة. كان أبو الأسود من علماء التابعين، وأصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وحضر معه صفين، وينسب إليه وضع علم النحو، أخذه عن أمير المؤمنين (ع) قال له: الكلام كلّه ثلاثة أضرب، إسم، وفعل، وحرف. وأراد زياد منه أن يكتب في ذلك كتاباً فلم يقبل. إلى أن سمع يوماً قارئاً يقرأ: إنّ الله بريء من المشركين ورسوله. . بكسر لام رسوله. فوضع كتاباً في النحو وهو أول كتاب كتب. وكان خطيباً عالماً، جمع شدة العقل، وصواب الرأي، وجودة اللسان، وقول الشعر والظرف ـ قال الراغب في المحاضرات عند ذكر أبي الأسود: هو أول من نقّط المصحف وأسّس أساس النحو بإرشاد علي (عليه السلام) وقيل إنّ أول من نقّط المصحف يحيى بن يعمر العدواني تلميذ أبي الأسود.

فخرجا ـ أبو الأسود الدؤلي وعمران بن حصين ـ فانتهيا إليها ، وإلى الناس وهم بالحفير .

فاستأذنا ـ على عائشة ـ فأذنت لهما . . .

فلما دخلا . . سلما . . وقالا : إن أميرنا ـ عثمان بن حنيف[1] بعثنا إليك . . . نسألك عن مسيرك . . فهل أنت مخبرتنا . . ؟ .

فقالت ـ عائشة ـ : والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم. . . ولا يغطي لبنيه الخبر. . .

وتابعت قولها: إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، واحدثوا فيه، الأحداث. . وآووا فيه المحدثين . . واستوجبوا فيه لعنة الله ، ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين ـ عثمان بن عفان ـ بلا ترة ولا عذر . . .

. . . فاستحلوا الدم الحرام، فسفكوه. . وانتهبوا المال الحرام. . وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام. . ومزقوا الأعراض، والجلود. . وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم. . ضارين مضرين. . غير نافعين، ولا متقين. . لا يقدرون على امتناع. . ولا يأمنون. . .

فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في اصلاح هذا. . . وقرأت:

﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو

---

(١) ذكر الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة: عثمان بن حنيف، من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قاله : العلامة والكشي نقلاً عن الفضل بن شاذان.

وفي كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري قوله: عثمان بن حنيف بن واهب بن الحكيم الأنصاري الأويسي أبو عمر ـ أو ـ أبو عبد الله شهدا أحداً ، وما بعدها . إستعمله عمر على مساحة العراق . واستعمله علي (عليه السلام) على البصرة ، فبقي عليها إلى أن قدمها طلحة ، والزبير ، وعائشة . وسكن عثمان بن حنيف بعدها الكوفة . وكان حياً إلى زمان معاوية بن أبي سفيان . راجع أسد الغابة ـ ج ـ ٣ ـ ص ـ ٢٧١ .

اصلاح بين الناس﴾[1].

ثم قالت ـ عائشة ـ : ننهض في الاصلاح ممن أمر الله عز وجل، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . الصغير والكبير . . والذكر والأنثى . . فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه . ومنكر ننهاكم عنه ، ونحثكم على تغييره .

ويتابع الطبري في تاريخه فيقول: خرج أبو الأسود الدؤلي وعمران بن حصين من عند عائشة، فأتيا طلحة بن عبيد التيمي . . .

فقالا له: ما أقدمك . . ؟

قال: الطلب بدم عثمان (رض).

قالا له: ألم تبايع علياً . . ؟

قال ـ طلحة ـ : بلى . . واللُّج[2] على عنقي، وما استقبل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان . . .

ثم خرجا وأتيا الزبير بن العوام.

فقالا له: ما أقدمك . . ؟ . .

قال: الطلب بدم عثمان (رض) . .

قالا له: ألم تبايع علياً . . ؟ . .

قال: بلى . . واللُّج على عنقي، وما استقبل علياً إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان.

فرجع كل من أبي الأسود وعمران بن حصين إلى أم المؤمنين عائشة فودعا ومضيا[3].

وذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: أنه لما نزل طلحة

---

(١) سورة النساء ـ آية ـ ١١٣.

(٢) وفي رواية ابن الأثير وغيره: والسيف على عنقي.

(٣) تاريخ الطبري: ج ـ٣ـ ص ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

والزبير وعائشة البصرة، قال عثمان بن حنيف: نعذر إليهم برجلين..

فدعا عمران بن الحصين، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأبا الأسود الدؤلي، فأرسلهما...

فذهبا إليهم فناديا: يا طلحة...

فأجابهما ـ طلحة ـ:

فتكلم أبو الأسود الدؤلي، فقال:

يا أبا محمد، إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، وبايعتم علياً، غير مؤامرين لنا في بيعته. فلم نغضب لعثمان إذ قتل، ولم نغضب لعلي إذ بويع...

ثم بدا لكم، فأردتم خلع علي، ونحن على الأمر الأول، فعليكم المخرج مما دخلتم فيه.

ثم تكلم عمران، فقال:

يا طلحة.. إنكم قتلتم عثمان، ولم نغضب له إذ لم تغضبوا. ثم بايعتم علياً، وبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صواباً... فمسيركم لماذا..؟!

وإن كان خطأ فحظكم منه الأوفر... ونصيبكم منه الأوفى.

فقال طلحة: يا هذان... إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر غيره... وليس على هذا بايعناه... وآيم الله ليسفكن دمه.

فقال أبو الأسود لعمران:

يا عمران... أما هذا ـ يعني طلحة ـ فقد صرح أنه إنما غضب للملك...

ثم أتيا ـ أبو الأسود ـ وعمران ـ الزبير، فقالا له:

يا أبا عبدالله.. إنا أتينا طلحة... وكلمناه...

قال الزبير: إن طلحة وإياي كروح في جسدين...

وإنه والله يا هذان، قد كانت منا في عثمان بن عفان، فلتات. . . احتجنا فيها إلى المعاذير. . ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا. . نصرناه.

ثم أتيا ـ عمران وأبو الأسود ـ فدخلا على عائشة. .

فقالا لها: يا أم المؤمنين. . ما هذا المسير. .؟!. .

أمعك من رسول الله به عهد. .؟!. .

قالت ـ عائشة ـ : قُتل عثمان مظلوماً. .

غضبنا لكم من السوط والعصا. . ولا نغضب لعثمان من القتل. .؟!. .

فقال أبو الأسود: وما أنتِ من عصانا. . . وسيفنا. . . وسوطنا. .؟!

فقالت عائشة:

يا أبا الأسود. . بلغني أن عثمان بن حنيف يريد قتالي. .

فقال أبو الأسود: نعم والله قتالاً أهونه تندر منه الرؤوس.

أقول: لا بد لنا من وقفة تأمل في كلام عائشة، وطلحة، والزبير، وأفعالهم، وأقوالهم المتناقضة، المتضاربة، التي تنبيء عن اضطراب في الأفعال، وتبلبل في الأفكار، وذلك من خلال انتحال الأعذار لتبرير خروجهم لحرب علي (عليه السلام) واعلان العصيان له. ونكث طلحة والزبير لبيعته. . .

نجدهم تارة يلبسون دعوتهم ثوباً براقاً. . ثوب الاصلاح بين الناس. . . وتارة نجدهم يبررون خروجهم للحرب تحت عنوان. . . المطالبة بدم عثمان. . الذي ما قُتل إلا بتحريضهم، وسيف أعوانهم، كما أسلفنا. والتاريخ شاهد على ذلك. . .

وأما الناكثان طلحة والزبير بالخصوص ـ تارة يطلبان الثأر لعثمان والمطالبة بدمه كما ذكرنا. . وتارة يحتجان بأن بيعتهما لعلي (عليه

السلام) كانت بالإكراه والضغط.. والسيف على عنقيهما كما يزعمان...

والذي وعاه التاريخ وشهد به المسلمون من أن الإمام علي بن أبي طالب لم يكره أحداً على بيعته ولم يحمل أحداً بأي ضغط أو مسايرة على متابعته. بل حمله المسلمون على قبوله الخلافة وبايعوه وهو غير راغب فيها.

ونجد الزبير وطلحة عندما يُحرجان حيث ترد عليهما أسئلة المستفسرين عن سبب نكثهما لبيعة علي وخروجهما عليه... يضطربان بالجواب إذ لم يتمكنا.. فطرياً.. من اخفاء أطماعهما الدنيوية التي يحاولان اخفاءها... وسرعان ما يسبق لسانهما فيكشف عن طويتهما فيقولان: بايعنا علياً على أننا شريكان معه في الأمر، وكلامهما هذا لا يقبله ذوو الحجى والايمان من المسلمين. لأنه من المعلوم أن الخلافة ليست ملكاً أو شراكة منفعة، بل هي منصب واحد ـ خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل على طبق الشريعة الإسلامية. ولكن كما قيل: ما كتم الإنسان شيئاً إلا وظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه. فنرى أبا الأسود الدؤلي عندما خاطب طلحة يلتفت إلى صاحبه عمران فيقول له: أما هذا فقد صرح أنه إنما غضب للملك.

نعم: إن طلحة والزبير وأتباعهما لم يغضبوا لإقامة الحدود والأخذ بثأر عثمان كما يزعمون. بل كان من وراء خروجهم للحرب دوافع شخصية وأطماع دنيوية صرفة، لا تخفى على كل ذي عقل ودين.



موقف عثمان بن حنيف الأنصاري من أصحاب الجمل

ذكر جميع المؤرخين وأصحاب السير: ما كان من أمر عثمان بن حنيف الأنصاري، ـ والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي ـ من أصحاب الجمل. وذلك عندما رجع إليه كل من أبي الأسود الدؤلي، وعمران بن حصين بالخبر.

لقد كان عثمان بن حنيف أرسل أبا الأسود ـ وعمران بن حصين إلى عائشة، وطلحة، والزبير عند نزولهم بمشارف البصرة ـ ليعلما علمهم، وما السبب الذي حملهم على الخروج. . .

رجع الرسولان يحملان إلى عثمان بن حنيف خبر القوم وما عقدوا عليه من العزم على خوض المعارك بزعمهم الأخذ بثأر عثمان بن عفان الخليفة المقتول. وأنهم لا يرضون عن الحرب بديلاً. . وأنهم غير مسالمين.

ونكتفي الآن بما أورده ابن جرير الطبري في تاريخه عند ذكر حوادث سنة ستة وثلاثين للهجرة. حيث يقول:

رجع كل من أبي الأسود الدؤلي، وعمران بن حصين ـ من مقابلة عائشة وطلحة والزبير ـ ومضيا حتى دخلا على عثمان بن حنيف . . فبدر أبو الأسود عمران ، فقال :

يـا ابن حنيف قـد أتيت فـانفـر وطـاعن القـوم وجـالـد واصبـر
وابـرز لـهـم مـسـتـلـئـمـاً وشـمـر

فقال عثمان بن حنيف: إنا لله وإنا إليه راجعون... دارت رحى الإسلام.. ورب الكعبة... فانظروا بأي زيغان تزيف[1].

فقال عمران بن حصين: أي والله.. لتعركنكم عركاً طويلاً.. ثم لا يساوي ما بقي منكم كثير شيء..

قال عثمان فأشر علي يا عمران..؟

قال عمران: إني قاعد.. فاقعد...

فقال عثمان: بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قال عمران: بل يحكم الله ما يريد.

وقام عثمان في أمره... فأتاه هشام بن عامر فقال: يا عثمان إن هذا الأمر الذي تروم يسلم إلى شر مما تكره»!

إن هذا فتق لا يرتق.. وصدع لا يجبر.. فسامحهم حتى يأتي أمر علي.. فأبى ـ عثمان...

ـ وتابع الطبري قوله ـ: نادى عثمان في الناس، وأمرهم بالتهيؤ، ولبسوا السلاح، واجتمعوا إلى المسجد الجامع...

---

(١) بأي زيفان تزيف: أي بأي جري تجري الأمور.

وفي كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري: أن ابن حنيف أجاب أبا الأسود عندما قال له: وابرز لهم مستلئماً وشمر ـ فقال ابن حنيف: أي والحرمين لأفعلن، وأمر مناديه فنادى الناس، السلاح، السلاح. فاجتمعوا إليه، وقال أبو الأسود الدؤلي:

أتينـا الـزبـيـر فـداني الـكـلام وطـلـحـة كـالـنـجـم أو أبـعـد
وأحـسـن قـولـيـهـمـا فـادح يـضـيـق بـه الخـطـب مستنـكـد
وقـد أوعدانا بجهـد الـوعيـد فـأهـون عـلـيـنـا بمـا أوعـدوا

وأقبل عثمان إلى الناس لينظر ما عندهم، وأمرهم بالتهيؤ. وأمر رجلاً ودسه إلى الناس... خَدِعا كوفياً قيسياً فقام.. فقال:

أيها الناس.. أنا قيس بن العقدية الحميسي... إن هؤلاء القوم الذين جاؤوكم ـ عائشة، وطلحة، والزبير ـ .

إن كانوا جاؤوكم خائفين.. فقد جاؤوا من المكان الذي يأمن فيه الطير ـ مكة ـ .

وإن كانوا جاؤوا يطلبون بدم عثمان (رض).. فما نحن بقتلة عثمان...

أطيعوني في هؤلاء القوم.. فردّوهم من حيث جاؤوا.

فقام الأسود بن سريع السعدي فقال: أو زعموا أنا قتلة عثمان؟!.. فإنما فزعوا إلينا، يستعينوا بنا على قتلة عثمان.. منا.. ومن غيرنا..

فحصبه الناس...

فعرف عثمان بن حنيف أن لهم بالبصرة ناصراً ممن يقوم معهم..

وأقبلت عائشة (رض) فيمن معها، حتى إذا انتهوا إلى المربد[1]، ودخلوا من أعلاه، أمسكوا، ووقفوا، حتى خرج عثمان بن حنيف فيمن معه...

وخرج إلى عائشة من أهل البصرة، من أراد أن يخرج إليها، ويكون معها.

---

(١) المربد محبس الإبل. ومربد البصرة سوق إبلها. وفي حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن مسجده كان مربداً ليتيمين في حجر معاذ بن عفراء. فاشتراه منهما معوذ بن عفراء، فجعله للمسلمين. فبناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجداً. قال الأصمعي: المربد: كل شيء حبست فيه الإبل، ولهذا قيل: مربد النعم بالمدينة، وبه سُمي مربد البصرة. وإنما كان موضع سوق الإبل. وكذلك كل ما كان من غير هذا الموضع أيضاً: إذا حُبست فيه الإبل. راجع معجم البلدان لياقوت.

فاجتمعوا بالمربد، وجعلوا يثوبون حتى غص المربد بالناس.. فكانت عائشة وطلحة والزبير، في ميمنة المربد ـ وكان عثمان بن حنيف في ميسرته.

فقام طلحة وتكلم وهو في ميمنة المربد: فأنصتوا له: فحمد الله وأثنى عليه، وذكر عثمان بن عفان وفضله، والبلد الحرام، وما استحل منه وعظم ما أتي إليه.

ثم دعا ـ طلحة ـ إلى الطلب بدم عثمان وقال: إن في ذلك إعزاز دين الله عز وجل، وسلطانه.

وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم، فإنه حد من حدود الله، وإنكم إن فعلتم، أصبتم، وعاد أمركم إليكم. وإن تركتم لم يقم لكم سلطان. ولم يقم لكم نظام.

ثم قام الزبير، وتكلم بمثل ذلك.

فقال من في ميمنة المربد ـ اتباعهم ـ: صدقا... وبرا.. وقالا الحق.. وأمرا بالحق.

وقال من في ميسرة المربد ـ وهم اتباع عثمان بن حنيف ـ: فجرا... وغدرا... وقالا الباطل. وأمرا به ـ يعنون بذلك طلحة والزبير ـ قد بايعا... ثم جاءا يقولان ما يقولان..!

وتحاثى الناس[١]... وتحاصبوا[٢]... وأرهجوا[٣]...

فتكلمت عائشة: وكانت جهورية الصوت[٤] فحمدت الله جل

---

(١) حثى التراب في وجهه رماه به.

(٢) تحاصبوا: تراموا بالحصباء. والحصباء صغارها وكبارها، والحصب الحجارة الصغيرة والكبيرة.

(٣) الرهج: الشغب. تراهجوا تشاغبوا.

(٤) جهورية الصوت: أي عالية الصوت.

وعز ، وأثنت عليه . . وقالت :

كان الناس يتجنون على عثمان (رض) ويزرون على عماله، ويأتوننا بالمدينة، ويستشيروننا فيما يخبروننا عنهم. ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم. فننظر في ذلك، فنجده، بريأ. . تقياً. . وفياً، ونجدهم، فجرة. . كذبة. . يحاولون غير ما يظهرون.

فلما قووا على المكاثرة، كاثروه. فاقتحموا عليه داره، واستحلوا الدم الحرام. . والمال الحرام. . والبلد الحرام، بلا ترة، ولا عذر.

ألا أن مما ينبغي. . لا ينبغي لكم غيره، أخذ قتلة عثمان بن عفان، واقامة كتاب الله عز وجل. . ثم قرأت:

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾[١] فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين، فقالت فرقة: صدقت والله وبرّت. . وجاءت والله بالمعروف.

وقال الآخرون: كذبتم والله ما نعرف ما تقولون. . .

فتحاثوا. . . وتحاصبوا. . . وأرهجوا. . .

فلما رأت ذلك عائشة، انحدرت، وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان بن حنيف، حتى وقفوا في المربد، في موضع الدباغين.

وبقي أصحاب عثمان على حالهم يتدافعون، حتى تحاجزوا، ومال بعضهم إلى عائشة. وبقي بعضهم مع عثمان على فم السكة.

وأتى عثمان بن حنيف فيمن معه، حتى كانوا على فم السكة ـ سكة المسجد[٢] عن يمين الدباغين، استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بفمها.

---

(١) سورة آل عمران ـ آية ـ ٢٣.

(٢) السكة: هي الطريق المستوية، والسكة الزقاق، وقيل: إنما سُميت الأزقة سككاً لاصطفاف الدور فيها كطرائق النخل. . راجع لسان العرب لابن منظور.

وفي تاريخ الطبري أيضاً: عن نصر بن مزاحم عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد، قال:

وأقبل جارية بن قدامة السعدي، فقال: يا أم المؤمنين ـ عائشة ـ: والله لقتل عثمان بن عفان، أهون من خروجك من بيتك، على هذا الجمل الملعون، عرضة للسلاح... إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة... فهتكت سترك.. وأبحت حرمتك. إنه من رأى قتالك، فإنه يرى قتلك...

ثم قال: ـ إن كنت يا أم المؤمنين ـ أتيتنا طائعة، فارجعي إلى منزلك... وإن كنت أتيتنا مستكرهة، فاستعيني بالناس[1]...

ويتابع الطبري قوله: فخرج غلام شاب من سعد إلى طلحة والزبير فقال: أما أنت يا زبير.. فحواري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأما أنت يا طلحة... فوقيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيدك... وأرى أمكما معكما..! فهل جئتما بنسائكما..؟!

قالا ـ طلحة والزبير ـ: لا...

قال ـ السعدي ـ: فما أنا منكما في شيء.. واعتزل.

وقال السعدي أيضاً: في ذلك.

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم ... هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها ... فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطي والأسياف
هُتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبر عنهم والكافي

وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة وكان محمد رجلاً

---

(١) جارية بن قدامة بن مالك بن زهير التميمي السعدي. اختلفوا في ادراكه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). شهد حروب علي (عليه السلام). وهو الذي حصر عبدالله الحضرمي بالبصرة، وحرق عليه الدار بالبصرة لما أرسله معاوية إليها ـ راجع أحاديث أم المؤمنين عائشة للعسكري ص ـ ١٨٤ ـ وأسد الغابة ـ ج ـ ١ ـ ص ـ ٢٦٣.

عابداً، فقال: أخبرني عن قتلة عثمان؟.

فقال ـ محمد بن طلحة ـ نعم... دم عثمان ثلاثة أثلاث...

ثلث على صاحبة الهودج، يعني عائشة...

وثلث على صاحب الجمل الأحمر يعني به طلحة...

وثلث على علي بن أبي طالب...

فضحك الغلام الجهني، وقال: ألا أراني على ضلال..؟!.. ولحق الجهني بعلي بن أبي طالب وقال في ذلك شعراً.

سألت ابن طلحة عن هالك بجوف المدينة لم يقبر
فقال: ثلاثة رهط هُم أماتوا ابن عفان واستعبر
فثلث على تلك في خدرها وثلث على راكب الأحمر
وثلث على ابن أبي طالب ونحن بدوّيّة قرقر
فقلت صدقت على الأولين وأخطأت في الثالث الأزهري[1]

وروي أنه عندما بلغ طلحة نبأ حديث ابنه محمد مع الفتى الجهني سارع إلى ولده، يلحاه.. ويؤنبه: قائلاً:

أتزعم عنا.. قولك: إني قاتل عثمان..! وكذلك تشهد على أبيك؟!

فسكت محمد ولم يجب أباه بشيء. عند ذلك صاح طلحة بولده مغضباً حنقاً:

«كن كعبدالله بن الزبير.. فوالله ما أنت بخير منه.. ولا أبوك بدون أبيه... وكف عن قولك هذا... أو فارجع... فإن نصرتك نصرة رجل واحد... وفسادك فساد عامة..!

فأجابه حينئذ من دون مواربة قائلاً:

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ٣ـ ص ـ ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

ما قلت إلا حقاً ولن أعود[1]...

أقول: حسب كل من أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير أن دعوتهم الناس لحرب علي (عليه السلام)، وخروجهم عليه، والسير في طريق الفتنة سوف يتقبلها أصحاب العقول الراجحة، والعقيدة الراسخة.. وإن ألبسوا دعوتهم ثوب الاصلاح والطلب بدم عثمان... فيا لها من دعوة... ويا له من مخرج شق عصا المسلمين وأربك الأمة الإسلامية مدى الدهر...

لقد سمع أصحاب الجمل صوت الإنكار عليهم مرتفعاً عالياً... من أول خطوة خطوها من مكة.. لكنهم كانوا يسمعون بآذانهم... ولا تعي قلوبهم المملوءة بالحسد والحقد على علي بن أبي طالب، الطافحة بحب الدنيا والأمرة والسلطان.

لقد حملت لهم شكوك الناس فيهم، ونظرتهم إليهم أنواعاً من النصح لهم.. والنهي والزجر لما يرتكبوه من الخطأ تلو الخطأ.. وردعم عن الانحراف عن جادة الصواب.

وأخيراً أدى الأمر بالناس إلى تأنيبهم بشكل تهكم وازدراء...

وهذا يتراءى لنا من قول الفتى السعدي الذي مرَّ ذكره ـ لطلحة والزبير:

«أراكما قد خرجتما بأمكما ـ عائشة ـ... فهل جئتما بنسائكما؟!..».

فلما أجاباه بالنفي، هز كتفيه تهكماً، ثم لوى وجهيهما قائلاً:

«ما أنا إذاً منكما في شيء..».

ومضى يترنم بأبيات من الشعر.. يصور سخريته لهم، مزرياً بهما أشد الإزراء. حيث يقول: صنتم حلائلكم وقدتم أمكم... الخ.

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ـ ٦٥.

كل هذه التهكمات لم تكن بحسبان عائشة وطلحة والزبير، الذين لم يتراءى أمام أعينهم سوى وهج شمس النصر المزعوم، الذي يأملونه.

ونرى من الواضح أنه عندما أتى شاب من جهينة إلى محمد بن طلحة، يسأله عن قتلة عثمان. لم يسعه إلا الإجابة بالرأي الذي يرتئيه.. دم عثمان ثلاثة أثلاث... الخ.

يا لها من شهادة صريحة واضحة من إدانة طلحة جاءت على لسان أقرب الناس إليه ابنه «محمد». فلقد صك سمعه حديث ولده «محمد» مع الفتى الجهني وإجابته العفوية... فاسرع إليه يعاتبه ويؤنبه كما أسلفنا.

وهذه الشهادة التي جاءت على لسان محمد بن طلحة الموجود مع أبيه في جيش العصاة، لهي أكبر دليل على اعتقاد الناس ورأيهم بأن خروج القوم للمطالبة بدم عثمان لم يكن حقاً.. وإنما هو ذريعة للانتفاضة على أمير المؤمنين علي والخروج عليه. ولا ينكر اخلاص محمد بن طلحة لأبيه وعائشة والزبير إذ هو منهم ولهم. لكن لم يسعه إلا الإجابة باشراك علي معهم. ومن أجل هذا قال له الجهني: صدقت على الأولين.. وأخطأت في الثالث.



دخول أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير البصرة

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة أنه: لما نزل طلحة، والزبير، وعائشة البصرة. اصطف لها الناس في الطريق، يقولون:

يا أم المؤمنين، ما الذي أخرجك من بيتك..؟!

فلما أكثروا عليها.. تكلمت بلسان طلق.. فحمدت الله، وأثنت عليه، ثم قالت:

أيها الناس... والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه.. ولقد قُتل مظلوماً.

غضبنا لكم من السوط والعصا، ولا نغضب لعثمان من القتل...

وإن من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان.. فيقتلوا به..

ثم يرد هذا الأمر شورى.. على ما جعله عمر بن الخطاب... ـ ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان . ـ على رواية الطبري[1].

أقول: المفهوم من كلام السيدة عائشة أمران:

أولاً : قولها: ـ وإن من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به ـ ومفاد ذلك التحريض على قتل علي بن أبي طالب (عليه السلام)

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٥ ـ ص ١٧٨.

حيث ألصقت دم عثمان به.

ثانياً: قولها: يجعل الأمر شورى ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان. ومفاده أيضاً: خروج علي من الشورى التي ترتئيها عائشة، فلا يحوز الإمام علي الخلافة ولا تصل إليه.. بعد ما ألصقت مقتل عثمان به.

وبعد ذلك لا يهم أم المؤمنين عائشة لمن تؤول الخلافة ولا من يتربع على سدة الحكم بعد تنحية علي بن أبي طالب.

ويتابع ابن قتيبة: أنه حين سمع الناس كلام أم المؤمنين اختلفوا عليها.. فمن قائل يقول: صدقت. وآخر يقول: كذبت.

فلم يبرح الناس يقولون ذلك، حتى ضرب بعضهم وجوه بعض.

فبينما الناس كذلك.. أتاهم رجل من أشراف البصرة، بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان بن عفان.

فقال الرجل لطلحة : هل تعرف هذا الكتاب ؟

قال طلحة: نعم...

قال الرجل: فما ردك على ما كنت عليه؟ وكنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان.. وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه..!

وقد زعمتما أن علياً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله... إذ كنتما أسن منه. فأبيتما إلا أن تقدماه لقرابته، وسابقته، فبايعتماه.

فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما..؟..

قال طلحة: دعانا إلى البيعة، بعد أن اغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض أنه غير فاعل. ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نرد بيعته.

قال الرجل: فما بدا لكما في عثمان..؟

قال طلحة: ذكرنا ما كان من طعننا عليه، وخذلاننا إياه، فلم نجد من ذلك مخرجاً إلّا الطلب بدمه .

قال الرجل: ما تأمرانني به..؟..

قال طلحة والزبير: بايعنا على قتال علي.. ونقض بيعته..

قال الرجل: أرأيتما إن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ما تدعوان إليه... ما نصنع...؟

قالا ـ طلحة والزبير ـ: لا تبايعه...

قال الرجل: ما أنصفتما... أتأمرانني أن أقاتل علياً.. وانقض بيعته.. وهي في أعناقكما..!! وتنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما..؟!

أما إننا قد بايعنا علياً... فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا.!!

ثم تفرق الناس، فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف، وفرقة مع طلحة والزبير بقيادة أم المؤمنين عائشة[1].

---

(١) الإمامة والسياسة: لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ٦٨ ـ ٩.



محنة أهل البصرة بدخول أم المؤمنين عائشة واتباعها إليها

لما نزلت عائشة واتباعها البصرة، ساد الاضطراب والفوضى فيها بين الناس، فلا يتلاقى رجلان من أهلها.. أو ثلاثة، إلا وجرى بينهم مناقشة حادة ونزاعاً قد يؤدي إلى القتال. إذ كان الخطب الذي دهاهم من الجيوش الزاحفة نحوهم والمعارك التي ستدور على أرضهم وما تجره عليهم من ويلات هو حديث أهل البصرة وشغلهم الشاغل في ذلك الحين.

لم يبق بيت في البصرة ذاق طعم الهدوء والاستقرار، ولا قبيلة من قبائل البصرة وجوارها إلا وتشتت آراؤها، ففريق مع هذا... وفريق مع ذاك...

تفرق الناس أشتاتاً وتشعبوا شعباً... منهم من أيد عائشة باعتبارها زوج النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).. وأم المؤمنين.. وقد فتنتهم بدعوتها البراقة هي وطلحة والزبير.. الطلب بدم عثمان..

وفريق مع عثمان بن حنيف الأنصاري عامل الإمام علي على البصرة. هذا الفريق هو في الواقع الذي ناصر الحق وأنكر الباطل وبقي على ولائه لأمير المؤمنين علي.. هذا الفريق الذي ثبت على عقيدته.. ووفى ببيعته.. وحافظ على المبدأ الذي اختطه، فرأى لزاماً عليه نصرة

الحق والمثل العليا التي كافح من أجلها المسلمون فلم يثنه عن عزمه شيء إذ لم يستطع هذا الفريق صبراً على ما يشاهد من ثمار جهاد المسلمين سنوات طويلة لتركيز دعائمه توشك هذه الثمار أن يبتزها حزب عائشة واتباعها وترجعهم إلى ما كانوا فيه بالأمس في عهد عثمان بن عفان الذي كان مروان بن الحكم واضرابه من تلك الشرذمة من الولاة المنبوذين، يحميهم عثمان المتربع على عرش الخلافة، يتلاعبون بالمسلمين ومقدراتهم.

هبت رياح الحرب في أجواء البصرة.. وتعالت عاصفة هوجاء من شأنها أن تؤدي بسفينة المسلمين إلى الغرق ـ لولا لطف الله ـ.

إنك لتكاد تشهد كيف كان الناس يتوثب بهم حماسهم.. فتسمع أصواتهم تبدأ همساً وتشتد.. وتعلو حتى تصبح صياحاً.. يتهافتون مغضبين.. تلعب بهم ثائرة الثورة.. وترتجف في أكفهم رماحهم. حيث أنهم في تلك كانوا شيعاً يدافع كل عن حزبه، ويؤيده ولا يرى غيره، ولو سفك في طريقه دمه. فكانت الحرب.

ذكر كل من الطبري وابن الأثير وابن قتيبة في تاريخهم. والسيد محسن الأمين في أعيان الشيعة وغيرهم. قصة نزول عائشة واتباعها إلى البصرة وموقفهم من عاملها عثمان بن حنيف: أنه لما تواقف الفريقان للحرب، أقبل حكيم بن جبلة العبدي[1] وهو على الخيل، فانشب القتال.

---

(١) حكيم بن جبلة بن حصين بن أسود العبدي. أدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان رجلاً صالحاً ديناً، مطاعاً في قومه. وهو الذي بعثه عثمان إلى السند، فنزلها ثم قدم على عثمان فسأله عنها فقال: ماؤها وشل، ولصها بطل، وسهلها جبل إن كثر الجند بها جاعوا، وإن قلوا بها ضاعوا، ثم كان حكيم بن جبلة هذا ممن يعيب عثمان من أجل عبدالله بن عامر وغيره من عماله. ولما قدم الزبير وطلحة وعائشة البصرة بعث عثمان بن حنيف حكيم بن جبلة العبدي في سبعمائة من عبد القيس، وبكر بن وائل فلقي القوم فقاتلهم قتالاً شديداً وقتل رحمه الله قتله رجل من بني حدان. راجع الاستيعاب لابن عبد البر ـ حاشية الإصابة ـ.

وأشرع أصحاب عـائشة رمـاحهم، وأمسكوا.. ليمسـك حكيم وأصحابه، فلم ينته.. وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها ويقول:

طعنـا دراكـاً إنهـا قـريش ليـردينهـا جبنهـا والـطيش

واقتتلوا على فم السكة.. وأشرف أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى، فرموا الآخرين بالحجارة واشتد القتال. وحجز الليل بينهم. ورجع عثمان بن حنيف إلى القصر...

وأتى أصحاب عائشة إلى ناحية دار الرزق، وباتوا يتأهبون.. وبات الناس يأتونهم واجتمعوا بساحة دار الرزق.

وأصبح عثمان بن حنيف فنـاداهم... وغدا حكيم بن جبلة.. فاقتتلوا بدار الرزق قتالاً شديداً إلى الزوال.

وكثـر القتـل في أصحـاب ابن حنيف. وكثـر الجـراح في الفريقين...

فلما عضتهم الحرب، تنادوا إلى الصلح، وتوادعوا. فكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها: فإن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة، خرج ابن حنيف عن البصرة.. وإلا خرج عنها طلحة والزبير. وهذا نص الكتاب كما في تاريخ الطبري.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اصطلح عليه طلحة، والزبير، ومن معهما من المؤمنين والمسلمين. وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين. إن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح. على ما في يده. وإن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح على ما في أيديهما حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة.

ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد، ولا سوق، ولا طريق، ولا فرصة بينهم عيبة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر.

فإن رجع كعب بالخبر بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالأمر أمرهما، وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيته، وإن شاء دخل معهما.

وإن رجع كعب بن سور بالخبر من المدينة بأنهما ـ أي طلحة والزبير ـ لم يُكرها على البيعة فالأمر أمر عثمان. فإن شاء طلحة والزبير أقاما على طاعة علي، وإنْ شاءا خرجا حتى يلحقا بطيتهما.. والمؤمنون أعوان الفالح منهما.

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: أنه لما اختلف القوم اصطلحوا على أن لعثمان بن حنيف ـ دار الإمارة ومسجدها، وبيت المال...

وأن ينزل أصحابه حيث شاؤوا من البصرة. وأن ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤوا.. حتى يقدم علي...

فإن اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس، وإن يتفرقوا يلحق كل قوم بأهوائهم. عليهم بذلك عهد الله وميثاقه. وذمة نبيه. واشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً.

فانصرف عثمان فدخل دار الإمارة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم. ويضعوا سلاحهم وافترق الناس.

وذكر ابن الأثير في تاريخه: أنه لما عضت الحرب أصحاب عائشة وأصحاب عثمان بن حنيف، تنادوا إلى الصلح وتوادعوا، فكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً إلى المدينة يسأل أهلها إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة... أم لا...

واتفقوا على رجل اسمه كعب بن سور أن يكون رسولهم إلى أهل المدينة[1].

---

(١) كعب بن سور: هو ابن بكر بن عبد الأسدي من القسامل من بني لقيط، أسلم في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يصحبه فعدوه من التابعين، قال ابن عبد البر: بعثه عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة. وكان كعب بن سور يوم الجمل آخذاً بخطام جمل عائشة، وفي عنقه المصحف، وفي يده عصا. فجاءه سهم غرب ـ لا يدري من رماه ـ فقتله.

سار كعب بن سور إلى أهل المدينة، يسألهم: فلما قدمها، اجتمع الناس إليه، وكان ذلك اليوم، يوم جمعة فقام، وقال:

ـ يا أهل المدينة... أنا رسول أهل البصرة.. إليكم، نسألكم: هل أكره طلحة.. والزبير على بيعة علي.. أم أتياها طائعين..؟.

فلم يجبه أحد.. إلا أسامة بن زيد، فإنه قام وقال:

ـ أنهما بايعا وهما مكرهان..

فأمر بـه تمـام بن العباس، فواثبه سهل بن حنيف[1]، والناس...

وثار صهيب.. وأبو أيوب في عدة.. فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا أن يقتل أسامة، ـ وكان أسامة هذا عثمان الهوى ـ.

وأخذ صهيب أسامة بيده وأدخله إلى منزله... ورجع كعب إلى البصرة...

وبلغ علياً الخبر.. فكتب إلى عثمان بن حنيف يحجزه[2] وقال:

«والله ما أكرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل[3] فإن

---

(١) سهل بن حنيف هو من الموالين لأمير المؤمنين علي والمقبولين من الصحابة الذين مضوا على منهاج نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يغيروا ولم يبدلوا، كما ذكره الحر العاملي في كتابه الوسائل ج ـ ٢٠ ـ ص ٩٠ ـ وروى الكشي وغيره مدحه وفي أحاديث عائشة: سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم الأوسي شهد بدراً وما بعدها. وثبت يوم أحد مع رسول الله حين انهزمت الصحابة عنه. استخلفه علي على المدينة عندما توجه إلى البصرة وشهد صفين مع علي، وولاه بلاد فارس. ومات سهل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، وصلى عليه علي، وكبر عليه ستاً، وقال إنه بدري. راجع أسد الغابة: ج ـ ٢ ـ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

(٢) وفي رواية الطبري ـ وأعيان الشيعة: يعجزه.

(٣) لعل المراد أنه إن صح أن طلحة والزبير أكرها.. فلم يكرها على أمر قبيح كالفرقة، حتى يتركا ما أكرها عليه، ولو فرض الإكراه فهو على جماعة وفضل ـ وليس على فرقة. فليس لهما مخالفة ذلك وقد عرفت أنهما بايعا طائعين. لكن طمعهما بالدنيا وانحيازهما إلى هواهما، ومسير علي (عليه السلام) على جادة الحق والعدل والإنصاف والمساواة جعلهما ينكثان بيعتهما.. ويتذرعان بالإكراه.

كانا يريدان الخلع.. فلا عذر لهما.. وإن كانا يريـدان غير ذلـك نظرنا.. ونظروا..».

فقدم الكتاب ـ كتاب علي بن أبي طالب ـ على عثمان بن حنيف.

وقدم كعب بن سور بالخبر إلى أهل البصرة ـ إلى عائشة واتباعها ـ فارسلوا إلى عثمان بن حنيف ليخرج... فاحتج عثمان بالكتاب، وقال: هذا أمر آخر غير ما كنا فيه[1]..

أقول: إن أهل المدينة أجمعوا على أن طلحة والزبير لم يكرههما أحد على بيعة علي (عليه السلام) لكن أسامة بن زيد الذي هو عثماني الهوى، قال: إنهما بايعا مكرهان. لذلك أنكر عليه أهل المدينة ذلك كما أسلفنا.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ١١٠.

الغدر بوالي البصرة عثمان بن حنيف

سبق منا الكلام أن طلحة والزبير اصطلحا مع عثمان بن حنيف على إرسال رسول إلى المدينة ، فأرسلوا كعب بن سور ليستطلع لهم حقيقة الحال .

وكتبوا عهداً بينهم على أن يقيم كل فريق منهما حيث أدركه الصلح أو الهدنة. ولا يضار أحد منهم في مسجد، ولا سوق، ولا طريق، حتى يأتيهم رسولهم من المدينة بحقيقة مبايعة الزبير وطلحة لأمير المؤمنين علي.

لكن الغدر كان من شيم طلحة والزبير والذين جاؤوا معهم يقطعون الفيافي والقفار لاهثين وراء الجمل - عسكر - لأمر هم بيتوه . . . فأبطنوا غير ما أظهروا . . .

لقد رسموا خطاهم إلى هدف بينهم. وجاؤوا واجتمعوا. . وما كان لهم من غاية إلا نقض بيعة أمير المؤمنين علي واستلاب سلطانه، تحت ستر موهوم، ودعاية كذوبة. . دم الخليفة القتيل.

لم يرضهم ما جاء به كعب بن سور رسولهم إلى المدينة، ولم يرق لهم كتاب أمير المؤمنين علي إلى واليه عثمان بن حنيف.

هذا الكتاب الذي يحمل بين سطوره نور الحق لمن أرادالتبصر.. ويهتك حجب الأباطيل التي اخترعوها، وابتدعوها، واخفوا في أنفسهم المطامع والمآرب.

نعم لجوا في الغي.. ومضوا في ضلالهم.. وسلكوا طريق الغدر.. وهم الفئة الباغية...

وجاء في تاريخ ابن الأثير أنه: لما رجع كعب بن سور من المدينة إلى البصرة بما سمعه من أهل المدينة وما رآه. أرسل طلحة والزبير واتباعهما إلى عثمان بن حنيف ليخرج... فاحتج عثمان بالكتاب الذي كان بينه وبينهم وهو كتاب الصلح ـ وأن ما جاء به كعب غير ما اتفق عليه. ـ وقال لهم: هذا أمر آخر غير ما كنا فيه. ـ إذ لم يعارض سوى أسامة بن زيد ـ. ـ عند ذلك تآمروا فيما بينهم وبيتوا الغدر ـ فجمع طلحة والزبير الرجال، في ليلة مظلمة، ذات رياح ومطر.. ثم قصدا المسجد...

فوافقا المسجد صلاة العشاء. وكانوا من عادتهم يؤخرونها...

فأبطأ عثمان بن حنيف في الحضور إلى المسجد ـ ليؤم الناس ـ

عند ذلك قدما ـ طلحة والزبير ـ عبد الرحمن بن عتاب ـ ليصلي بالناس.

فشهر الزط[١] والسبابجة[٢] السلاح، ثم وضعوه فيهم، فأقبلوا عليهم، فاقتتلوا في المسجد فقتلوا وهم أربعون رجلاً[٣].

---

(١) الزط: جبل أسود من السند إليهم تنسب الثياب الزطية. وهم جنس من السودان والهنود، والواحد زطي، مثل الزنج والزنجي، والروم والرومي. لسان العرب لابن منظور.

(٢) السبابجة بالباءين الموحدتين والجيم. قال الجواهري: السبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراساً.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ٣ـ ص ١١٠.

وفي تاريخ الطبري: جمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح وندى. ثم قصدا المسجد.. فوافقا صلاة العشاء، وكانوا يؤخرونها..

فابطأ عثمان بن حنيف، فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر الزط، والسبابجة السلاح، ثم وضعوه فيهم. فأقبلوا عليهم. فاقتتلوا في المسجد، وصبروا لهم، فأناموهم وهم أربعون رجلاً. وأدخلوا الرجال على عثمان بن حنيف ليخرجوه إليهما. فلما وصل إليهما توطؤوه، وما بقيت في وجهه شعرة[1].

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: مكث عثمان بن حنيف في الدار أياماً...

ثم إن طلحة والزبير، ومروان بن الحكم أتوه ـ عثمان بن حنيف ـ نصف الليل، في جماعة معهم. في ليلة مظلمة سوداء مطيرة. وعثمان نائم...

فهجموا على الدار، فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس، فخرج عثمان بن حنيف، فشد عليه مروان بن الحكم فأسره، وقتل أصحابه.

فأخذ مروان بن الحكم عثمان بن حنيف، فنتف لحيته، ورأسه، وحاجبيه...

فنظر عثمان بن حنيف إلى مروان فقال: أما إنك إن فتني بها في الدنيا، لم تفتني بها في الآخرة[2].

وفي تاريخ الطبري عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة، يستشيرونها في أمره.

فقالت عائشة: اقتلوه..

---

(1) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ٤٨٥.

(2) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ٧٠.

فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان بن حنيف، وصحبته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قالت عائشة: ردوا أباناً...

فردوه... فقالت له: احبسوا عثمان ولا تقتلوه...

فقال أبان: لو كنت أعلم أنك تدعينني لهذا... لم أرجع.

فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته...

فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته، وحاجبيه، ورأسه، واشفار عينيه، وحبسوه.

وفي تاريخ الطبري أيضاً: لم يلبث ـ القوم ـ إلا يومين من كتاب الصلح، الذي كتبوه بينهم، حتى وثبوا عليه ـ أي على عثمان بن حنيف ـ فقاتلوه بالزابوقة[1] عند مدينة الرزق.. فظهروا عليه ـ ولم ينتظروا رجوع كعب بن سور رسولهم إلى المدينة ـ.

وأخذوا عثمان، فأرادوا قتله، ثم خشوا غضب الأنصار[2] فنالوه في شعره ـ بالنتف ـ وجسده بالضرب[3].

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير: لما أرادوا قتل عثمان بن حنيف، قال لهم: أما أن سهلاً أخي[4] بالمدينة.. فإن قتلتموني.. انتصر...

---

(١) الزابوقة: هو موضع قريب من البصرة، كانت فيه وقعة الجمل أول النهار، وهو مدينة المسامعة بنت ربيعة بالبصرة وهم بنو مسمع بن شهاب من بكر بن وائل راجع معجم البلدان لياقوت.

(٢) الأنصار هم أهل المدينة المنورة الذين نصروا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعثمان بن حنيف الأنصاري والي البصرة هو من قبيلة الأوس في المدينة. فلما وقع عثمان في أيدي طلحة والزبير واتباعهم، وأرادوا قتله خشوا على أهليهم بالمدينة من غضب الأنصار وخافوا من الانقضاض على أهليهم والانتقام منهم. فكفوا عن قتله واكتفوا بتعذيبه.

(٣) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ٤٨٦.

(٤) سهل بن حنيف والي المدينة المنورة من قبل علي (عليه السلام) وهو أخو عثمان بن=

فخلوا سبيله، فقصد علياً.

وفي تاريخ اليعقوبي: قدم القوم ـ أصحاب الجمل ـ البصرة، وعامل علي عليها عثمان بن حنيف، فمنعها ومن معها من الدخول، فقالا ـ طلحة والزبير ـ: لم نأتِ لحرب وإنما جئنا لصلح.

فكتبوا بينهم وبينه كتاباً... أنهم لا يحدثون حدثاً إلى قدوم علي بن أبي طالب. وإن كل فريق منهم آمن من صاحبه.. ثم افترقوا.

فوضع عثمان بن حنيف السلاح... ـ فغدروا به ـ فنتفوا لحيته، وشاربه.. واشفار عينيه.. وحاجبيه...

ثم انتهبوا بيت المال، وأخذوا ما فيه...

= حنيف والي البصرة. ففي الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني قوله: «سهل بن حنيف بن واهب، الأنصاري الأوسي: يكنى أبا سعد، وأبا عبدالله. من أهل بدر. روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وعن زيد بن ثابت. رواه ابناه أبو أمامة أسعد، وعبدالله أو عبد الرحمن، وأبو وائل، وعبيد بن السباق، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم.
كان من السابقين، وشهد بدراً، وثبت يوم أحد حين انكشف الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وبايع يومئذ على **الموت**. وكان ينفح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبل... فيقول النبي: **نبلوا سهلاً**... فإنه سهل.
وكان عمر بن الخطاب يقول: سهل غير حزن. وشهد أيضاً: الخندق.. والمشاهد كلها مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). واستخلفه الإمام علي (عليه السلام) على البصرة بعد موقعة الجمل. ثم شهد معه صفين.. قال الواقدي: حدثني عبد الرحمن بن العزيز الإمامي عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه قال: مات سهل بن حنيف بالكوفة وصلى عليه علي بن أبي طالب (عليه السلام). وقال المدائني: مات سهل سنة ثمان وثلاثين وقال عبدالله بن معقل صلى عليه الإمام علي بن أبي طالب: فكبر ستاً.. وفي رواية: خمساً. ثم قال: **إنه بدري**. وفي الوسائل للحر العاملي: أن سهل بن حنيف من الصحابة الذين مضوا على منهاج نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم). ولم يغيروا ولم يبدلوا. مثل سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم التيهان، وعثمان بن حنيف وأخويه، وعبادة بن الصامت، وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخدري. وأمثالهم (رضي الله عنهم).
وسائل الشيعة: ج ـ ٢٠ ـ ص ٩٠.

فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير - في إمامة المسلمين - وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة...

وصاح الناس: الصلاة... الصلاة... يا أصحاب محمد...!!

فقالت عائشة: يصلي محمد بن طلحة يوماً.. وعبدالله بن الزبير يوماً.. فاصطلحوا على ذلك.

وفي كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري: نقلاً عن الطبقات: ٥ - ٣٩ -: تدافع طلحة والزبير حتى كادت الصلاة تفوت.. ثم اصطلحا على أن يصلي عبدالله بن الزبير صلاة، ومحمد بن طلحة صلاة.

فذهب ابن الزبير يتقدم.. فأخره محمد بن طلحة...

وذهب محمد بن طلحة يتقدم.. فأخره عبدالله بن الزبير عن أول صلاة...

فاقترعا.. فقرعه محمد بن طلحة. فتقدم فقرأ: سأل سائل بعذاب واقع.

وفي الأغاني: قال شاعرهم في ذلك:

تبارى الغلامان إذ صليا ... وشح على الملك شيخاهما
ومالي وطلحة وابن الزبير ... وهذا بذي الجزع مولاهما
فأمهما اليوم عزتهما ... ويعلى بن منية دلاهما

وهكذا كان موقف أصحاب الجمل من الصلاة وإمامتها والمبادرة إلى السلطة.. ومما ذكرنا آنفاً وفيما سبق في هذا الفصل يتضح لنا أنه لم يكن قصد السيدة عائشة واتباعها هو الأخذ بثأر الخليفة عثمان.. وإنما كان الطلب بدمه سلماً لتجميع الناس الموالين له حولهم كي يحوزوا على السلطة ومركز الخلافة ولعلهم بفعلهم هذا يتمكنون من انتزاع الخلافة من صاحبها الشرعي أمير المؤمنين علي..

والذي يتأمل بإمعان وروية يعلم كل ذلك شرط أن لا تأخذه عصبية الطائفية العمياء التي نعاني منها اليوم كما عانى منها آباؤنا في الماضي. . وكما سيعاني منها أبناؤنا وأحفادنا في غدٍ وبعد غد إذا لم يستيقظ المسلمون من سكرة الطائفية وأفيونها وسمومها التي غرسها في نفوسهم أعداء الإسلام من الشرق والغرب. وأعموا عليهم الحقائق وزينوا لهم عاداتهم وتقاليدهم حتى سرت في دمائهم، وتركوهم في ظلام يتخبطون. وقانا الله شر المكائد وحفظ الإسلام من الانجرار وراء المشركين وأعداء الدين. . . .



مقتل حكيم بن جبلة العبدي

روى المؤرخـون وأصحاب السيـر قصـة مقتـل حكيم بن جبلة العبدي[1] روايات متعددة باختلاف بسيط في بعض العبارات. وقصة مواجهته لأصحاب الجمل بالبصرة، وذلك بعدما وقع واليها عثمان بن حنيف الأنصاري أسيراً في أيديهم. ونحن الآن نكتفي بما ذكره ابن الأثير في تاريخه حيث قال:

«بقي طلحة والزبير، بعد أخذ عثمان بن حنيف بالبصرة، ومعهم بيت المال، والحرس والناس معهما، ومن لم يكن معهما استتر.

وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان بن حنيف، فقال: لست أخاف الله إن لم أنصره... فجاء في جماعة من عبد القيس، ومن تبعه من ربيعة...

وتوجه نحو دار الرزق، وبها طعام أراد عبدالله بن الزبير، أن يرزقه أصحابه...

فقال عبدالله لحكيم: ما لك يا حكيم..؟.

---

(١) حكيم بن جبلة بن حصين بن أسود العبدي، قيل انه أدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان رجلاً صالحاً، ديناً مطاعاً في قومه. راجع أسد الغابة. ج ـ ٢ ـ ص ٣٩ـ ٤٠ وقد تقدمت ترجمته أيضاً عند محنة أهل البصرة.

قال حكيم: نريد أن نرتزق من هذا الطعام. وأن تخلوا عثمان بن حنيف، فيقيم في دار الامارة.. على ما كتبتم بينكم، حتى يقدم علي بن أبي طالب.

وآيم الله لو أجد أعواناً عليكم ما رضيت بهذه منكم، حتى أقتلكم بمن قتلتم...

ولقد أصبحتم.. وإن دماءكم لنا لحلال.. بمن قتلتم...

أما تخافون الله...؟! بمَ تستحلون الدم الحرام...؟!

قال عبدالله بن الزبير: بدم عثمان بن عفان...

قال حكيم: فالذين قتلتم.. هم قتلوا عثمان..؟؟! أما تخافون مقت الله..؟!

فقال له عبدالله: لا نرزقكم من هذا الطعام.. ولا نخلي سبيل عثمان.. حتى تخلع علياً...

فقال حكيم: اللهم إنك حكم عدل.. اللهم فاشهد...

ثم قال حكيم لأصحابه: لست في شك من قتال هؤلاء القوم... فمن كان منكم في شك.. فلينصرف...

وتقدم حكيم، فقاتلهم، فقال طلحة والزبير: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، أللهم لا تبق منهم أحداً.

فاقتتلوا قتالاً شديداً، ومع حكيم اربعة قواد ـ ذريح، وابن المحترش، وحرقوص..

فكان حكيم بحيال طلحة.. وذريح بحيال الزبير.. وابن المحترش[1] بحيال عبد الرحمن بن عتاب.. وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن الحرث بن هشام.

---

(١) وفي تاريخ الطبري: ابن المحرش.

فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلاثمائة، وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول:

أضـــربهم بـاليــابس ضرب غلام عـابس
مـن الـحيــاة آيس في الغـرفات نـافس

فضرب رجل رجله فقطعها.. فحبا حتى أخذها، فرمى بها صاحبه فصرعه.. وأتاه.. فقتله. ثم اتكأ عليه وقال:

يـــا ســاقي[1] لن تــراعي إن مــعــي ذراعــي
أحمي بها كراعي

وقال أيضاً:

ليس علي أن أمـوت عار والعار في الناس هو الفرار
والمجد لا يفضحه الدمار

فأتى عليه رجل وهو رثيث[2] رأسه على آخر، فقال: ما لك يا حكيم؟

قال حكيم: قُتلت...

قال الرجل: من قتلك؟

قال حكيم: وسادتي.

فاحتمله ـ الرجل ـ وضمه في سبعين رجل من أصحابه...

وتكلم يومئذ حكيم.. وأنه لقائم على رجل واحدة.. وأن السيوف لتأخذهم.. وما يتتعتع[3] ويقول:

«إنا خلفنا هذان ـ طلحة والزبير ـ وقد بايعا علياً، وأعطياه الطاعة،

---

(١) وفي تاريخ الطبري: يا فخذ لن تراعي.

(٢) الرثيث: الصريع الذي يثخن في الحرب ويحمل حياً ثم يموت. لسان العرب لابن منظور.

(٣) التعتعة: الفأفأة. والتعتعة في الكلام: أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أو عي. لسان العرب لابن منظور.

ثم أقبلا مخالفين، محاربين يطلبان بدم عثمان، ففرقا بيننا، ونحن أهل دار وجوار.

اللهم انهما لم يريدا عثمان ـ بن عفان ـ

فناداه مناد... جزعت من نصبك.. وأصحابك حين عضك نكال الله بما ركبتم من عثمان إلى كلام..

وقُتلوا.. وقُتل معهم حكيم قتله يزيد بن الأزحم الحداني. وقيل: قتله رجل يقال له ضخيم. وقُتل معه ابنه الأشرف وأخوه الرعل بن جبلة. فوجد حكيم قتيلاً بين يزيد وأخيه كعب.

ولما قُتل حكيم وقُتل ذريح ومن معه، وأفلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه، فلجؤوا إلى قومهم، فنادى منادي طلحة والزبير:

من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة، فليأتنا بهم. فجيء بهم، فقتلوا.. ولم ينج منهم إلا حرقوص بن زهير فإن عشيرته بني سعد منعوه.

وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد.. لمن قُتل منهم بعد الوقعة، ومن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم الطاعة لعلي.

فأمر طلحة، والزبير للناس باعطياتهم، وأرزاقهم،. وفضلا أهل السمع والطاعة ـ لهم ـ. فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وائل حين منعوهم الفضول، فبادروهم إلى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم. وخرجوا حتى نزلوا على طريق علي.

وأقام طلحة والزبير وليس معهما ثأر إلا حرقوص بن زهير. الذي منعته عشيرته.

وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه...

وكتبت عائشة إلى أهل الكوفة بما كان منهم.. تأمرهم أن يثبطوا

الناس عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتحثهم على طلب قتلة عثمان.

وكتبت عائشة أيضاً: إلى أهل اليمامة: وإلى أهل المدينة بما كان منهم... وسيرت الكتب.. وكانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين[1].

وفي تاريخ ابن الأثير أيضاً: وبايع أهل البصرة طلحة والزبير.. فلما بايعوهما قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى علي.. أقتله بياتاً.. أو صباحاً قبل أن يصل إلينا..؟

فلم يجبه أحد.. فقال:

إن هذه للفتنة التي كنا نحدث عنها..!

فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟!

قال الزبير: ويلك أنا نبصر ولا تبصر.. ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمي فيه غير هذا الأمر.. فإني لا أدري.. أمقبل أنا فيه أم مدبر..؟!

وقال علقمة بن وقاص الليثي: لما خرج طلحة، والزبير، وعائشة - إلى البصرة لحرب علي بن أبي طالب - رأيت طلحة، وأحب المجالس إليه أخلاها.. وهو ضارب بلحيته على صدره.

---

(١) وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: عندما قُتل ذريح ومن معه وأفلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه فلجؤوا إلى قومهم. ثم صار حرقوص بعد ذلك من الخوارج، وقتل يوم النهروان. وعندما نادى منادي طلحة والزبير: من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم. فجيء بهم فقُتلوا جميعاً ولم ينج منهم إلا حرقوص بن زهير فإن عشيرته بني سعد منعوه. فمسهم في ذلك أمر شديد وضربوا لهم فيه آجلاً، وخشنوا صدور بني سعد، مع أنهم عثمانية. وغضبت عبد القيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الوقعة، ومن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم طاعة الإمام علي (عليه السلام).

فقلت له: يا أبا محمد، أرى أحب المجالس إليك أخلاها! وأنت ضارب بلحيتك على صدرك.. إن كرهت شيئاً فأجلس...

فقال طلحة: يا علقمة.. بينا نحن يد واحدة على من سوانا إذ صرنا جبلين من حديد، يطلب بعضنا بعضاً... الخ[1] .

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣ - ص ١١١ - ١١٢ .

وقفة تأمل في موقف عائشة وطلحة والزبير من والي البصرة

لا بد لنا ونحن نبحث في مقدمات وقعة حرب الجمل الشهيرة من أن نستعرض ولو إجمالاً بعض المواقف، ونلقي نظرة خاطفة على موقف أم المؤمنين عائشة، والشيخين طلحة والزبير، ومروان بن الحكم، وما كان من فعلهم مع والي البصرة ـ من قبل الإمام علي ـ عثمان بن حنيف. وغدرهم به وبجماعته من أنصار علي (عليه السلام). وذلك عند نزولهم البصرة للاستيلاء عليها. لكن ابن حنيف أبى إلا أن يكون صادقاً.. وفياً ومسلماً عاملاً بما يرضي الله ورسوله... والذي يستفاد من أقوال المؤرخين من أن المنشقين على الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، القادمين على رأس جيش العصاة، لم يتمكنوا من التريث والصبر لئلا تفشل خطتهم، وتذهب مساعيهم أدراج الرياح. فآثروا السرعة ولو بالغدر لحسم الموقف لصالحهم ولم يتمكنوا أن يصبروا لتمضي أيام الهدنة بسلام.. وحتى تكون المحادثات حينما يأتي أمير المؤمنين علي.. وتكون الكلمة الفصل.

لذلك نجدهم قد استغلوا زمن الهدنة بتفرق أصحاب أمير البصرة بأمر منه بأن يذهبوا إلى منازلهم حسب الاتفاق الذي أبرموه بينهم والعهد الذي أعطوه على أنفسهم وسجلوا به الكتاب.

إنهم استهانوا بعهودهم ومواثيقهم التي أعطوها لوالي البصرة وأميرها عثمان بن حنيف فلم يلتزموا بها بل مضوا في سبيل تحقيق مطامعهم ومآربهم الشخصية التي جاؤوا من أجلها.. فبيتوا الغدر، وقاموا بتنفيذ المؤامرة التي دبروها فيما بينهم.. من الاستيلاء على البصرة، والغدر بواليها عثمان بن حنيف. حتى لا تفوتهم الفرصة.. بقدوم أمير المؤمنين علي... فجمعوا جموعهم وساروا إلى المسجد، وانتشروا في جنباته يبيتون الغدر بحجة الصلاة...

وكان إمام المسجد عثمان بن حنيف الوالي ما زال في دار الامارة لم يحضر إلى المسجد بعد. عند ذلك اغتنموا فرصة تأخره وقدموا ولياً لهم وهو عبد الرحمن بن عتاب ليأخذ مكانه أمام صفوف المصلين.. لغاية في أنفسهم. لا حرصاً على الصلاة... بل قبل أن يحضر عثمان بن حنيف ويأخذ مكانه في إمامة المصلين فتفوت الفرصة عليهم.

لكن الحرس.. ورجال الشرطة الموكلين بحماية المسجد في ذلك الوقت، وهم، الزط والسبابجة.. وعددهم أربعون رجلاً.. لما رأوا عبد الرحمن بن عتاب يتقدم نحو المحراب ليؤم المصلين بأمر من طلحة والزبير بادروا لمنعه.. من هذا التحدي والاستفزاز.. حيث لم يمكنهم السكوت أو التسامح عن هذا التعدي. فآثروا القيام بمهامهم، وأداء الواجب الموكل إليهم. فشهروا السلاح في وجوه المعتدين لعلهم يرجعون إلى صوابهم. وإلى العهد الذي عاهدوه، ويرتدعون عما أوشكوا أن يقترفوه..

لكن بغير جدوى.. فإذا المسجد في الحال، ينقلب إلى ساحة قتال.. وفي سرعة البرق اجتمع أصحاب الفتنة من اتباع صاحبة الجمل المتفرقين في جنبات المسجد.. وأظهروا سلاحهم المخبأ تحت الأثواب.. ليعمل في الصدور والرقاب..

وهل يسع الحرس في تلك المباغتة رد هذه الجموع المتكاثرة عليهم.. والتي تنوشهم من كل جانب.؟!..

وما يصنع أربعون رجلاً أمام هذه القوة المتآمرة المندفعة...

لكن الحرس مع ذلك جالدوا القوم جلاداً شديداً.. وصبروا لهم صبر الأبطال. ما أمكنتهم أسلحتهم وما ثبت قائمها بأيديهم.

فلم يلقوا السلاح.. ولا نبت بهم مواقفهم.. ولا انهزموا أو تزحزحوا من أمام الغادرين.. بل ثبتوا حيث كانوا حتى تخطفتهم السيوف واحداً بعد واحد. فقتلوا كراماً ووقعوا صرعى بانحاء المسجد تروي دماؤهم أرضه.

والذي ذكره المؤرخون: أنه من المسجد توجه الغادرون طلحة والزبير ومن معهما إلى قصر الامارة حيث مقر الوالي عثمان بن حنيف.

إذ كان ابن حنيف لم يبرح دار الامارة بعد.. ولم يكن يعلم شيئاً عما وقع في المسجد، ولا ما أصاب حرسه.

عصف المهاجمون بالدار يتقدمهم رائد الغدر والخيانة، مروان بن الحكم.. ومن خلفه طلحة.. ورديفه الزبير.

ومن أعجب الأعاجيب أن يهبط الشيخان طلحة والزبير إلى هذا المستوى فيخرجان خلف مروان الطريد ابن الطريد هذا المخرج ويلقيان القيادة إليه يفعل ما يحلو له وما يملي عليه طبعه اللئيم... ولكنها شريعة السياسة الغادرة تستهين بكل شيء ولا يقعدها عن تحقيق مآربها وازع أو رادع.

أسر مروان بن الحكم بمعونة الشيخين طلحة والزبير والي البصرة عثمان بعد أن قتلوا حرسه.. فراح هذا الأموي يروي غليله من صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عثمان بن حنيف الذي شاهد المشاهد كلها مع النبي (صلوات الله عليه وآله وسلم) وجاهد هو وبقية الأنصار الصالحين في إرساء قواعد الإسلام.

ولما وقع عثمان صاحب رسول الله أسيراً بيد مروان طريد

رسول الله راح يعذبه ويفرغ حقده وهو يبتسم بشماتة ولؤم..

لكن ابن حنيف قال قولته التي تفيض بالإيمان. وتتجلى بها عقيدة الإسلام «أما أنك إن فتني بها في الدنيا يا مروان.. لم تفتني بها في الآخرة..».

وهكذا نرى ابن حنيف هذا الصحابي الجليل الذي جاهد أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد معه المشاهد كلها في حرب المشركين لإرساء قواعد الدين قد آثر الصبر على الأذى والتعذيب على يد طلحة والزبير ومروان الطريد طمعاً برضى الله ورسوله وحفاظاً على ما أوكل إليه من إدارة أمور المسلمين في ولاية البصرة.

وكم نحن بحاجة في هذه الأيام الصعبة إلى الرجال المخلصين والأوفياء الصالحين أمثال ابن حنيف الذين يروا مصلحة الإسلام فوق كل اعتبار. خاصة في مثل وقتنا هذا بعد أن تفرق شمل الأمة الإسلامية، وذهب قادتها مذاهب شتى يحدوهم الجشع والطمع وتمزقهم الغايات والأهداف.


الفصل
الثامن والخمسون



سبب خروج أمير المؤمنين علي لحرب معاوية في الشام

لا بد لنا ونحن نستعرض الأحداث التي رافقت خلافة الإمام علي (عليه السلام) ليتضح لنا بجلاء ما لاقاه سلام الله عليه من عنت ومصاعب أدت إلى حروب وأهوال، وتفرقة بين صفوف المسلمين بسبب أهل الأطماع والغايات، والأهواء السياسية المنحرفين عن جادة الحق والصواب.

ذكرنا سابقاً أن أمير المؤمنين علي ما إن وضع يده على زمام السلطة ومقاليد الخلافة، حتى بادر إلى تعديلها، وتقويم ما أعوج منها، واعادتها إلى الخط الإسلامي الصحيح، والنهج الإلهي الواضح.

أول شيء بادر الإمام علي بتنجيزه هو إقالة عمال الأمصار الذين كانوا على عهد سلفه الخليفة عثمان بن عفان.. وهم تلك الحفنة المستهترة بأمور الدين وحقوق المسلمين الذين ولاهم عثمان وجعلهم حكام البلاد، يتصرفون بأمور العباد.. وليسوا بأهل لذلك.. وأمرهم ظاهر للعيان أمثال الوليد بن عقبة، وعبدالله بن أبي سرح، وابن عامر ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم.

فلما عزلهم علي بن أبي طالب عن مراكزهم وكف أيديهم عن العبث بشؤون العباد التحق جلهم بأم المؤمنين عائشة وخرجوا معها عندما

أعلنت الحرب على علي (عليه السلام).. وكانوا في ركابها في البصرة.

إلا أن معاوية بن أبي سفيان كان قد تمركز في بلاد الشام، واستقطب أهلها بالأموال والعطايا والهبات، خاصة بعد ما كان أطلق له عثمان بن عفان الخليفة الأموي يده في أمور تلك الناحية من بلاد الإسلام، فراح معاوية الأموي يفعل ما يريد وما يحلو له دون منازع أو محاسب أو رقيب لتركيز سلطانه.

بذل معاوية جهده ليعيد إلى الحياة ذلك الصراع القديم، والحقد الدفين الذي كان قائماً بين هاشم وأمية... والذي طواه الإسلام قهراً ورفع راية الحق عالية خفاقة بإذن الله رغم آناف المشركين والمناوئين والحاقدين.

برز من الماضي حقد أمية الدفين واتباعها الضالين، متمثلاً بمعاوية تناصره غالبية قريش الظالمة، مجتمعة ومتفرقة ضد الإسلام ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المتمثل بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

كان الإمام علي أرسل إلى معاوية بن أبي سفيان الموجود في الشام كتاباً يدعوه فيه إلى الطاعة وأخذ البيعة له من أهلها... على ما سيأتي ذكر ذلك مفصلاً عند حرب صفين إن شاء الله.

ذكر أهل التاريخ والسير كالطبري وابن الأثير والسيد محسن الأمين في أعيانه وغيرهم أنه: كتب الإمام علي إلى معاوية بن أبي سفيان بالشام مع سبرة الجهني كتاباً يقول فيه:

«أما بعد فإن الناس قد قتلوا عثمان عن غير مشورة مني، وبايعوني بمشورة منهم واجتماع... فإذا أتاك كتابي، فبايع لي.. وأوفد إلي أشراف أهل الشام قبلك» فلم يجبه معاوية بشيء، وكلما يتنجز سبرة جوابه، لم يزد معاوية على قوله:

أدم أدامة حصن أو خذن بيدي   حرباً ضروساً تشب الجذل والضرما

في جاركم وابنكم إذ كان مقتله شنعاء شيبت الأصداغ واللمما
أعيا المسود بها والسيدون فلم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكماً

حتى إذا كان الشهر الثالث في صفر من سنة ست وثلاثين للهجرة، دعا معاوية رجلاً من بني عبس يُدعى قبيصة، فدفع إليه طوماراً[1] مختوماً عنوانه: من معاوية. إلى علي..

ثم قال للرسول: إذا دخلت المدينة، فاقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول.. وأعاد رسول علي بن أبي طالب معه.

فخرجا حتى قدما المدينة في ربيع الأول.. فدخلها العبسي - رسول معاوية - كما أمره سيده، قد رفع الطومار.. فتبعه الناس ينظرون إليه، وعلموا أن معاوية معترض...

ودخل الرسول على علي (عليه السلام) فدفع إليه الطومار. ففض ختمه فلم يجد فيه كتاباً...

فقال - علي (عليه السلام) للرسول: ما وراءك؟

فقال رسول معاوية: آمن أنا؟..

قال (عليه السلام): نعم.. إن الرسول لا يقتل...

قال رسول معاوية: تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود...

قال علي (عليه السلام): ممن؟..

قال رسول معاوية: من خيط رقبتك.. وتركت ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر دمشق.

---

(١) الطومار: واحد المطامير. والطومار الصحيفة.. قيل هو دخيل، وقال ابن سيدة: وأراه عربياً محضاً لأن سيبويه قد اعتد به في الأبنية فقال: هو ملحق بفسطاط. راجع لسان العرب لابن منظور: مادة طمر. وتاج العروس للزبيدي.

فقال علي (عليه السلام): أمني يطلبون دم عثمان؟! ألست موتوراً كثرة عثمان؟! اللهم اني أبرأ إليك من دم عثمان... نجا والله قتلة عثمان.. إلا أن يشاء الله.. فإنه إذا أراد أمراً أصابه.

ثم قال لرسول معاوية: أخرج...

فقال له: وإني آمن؟..

فقال له علي (عليه السلام): نعم.. وأنت آمن.

فخرج العبسي ـ رسول معاوية ـ:

وأحب أهل المدينة أن يعلموا رأي الإمام علي (عليه السلام) في معاوية، وقتاله أهل القبلة. فدسّوا إليه زياد بن حنظلة التميمي، وكان منقطعاً إلى علي.

فدخل زياد على أمير المؤمنين علي.. فجلس...

فقال له علي: يا زياد.. تهيأ..

فقال له زياد: لأي شيء؟

فقال له الإمام علي: لغزو الشام...

فقال زياد: الرفق والأناة أمثل.. وقال:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرب بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل الإمام علي وكأنه لا يريده:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

فخرج زياد والناس ينتظرونه...

فقالوا له: ما وراءك؟..

قال زياد: السيف يا قوم.. فعرفوا ما هو فاعل.

وفي تاريخ الطبري: دعا علي (عليه السلام) محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء. وولى عبدالله بن عباس ميمنته.. وعمر بن أبي سلمة ـ أو عمر بن سفيان بن عبد الأسد ـ ولاه ميسرته...

ودعا علي أيضاً: أبا ليلى بن عمر بن الجراح.. ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح، فجعله على مقدمته...

واستخلف علي على المدينة قُثم بن عباس.. ولم يولِّ ممن خرج على عثمان أحداً.

وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام. وإلى عثمان بن حنيف كذلك. وإلى أبي موسى مثل ذلك.

وأقبل علي (عليه السلام) على التهيؤ.. والتجهز.

وخطب سلام الله عليه أهل المدينة، فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة، وقال:

«إن الله عز وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً، بكتاب ناطق، وأمر قائم واضح.. لا يهلك عنه إلا هالك.

وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات.. إلا من حفظ الله...

وإن في سلطان الله عصمة أمركم.. فأعطوه طاعتكم غير ملوية.. ولا مستكره بها.. والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام.. ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمر إليها[1].

ثم قال (عليه السلام): انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم.. لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الذي عليكم.

وفي تاريخ ابن الأثير: فبينما هم كذلك على التجهيز لأهل الشام، أتاهم الخبر عن طلحة.. والزبير.. وعائشة.. وأهل مكة بنحو آخر.

---

(١) أرز يأرز أروزا: تقبض وتجمع وثبت، فهو آرز. وفي الحديث أن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها. قال الأصمعي: يأرز أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها. ومنه كلام علي (عليه السلام) ـ إلى أهل المدينة ـ: حتى يأرز الأمر إلى غيركم. لسان العرب لابن منظور.

وأنهم على الخلاف.

فاعلم علي (عليه السلام) الناس ذلك، وأن عائشة، وطلحة، والزبير قد سخطوا امارته، ودعوا الناس إلى ـ حربه ـ ثم قال لهم:

«سأصبر ما لم أخف على جماعتكم، واكف إن كفوا.. واختصر على ما بلغني» .. تمرّد معاوية وأرسل رسوله إلى علي ليلقي له صحيفة خالية ويخبره بأنّه ترك ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق .. ويطلبون أيضاً الأخذ بالثأر ... وقد أفهمهم معاوية أنّ دم عثمان عند علي بن أبي طالب ...

لأجل هذا لم يسع الإمام علي إلا النهوض لحرب معاوية واتباعه بالشام، لأنه رأى (عليه السلام) من الواجب القيام بهذه المهمة التي ألقتها الأقدار على عاتقه كي لا تتفرق كلمة المسلمين...

ـ أليس هو (عليه السلام) المؤتمن على أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)... ـ

إنها مهمة شاقة على كل مسلم صاحب قلب مفعم بالإيمان.. فالإمام علي في موقفه من أخصامه.. إن سكت وصبر وسالم يخشى أن يتداعى بنيان الإسلام، ذلك البنيان الشامخ الذي أشاده المسلمون المخلصون بجهادهم وسيوفهم ودمائهم حتى ارتفع صوت الحق وخفقت رايته عالية...

وإن وقف (عليه السلام) بوجه معاوية واتباعه، وقام يواجههم ليردعهم عما هم عليه من الضلال والفتنة والانحراف عن قواعد الإسلام الصحيحة ونظمه وتشريعاته وقابلهم وجهاً لوجه، وسلاحاً بسلاح، وعدة بعدة لعلهم يرجعون عن غيهم وضلالهم ستكون النتيجة حتما هي الحرب التي هي بالحقيقة والواقع كان علي (عليه السلام) لا يريدها بين المسلمين ولكن فرضت عليه فرضاً من قبل أخصامه ومناوئيه الذين استحوذ عليهم الشيطان فأعمى بصيرتهم وتركهم في طغيانهم يعمهون..

وهذا واضح من كلامه (عليه السلام): «سأصبر ما لم أخف على جماعتكم.. واكف إن كفوا».

هذا موقف علي الواضح وضوح الشمس... لأنه إن سكت وصبر عن أفعال أعدائه تمادوا في غيهم وسلبوه حقه وحقوق المسلمين لاشباع أنانيتهم ونهمهم إلى بهارج الدنيا وزخرفها.

وإن تكلم وحاربهم ليردهم إلى جادة الحق، ويحملهم على السير في الطريق الصحيح لم يأمن أن تتفرق الأمة الإسلامية وتصبح شيعاً كما كان العرب قبل الإسلام يضرب بعضهم بعضاً.

ومن هذا المنطلق كان الإمام علي يتريث في الحرب حين استلامه الخلافة، ويسع حلمه أعداءه لعلهم إلى الهداية يجنحون.

لكن حقد أعدائه وحسدهم له، وبغضهم لآل الرسول كافة جعلهم يلجؤونه إلى الخروج لحربهم خدمة منه للإسلام والمسلمين.



سبب عدول أمير المؤمنين علي عن المسير إلى الشام وتوجهه إلى البصرة

توالت الرقاع على الإمام أمير المؤمنين علي وجميعها على وتيرة واحدة تحمل بين طياتها أنباء الفتنة العمياء التي رسم لها المناوؤن العصاة أمثال طلحة والزبير ومن تابعهم، بعد أن انضووا تحت لواء أم المؤمنين عائشة. .

في ذلك الحين كان الإمام علي (عليه السلام) يتجهز للمسير إلى الشام بعد أن أعلن العصيان فيها معاوية بن أبي سفيان، وبعد أن حاول أمير المؤمنين علي تجنب الحرب وإراقة دماء المسلمين بشتى الطرق. . بالمراسلة حيناً وبالاقناع أحياناً. . والترهيب من غضب الله سبحانه. . والتخويف من مغبة كل عمل يفرق كلمة المسلمين. . ويجعلهم طرائق قددا إذ لا يرضى الله ولا رسوله عن فعلهم أبداً. . .

ضاقت السبل بالإمام علي في اقناع المتمردين المنشقين عن الصف الإسلامي الصحيح الذين استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله ويوم الحساب.

لم يلق الإمام علي من هؤلاء القوم أذناً صاغية. . أو قلوباً واعية بل أصرُّوا على عنادهم ومضوا في طريقهم الملتوية جاعلين أصابعهم في آذانهم صارخين يا لثارات عثمان ـ مع العلم أنهم هم الذين حرضوا على

قتله ـ وصرختهم هذه ما هي إلا بوق من أبواق الفتنة...

وعندما بلغ السيل الزبى ولم تعد تنفع أي حيلة لإيقاف نار الفتنة لتجنب قتال المسلمين بعضهم مع بعض رأى (عليه السلام) أنه لا بد من الخروج لحسم الموقف رحمة بالمسلمين، وحفاظاً على الدين.

وبعد أن كان عليه السلام قد ندب الناس للتوجه نحو الشام كما أسلفنا حوَّل وجهة مسيره نحو البصرة التي استفحل فيها الشر واضطرب حبل الأمن فيها وأخذ عامله على البصرة عثمان بن حنيف أسيراً بعد أن عذب وقُتل جل أصحابه وسبعون من شرطة حرسه كما ذكرنا ذلك فيما تقدم فكان مسيره (عليه السلام) إلى البصرة لا بد منه ولا محيص عنه.

ذكر ابن الأثير في تاريخه أنه: بينما الإمام علي يتجهز إلى الشام أتاه الخبر عن طلحة، والزبير، وعائشة، من مكة بما عزموا عليه.. فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة وخطبهم: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله.. فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم».

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: روى الكلبي قال: لما أراد علي (عليه السلام) المسير إلى البصرة، قام فخطب الناس، فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله، صلى الله عليه:

«إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم.. والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين بمخض مخض الوطب[1]، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل

(١) الوطب: سقاء اللبن، وفي الصحاح: سقاء اللبن خاصة وهو جلد الجذع فما فوقه، والجمع أوطب وأوطاب.

خلف. فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً.. ثم انتقلوا إلى دار الجزاء.. والله ولي تمحيص سيئاتهم.. والعفو عن هفواتهم...

فما بال طلحة والزبير، وليسا من هذا الأمر بسبيل! لم يصبرا علي حولاً.. ولا شهراً.. حتى وثبا ومرقا، ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين، يرتضعان أمّاً فطمت.. ويحييان بدعة قد أميتت...

أدم عثمان زعما..! والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم.. وإن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم، وأنا راض بحجة الله عليهم وعمله فيهم...

فإن فاءا وأنابا فحظهما أحرزا.. وأنفسهما غنماً.. وأعظم بها غنيمة...

وإن أبيا أعطيتهما حد السيف، وكفى به ناصراً للحق، وشافياً لباطل. ثم نزل.

وفي تاريخ ابن الأثير أنه لما دعا أمير المؤمنين علي وجوه أهل المدينة وخطبهم: ثم قال: «إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم» فتثاقلوا.

فلما رأى زياد بن حنظلة[1] تثاقل الناس انتدب إلى علي، وقال

---

(١) ذكر العسقلاني في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة: زياد بن حنظلة التميمي حليف بني عدي.. قال أبو عمر: بعثه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم ليتعاونوا على قتل مسيلمة. ثم عاش زياد بن حنظلة إلى أن شهد مع الإمام علي بن أبي طالب مشاهده.. وذكر سيف في الفتوح عن أبي الزهراء القشيري عن رجال من بني قشير، قالوا: لما خرج هرقل من الرها كان أول من أنبح كلابها زياد بن حنظلة التميمي وكان من الصحابة. وأنشد له سيف في الفتوح أشعاراً كثيرة منها:

سائل هرقلاً حيث شئت وقوده ... شبنا له حرباً يهز القبائلا
قتلناهم في كل دار وقيعة ... وأبنا بأسراهم تعاني السلاسلا

وكان زياد أميراً في وقعة اليرموك. وروى عنه ابنه حنظلة والعاص بن تمام وجاء في الاستيعاب للمالكي. زياد بن حنظلة التميمي له صحبة وهو الذي بعثه رسول الله (صلى =

له: من تثاقل عنك، فإنا نخف معك، فنقاتل دونك.

وقام رجلان صالحان، من أعظم الأنصار. . أحدهما أبو الهيثم بن التيهان[1] وهو بدري من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). والثاني هو خزيمة بن ثابت. . وهو ذو الشهادتين[2].

= الله عليه وآله وسلم) إلى قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر ليتعاونوا جميعاً على مسيلمة، وطليحة، والأسود. وقد عمل زياد لرسول الله. وكان زياد بن حنظلة منقطعاً إلى علي بن أبي طالب (رضوان الله عليه) وشهد معه مشاهده كلها.

(١) جاء في الاستيعاب لابن عبد البر: أبو الهيثم مالك بن التيهان الأوسي الأنصاري، حليف بني عبد الأشهل. كان أحد النقباء ليلة العقبة ـ وكان أول من بايع. ثم شهد بدراً. **وأدرك صفين وشهدها مع علي بن أبي طالب**. وفي الاستيعاب أيضاً: وممن قُتل بصفين، عمار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التيهان، وعبد الرحمن بن بديل، وجماعة من البدريين رحمهم الله تعالى.

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني: عن ابن إسحاق، قال: فيمن شهد بدراً أبو الهيثم وأخوه عتيك ابنا التيهان. آخى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بينه وبين عثمان بن مظعون، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). الاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة: ج ـ ٤ ـ ص ٢٠٠.

(٢) جاء في الإصابة للعسقلاني: خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي ـ ثم الخطمي، وأمه كبشة بنت أوس الساعدية أبو عمارة. . من السابقين الأولين شهد بدراً وما بعدها. . . وكان يكسر أصنام بني خطمة. . وكانت راية خطمه بيده يوم الفتح. وهو من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). . وفيه قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من شهد له خزيمة فحسبه» **وروى الدارقطني** من طريق أبي حنيفة عن خزيمة بن ثابت: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل شهادته شهادة رجلين. وفي الإصابة أيضاً: عن أبي يعلى عن أنس قال: افتخر الحيان. . الأوس. . والخزرج. . فقال الأوس: ومنا من جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شهادته بشهادة رجلين. الحديث. وعن أحمد من طريق أبي معشر عن محمد بن عمارة بن خزيمة قال: ما زال جدي كافاً سلاحه ـ يوم صفين ـ حتى قُتل عمار بن ياسر بصفين. فسل سيفه وقاتل حتى قُتل. وقال المرزباني قُتل خزيمة بن ثابت الأنصاري مع علي بن أبي طالب بصفين. وهو القائل:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن مما نخاف من الفتن
وفيه الذي فيهم من الخير كله ... وما فيهم بعض الذي فيه من حسن

وقال ابن سعد: شهد بدراً وقتل بصفين مع علي. راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني =

وفي ابن الأثير أيضاً: قام أبو قتادة الأنصاري[1] وشهر بيده سيفاً

= ج - ١ - ص ٤٢٦.

وفي كتاب وسائل الشيعة للحر العاملي: خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.. من أصحاب علي بن أبي طالب (عليه السلام). قاله الشيخ: وروى الكشي مدحه.. وكذا العلامة نقلاً عن الفضل بن شاذان **وفي حاشية الوسائل: الكشي الفصل ٥١ وفيه: روى عن** الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد الجبار بن العباس الشامي، عن أبي إسحاق، قال: لما قتل عمار بن ياسر، دخل خزيمة بن ثابت فسطاطه، وطرح عنه سلاحه.. ثم رش عليه الماء.. فاغتسل. ثم قاتل حتى قُتل. وروى أيضاً: عن محمد بن عمار بن خزيمة بن ثابت قال: ما زال جدي خزيمة بن ثابت بسلاحه يوم الجمل.. وصفين.. حتى قتل عمار بن ياسر، فلما قُتل عمار سل - خزيمة - سيفه وقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «عمار تقتله الفئة الباغية...» فقاتل - خزيمة بن ثابت - حتى قُتل رحمة الله عليهما. وهو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام). راجع وسائل الشيعة للحر العاملي: ج - ٢٠ - ص ١٨٧.

(١) أبو قتادة الأنصاري التابعي السلمي واسمه الحارث بن ربعي - فارس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي أسد الغابة: أبو قتادة اسمه الحارث بن ربعي الأنصاري الخزرجي السلمي. وأمه كبشة بنت مطهر كما في الاستيعاب. وقال أياس بن سلمة عن أبيه: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «خير فرسانا أبو قتادة».

وفي الإصابة للعسقلاني: في سلسلة من الإسناد عن أبي قتادة أنه حرس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة بدر فقال: «اللهم احفظ أبا قتادة كما حفظ نبيك هذه الليلة».

وعن الواقدي عن أبي قتادة قال: أدركني رسول الله يوم ذي قرد فنظر إلي فقال: «اللهم بارك في شعره وبشره، وقال: أفلح وجهك». وفي رواية: أفلح الوجه.

وقد اختلف في وفاته: ففي الاستيعاب: مات بالمدينة سنة ٥٤ وقيل: بل مات في خلافة علي بالكوفة. وهو ابن سبعين سنة. وروى أهل الكوفة أنه مات بالكوفة وعلي بها سنة ٣٨ وصلى عليه علي (عليه السلام) وكبر عليه سبعاً. وروي من وجوه عن موسى بن عبدالله بن يزيد الأنصاري، وعن الشعبي أنهما قالا: صلى علي (عليه السلام) على أبي قتادة وكبر عليه سبعاً. ومن طريق آخر عن الشعبي أن علياً (عليه السلام) كبر على أبي قتادة ستاً..

وفي الإصابة: كانت وفاة أبي قتادة بالكوفة في خلافة علي (عليه السلام)، ويقال أنه كبر عليه ستاً وقال: «إنه بدري..» وكان شهد مع علي مشاهده كلها. ولاه علي (عليه السلام) على مكة، ثم ولاها قثم بن العباس.

ومن قال أنه مات أبو قتادة سنة ٥٤ استدل على رواية: عبد الرزاق عن معمر عن عبدالله بن محمد بن عقيل: أن معاوية لما قدم المدينة، تلقاه الناس، فقال لأبي قتادة: تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار.

ـ وقال لعلي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين. . إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلدني هذا السيف. . وقد أغمدته زماناً. وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين. . . الذين يألون الأمة غشاً، وقد أحببت أن تقدمني. . . فقدمني يا أمير المؤمنين.

وجاءته أم المؤمنين أم سلمة، فقالت[1]: يا أمير المؤمنين. . لولا أن أعصي الله عز وجل. . وأنك لا تقبله مني، لخرجت معك. . وهذا ابني عمر. . وهو والله لأعز علي من نفسي. . يخرج معك، ويشهد

---

(١) أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية القرشية. واسمها هند، واسم أبيها سهيل ـ ويقال حذيفة. ويلقب ـ زاد الركب ـ لأنه كان أحد أجواد العرب. فكان إذا سافر لا يترك أحداً برفقته يحمل زاداً بل يكفيهم. وأمها عاتكة بنت عامر الكنانية. وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة، فمات عنها. فتزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جمادى الآخرة سنة اربع من الهجرة. وكانت أم سلمة ممن أسلم قديماً هي وزوجها أبو سلمة. وهاجرا إلى الحبشة، فولدت له سلمة. ثم قدما مكة، وهاجرا إلى المدينة، فولدت له بالمدينة عمر، ودرة وزينب. على قول ابن إسحاق كما في الإصابة لابن حجر ـ ج ـ ٤ ـ ص ٤٥٨.

ذكر العسقلاني في إصابته: كانت أم المؤمنين أم سلمة امرأة مؤمنة عاقلة، موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب، واشارتها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية أكبر دليل على وفور عقلها وصواب رأيها. وقد بقيت أم المؤمنين أم سلمة (رض) على ولائها للنبي وآله الطاهرين وخاصة للإمام علي (عليه السلام) لم يبدلها الزمن من حين دخولها منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وفاتها. ولم تقطع وفاطمة الزهراء (عليها السلام) ما كان موصولاً بينها وبين الإمام علي (عليه السلام) من إكبار وإجلال ووفاء فبقيت أم المؤمنين السيدة المؤمنة المتمسكة بتعاليم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصاياه. والسيدة أم سلمة (رض) راوية جليلة من راويات الحديث. روت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن فاطمة (عليها السلام) وروى جل مشايخ المسلمين عنها. وروى عنها أيضاً كثير من الصحابة المعروفين. وقد توفيت (رض) بالمدينة المنورة عن عمر يناهز الأربع وثمانين سنة. ودفنت بالبقيع. قال الواقدي: ماتت في شوال سنة تسع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة. وقال ابن حبان: ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعدما جاءها نعي الحسين بن علي (عليهما السلام). وقال أبو نعيم: ماتت سنة اثنتين وستين وهي من آخر أمهات المؤمنين موتاً. الإصابة ج ٤ ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

مشاهدك.. فاستوص به خيراً... فخرج معه، وهو لم يزل معـه، واستعمله علي (عليه السلام) على البحرين.



خروج أمير المؤمنين علي من المدينة إلى البصرة

تقدم منا الكلام عن تجهز أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لتأديب معاوية المتمرد الذي أعلن عصيانه في الشام. فلما بلغ الإمام علي خبر طلحة والزبير ونكثهما بيعته، والتحاقهما بأم المؤمنين عائشة بمكة التي أطلقت صرختها في أرجائها تلك الصرخة التي فرقت المسلمين... مطالبة بدم عثمان الذي اتخذته ذريعة لحرب علي بن أبي طالب حيث جمعت حولها أهل الأهواء والأغراض الحاقدين على علي، الطامعين في الولاية والسلطان.

تجمع المنشقون في مكة وخرجت جموعهم قاصدين البصرة كما أسلفنا. عند ذلك لم ير (عليه السلام) بداً إلا التوجه إلى البصرة، والعدول عن الشام في ذلك الحين حتى لا يتفاقم الخطب وتتسع رقعته...

ففي تاريخ الطبري وابن الأثير: أنه لما أراد علي المسير إلى البصرة.. وكان يرجو أن يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل وصولهما إلى البصرة.. أو يوقع بهما.

فلما سار استخلف على المدينة تمام بن العباس[1] وعلى مكة

(١) جاء في الاستيعاب لابن عبد البر وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين. تمام بن =

قثم بن العباس[1] وقيل: أمر على المدينة سهل بن حنيف.

وسار علي من المدينة في تعبيته التي تعباها لأهل الشام آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين.

وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في تسعمائة وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج.

= العباس بن عبد المطلب أمه أم ولد، رومية تسمى سبا وشقيقه كثير بن العباس، روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان والياً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) على المدينة. وذلك أن علياً لما خرج عن المدينة يريد العراق، استخلف سهل بن حنيف على المدينة. ثم عزله واستجلبه إلى نفسه، وولى المدينة تمام بن العباس، ثم عزله، وولى أبا أيوب الأنصاري، فشخص أبو أيوب نحو علي واستخلف على المدينة رجلاً من الأنصار، فلم يزل عليها حتى قتل علي. ذكر ذلك كله خليفة بن خياط. وقال الزبير: كان تمام بن العباس من أشد الناس بطشاً، وله عقب. وكان للعباس بن عبد المطلب عشرة من الولد، سبعة منهم ولدتهم له أم الفضل بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومعبد، وقثم، وعبد الرحمن، وأم حبيب شقيقتهم. وعون بن العباس لا أقف على اسم أمه. ولام ولد منهم اثنان تمام وكثير، وأما الحارث بن العباس فأمه من هذيل.

وفي الإصابة تمام بن العباس أصغر الأخوة العشرة، وكان أشد قريش بطشاً، وكان العباس يحمله ويقول:

تموا بتمام فصاروا عشرة ... يا رب فاجعلهم كراماً بررة

واجعل لهم ذكراً وأنم الثمرة

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم أخو عبدالله بن العباس أمه أم الفضل بنت الحارث الهلالية.

روى صاحب الإصابة أن أم الفضل قالت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضائك، قال: «خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن ابنك قثم». فولدت الحسن (عليه السلام) وأما صاحب الاستيعاب فقد قال: كان قثم بن العباس والياً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) على مكة. وذلك أن علياً لما ولي الخلافة عزل خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي عن مكة وولاها أبا قتادة الأنصاري ـ ولما خرج أبو قتادة مع علي (عليه السلام) إلى البصرة ولى علي (عليه السلام) قثم بن العباس عليها. فلم يزل والياً عليها حتى قتل علي (عليه السلام).

وجاءه عبد الله بن سلام، فأخذ بعنان فرسه، وقال: يا أمير المؤمنين لا تخرج منها ـ من المدينة ـ. فوالله إن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً...

وفي الإمامة والسياسة لإبن قتيبة: لما أراد أمير المؤمنين علي التوجه إلى البصرة، شخص من المدينة في تسع مئة راكب، من وجوه المهاجرين والأنصار، من أهل السوابق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومعهم بشر كثير من أخلاط الناس.

واستخلف علي على المدينة قثم بن العباس ـ وقيل تمام بن العباس ـ وكان له فضل وعقل. وأمره أن يشخص إليه من أحب الشخوص، ولا يحمل أحداً على ما يكره، فخف الناس إلى علي بعده، ومضى معه من ولده الحسن، والحسين، ومحمد.



كتاب عقيل لأخيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: أنه لما كان أمير المؤمنين علي في طريقه إلى البصرة، أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب، يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم...

أما بعد يا أخي، كلأك الله، والله جائرك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه على كل حال.

وإني خرجت معتمراً، فلقيت عائشة.. ومعها طلحة والزبير، وذووهما، وهم متوجهون إلى البصرة...

قد أظهروا الخلاف.. ونكثوا البيعة.. وركبوا عليك قتل عثمان.. وتبعهم على ذلك كثير من الناس.. من طغاتهم، وأوباشهم.

ثم مرَّ عبدالله بن أبي سرح[1] في نحو من أربعين راكباً.. من

(١) عبدالله بن أبي سرح أبوه سعد بن أبي سرح من المنافقين. أسلم عبدالله قبل الفتح وهاجر إلى المدينة وكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ارتد مشركاً وعاد إلى مكة يحدث قريشاً الكذب عن رسول الله ويقول: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد.. كان يملي علي (عزيز حكيم) فأقول: (أو عليم حكيم) فيقول: نعم كل صواب. وفيه أنزل قوله تعالى: **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء﴾** .. إلى آخر الآية من سورة الأنعام آية ٩٣ فلما كان يوم الفتح =

أبناء الطلقاء[1] من بني أمية.. فقلت لهم: وعرفت المنكر في وجوههم...

أبمعاوية تلحقون؟! عداوة والله إنها منكم ظاهرة غير مستنكرة، تريدون بها إطفاء نور الله، وتغيير أمر الله..!

فاسمعني القوم.. واسمعتهم...

ثم قدمت مكة، فسمعت أهلها يتحدثون... أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة واليمامة.. فأصاب ما شاء من أموالهما. ثم انكفأ راجعاً إلى الشام...

فأفٍ لحياة في زهو جرأ عليك الضحاك، وما الضحاك إلا فقع بقرقرة[2] فظننت حين بلغني ذلك أن أنصارك خذلوك...

فاكتب إلي يا بن أمي برأيك وأمرك.. فإن كنت الموت تريد.. تحملت إليك بني أخيك... وولد أبيك... فعشنا ما عشت.. ومتنا معك إذا مت...

فوالله... ما أحب أن أبقى بعدك...

= أهدر الرسول دمه ـ فيمن أهدر من المشركين والمنافقين. ـ ولو وجد متعلقاً باستار الكعبة. وقد شفع له عثمان إذ هو أخوه من الرضاعة فصرف النبي وجهه عنه فألح عثمان فقال النبي: نعم.. وقال لأصحابه: «ما صمتُّ إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه: فقالوا: هلا أومأت إليه؟ فقال: «إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين».
ثم حين ولي عثمان الخلافة ولاه مصر. ولما فتح أفريقيا أعطاه عثمان خمس غنائم الغزوة الأولى وبقي أميراً على مصر حتى سنة ٣٤.

(١) الطلقاء: لقب لأهل مكة يوم الفتح وذلك أن النبي لما دخل مكة وكان الله قد أمكنه من أهلها وكانوا له فيئاً وقف على باب الكعبة وقال: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم»؟ قالوا: خيراً.. أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».. فعفا عنهم.

(٢) فقع بقرقرة: يريد أنه ضعيف القوة، والفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة، ويقال للذليل: هو أذل من فقع بقرقرة.. لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

فوالله الأعز الأجل... إن عيشاً أعيشه بعدك في الدنيا لغير هنيء... ولا مريء... ولا نجيع... والسلام.



جواب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأخيه عقيل

لما ورد كتاب عقيل بن أبي طالب (رض) على أخيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام). أجابه علي كما جاء في الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ان علي بن أبي طالب كتب إلى أخيه عقيل كتاباً جاء فيه:

أما بعد يا أخي، فكلأك الله كلاءة من يخشاه، انه حميد مجيد...

قدم علي عبد الرحمن الأزدي بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سرح في أربعين من أبناء الطلقاء من بني أمية، متوجهين إلى المغرب. وابن أبي سرح يا أخي طالما كاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصدَّ عن كتابه وسنته.. وبغاها عوجاً...

فدع ابن أبي سرح.. وقريشاً، وتركاضهم في الضلال. فإن قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك.. اجتماعها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل اليوم. وجهلوا حقي.. وجحدوا فضلي.. ونصبوا لي الحرب.. وجدوا في إطفاء نور الله...

اللهم فاجز قريشاً عني بفعالها، فقد قطعت رحمي.. وظاهرت علي.. وسلبتني سلطان ابن عمي.. وسلمت ذلك لمن ليس في

قرابتي.. وحقي في الإسلام.. وسابقتي التي لا يدعي مثلها مدّع.. إلا أن يدعي ما لا أعرف.. ـ إلى أن قال: ـ والحمد لله على ذلك كثيراً...

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة، فهو أذل وألأم من أن يكون مرَّ بها، فضلاً عن الغارة، ولكن جاء في خيل جريدة، فسرحت إليه جنداً من المسلمين، فلما بلغه ذلك ولى هارباً، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق، حين همت الشمس للإياب، فاقتتلوا، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً، ونجا هارباً، بعد أن أخذ منه بالمخنق، فلولا الليل ما نجا.

وأما ما سألت... أن أكتب إليك فيه برأيي.. فإن رأيي جهاد المحلين حتى ألقى الله عز وجل. لا يزدني كثرة الناس حولي عزة.. ولا تفرقهم عني وحشة.. لأني محق والله مع المحق. وما أكره الموت على الحق لأن الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا إلى الحق.

وأما ما عرضت به من مسيرك إلي ببنيك.. وبني أبيك، فلا حاجة لي في ذلك.. فذرهم راشداً مهدياً.. فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت، وأنا كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف صبري فإنني صبور على ريب الزمان صليب
عزيز علي أن أرى بكآبة فيشمت واش أو يساء حبيب[1]

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ٥٥ ـ ٥٦.

أقول: إن كتاب عقيل بن أبي طالب إلى أخيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حمل في طياته الحب والإخلاص... كما حمل عزمه على التضحية في سبيل نصرة الإسلام من خلال نصرة أخيه علي (عليه السلام) حيث قال له: اكتب إلي يا بن أمي برأيك وأمرك، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك بني أخيك وولد أبيك فعشنا ما عشت، ومتنا معك إذ مت. ويتراءى لنا من بين كلماته أنه الفتى الهاشمي الكريم الذي يؤثر الموت على الحياة بعد أخيه، وإمامه وأميره.. مع العلم أن عقيلاً أكبر من علي بعشرين سنة باتفاق المؤرخين. إذ يقول في كتابه: فوالله ما أحب أن أبقى بعدك يا أخي... أن=

= عيشاً أعيشه بعدك في الدنيا لغير هنيىء، ولا مرىء، ولا نجيع.

جاء في الاستيعاب لابن عبد البر: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، يكنى أبا يزيد. رُوينا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: «يا أبا يزيد.. إني أحبك حبين، حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي أبي طالب إياك». قدم عقيل البصرة. ثم أتى الكوفة. ثم أتى الشام وتوفي في أيام معاوية وله دار بالمدينة. روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «يجزىء مد للوضوء، وصاع للغسل».

ويتابع صاحب الاستيعاب قوله: كان عقيل قد أخرج إلى بدر مكرهاً، ففداه عمه العباس (رض) وشهد غزوة مؤتة، وكان أكبر من أخيه جعفر بعشر سنين وكان جعفر أسن من علي بعشر سنين. وكان عقيل أنسب قريش، وأعلمهم بأيامها. ولكنه كان مبغضاً إليهم، لأنه كان يعد مساويهم. وكانت له طنفسة تطرح له في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي عليها، ويجتمع إليه في علم النسب، وأيام العرب. وكان أسرع الناس جواباً، وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك. وفي الاستيعاب أيضاً: عن ابن عباس قال: كان في قريش أربعة يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل الزهري، وأبو جهم بن حذيفة العدوي، وحويطب بن عبد العزى العامري. وكان عقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش، فعادوه لذلك، وقالوا فيه بالباطل، ونسبوه إلى الحمق، واختلقوا عليه أحاديث مزورة.



دعوة عدي بن حاتم قومه لنصرة أمير المؤمنين علي

ذكر المؤرخون وأصحاب السير: أن عدي بن حاتم الطائي كان الرجل الصالح المطاع في قومه، المبادر لعمل الخير ونصرة الإسلام. وأنه عندما سمع بخروج علي (عليه السلام) لتأديب جيش العصاة المنشقين.. والناكثين لبيعته، سارع لنصرة الحق تحت راية إمام الحق، فجاء إلى الإمام علي يستأذنه باستنفار قومه قبيلة طيء، ليساهم في جمع كلمة المسلمين، وقتال المحلين. ونحن نكتفي هنا بما ذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: حيث قال:

إن عدي بن حاتم[1] قام إلى علي، فقال له: يا أمير المؤمنين، لو

---

(١) أسلم عدي بن حاتم الطائي فكان من المسلمين المجاهدين: استعمله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدقات قومه وقد ذكرنا قصة إسلامه ووفوده على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجزء الرابع من هذا الكتاب صفحة ١٩٧ ـ ٢٠٢. وقد ثبت عدي على إسلامه في الردة، وأتى بعد ذلك عمر بن الخطاب في خلافته، فقال: أتعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم.. أنت الذي آمن إذ كفروا.. ووفى إذ غدروا. وكان عدي مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حروبه، وهو القائل لمعاوية: كما جاء في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين:

يحاولني معاوية بن صخر ... وليس إلى التي يبغي سبيل
يذكرني أبا حسن علياً ... وخطبي في أبي حسن جليل

وفي يوم الجمل حمل عدي ففقئت عينه، قال الأشتر: رأيت عبدالله بن حكيم بن حزام=

تقدمت إلى قومي أخبرهم بمسيرك.. وأستنفرهم.. فإن لك من طيء مثل الذي معك.

فقال له علي: نعم.. فافعل...

فتقدم عدي بن حاتم إلى قومه، فاجتمعت إليه رؤساء طيء، فقال لهم:

يا معشر طيء.. إنكم أمسكتم عن حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الشرك... ونصرتم الله ورسوله في الإسلام على

= وعنده راية قريش، وهو يقاتل عدي بن حاتم، وهما يتصاولان الحلين فتعاورناه فقتلناه. وأمرَّه علي بن أبي طالب يوم صفين على قضاعة، وطيء.

وجاء عدي يلتمس علياً يوم صفين، ما يطأ إلا على إنسان ميت.. أو قدم.. أو ساعد. فوجده تحت رايات بكر بن وائل، فقال له: يا أمير المؤمنين.. ألا نقوم حتى نموت..؟!

فقال له علي (عليه السلام) أدن.. فدنا حتى وضع أذنه عند فمه، فقال: ويحك إن عامة من معي يعصيني... وأن معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه. وقال عدي بن حاتم بصفين:

أقول لما أن رأيت المعمعة ... واجتمع الجندان وسط البلقعة

هذا علي والهدى حقاً معه ... يا رب فاحفظه ولا تضيعه

فإنه يخشاك رب فارفعه ... ومن أراد عيبه فضعضعه

أو كاده بالغي رب فاقمعه

وذكر المسعودي: أن عدي بن حاتم الطائي، دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات؟ يعني أولاده.. قال عدي: قتلوا مع علي، قال معاوية: ما أنصفك علي...! قتل أولادك وبقي أولاده..! فقال عدي: ما أنصفت علياً.. إذ قتل هو وبقيت بعده...

فقال معاوية: أما أنه قد بقيت قطرة من دم عثمان، ما يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن. فقال عدي: والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها لهي في صدورنا، وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا. ولئن أدنيت الينا من الغدر فترا.. لندنين إليك من الشر شبراً. وإن حز الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي. وفي الوسائل للحر العاملي: عدي بن حاتم الطائي من السابقين، الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام). رواه الكشي والعلامة عن الفضل بن شاذان.

الردة... وعلي قادم عليكم، وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم، فخفوا معه...

قد كنتم تقاتلون في الجاهلية على الدنيا... فقاتلوا في الإسلام على الآخرة. فإن أردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة... وأنا أدعوكم إلى الدنيا والآخرة.

وقد ضمنت عنكم الوفاء، وباهيت بكم الناس، فأجيبوا قولي، فإنّكم أعزّ العرب داراً... لكم فضل معاشكم، وخيلكم. فاجعلوا أفضل المعاش للعيل، وفضول الخيل للجهاد...

وقد أظلكم علي (عليه السلام) والناس معه، من المهاجرين، والبدريين، والأنصار.. فكونوا أكثرهم عدداً. فإن هذا سبيل للحي فيه الغنى والسرور، وللقتيل فيه الحياة والرزق...

فصاحت طيء: نعم... نعم... حتى كاد أن يصمّ من صياحهم.

فلما قدم علي بن أبي طالب (عليه السلام) على طيء، أقبل شيخ من طيء، قد هرم من الكبر، فرفع له من حاجبيه، فنظر إلى علي، فقال له: أنت ابن أبي طالب؟..

فقال له الإمام علي: نعم...

فقال له الشيخ: مرحباً بك وآهلاً.. قد جعلناك بيننا وبين الله.. وعدياً بيننا وبينك.. ونحن بينه وبين الناس.

يا أمير المؤمنين.. لو أتيتنا غير مبايعين لك.. لنصرناك.. لقرابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. وأيامك الصالحة...

ثم قال: إن في أمرك وأمر قريش لعجبا... إذ أخرجوك وقدموا غيرك..!!

يا أمير المؤمنين.. سر.. فوالله لا يتخلف عنك من طيء إلا عبد.. أو دعي.. إلا بـإذنك..

فشخص معه من طيء ثلاثة عشر ألـف راكب[1].

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير: لما نزل علي بن أبي طالب بفيد[2] أتته أسد.. وطيء، فعرضوا عليه أنفسهم...

فقـال لهم: ـ علي بن أبي طـالب ـ: الـزمـوا قـراركم.. في المهاجرين كفاية.

---

(١) الا[illegible] لسياسة لابن فنيبة: ج ـ ١ ـ ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) فيد: بالفتح ثم السكون، ودال مهملة. قال ابن الأعرابي: فيد منزل بطريق مكة. وقال الزجاجي: فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة عامرة إلى الآن يودع فيها الحاج أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها. وقال الزجاجي أيضاً: سميت فيد، بفيد بن حام وهو أول من نزلها. وقال السكوني: فيد نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة. معجم البلدان لياقوت.

دعوة زفر بن زيد قومه لنصرة أمير المؤمنين علي

بعد أن قام عدي بن حاتم الطائي ـ زعيم قبيلة طيء ـ وتكلم طالباً من أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الإذن له باستنفار قومه للمشاركة في الحرب معه لتوحيد كلمة المسلمين، وقتال المنشقين تحت رايته (عليه السلام) راية الحق.

قام زفر بن زيد بن حذيفة زعيم بني أسد، فوقف أمام أمير المؤمنين علي يستأذنه باستنفار قومه ـ قبيلة بني أسد ـ . وقد ذكر موقفه هذا ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، حيث قال:

ذكروا أن زفر بن زيد بن حذيفة الأسدي[1]، وكان من سادة بني أسد، قام إلى علي بن أبي طالب، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن طيئاً إخواننا، وجيراننا، قد أجابوا عدياً، ولي في قومي طاعة، فأذن لي فآتهم..

فقال له الإمام علي: نعم...

---

(١) ذكر السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة عن شرح النهج: أن زفر بن زيد بن حذيفة الأسدي قال:

فحوطوا علياً وانصروه فإنه ... وصيٌ وفي الإسلام أول أول

وإن تخذلوه والحوادث جمة ... فليس لكم عن أرضكم متحول

فأتاهم زفر، فجمعهم، وقال:

يا بني أسد.. إن عدي بن حاتم، ضمن لعلي قومه.. فأجابوه.. وقضوا عنه ذمامه، فلم يعتل الغني بالغنى.. ولا الفقير بالفقر. وواسى بعضهم بعضاً، حتى كأنهم المهاجرون في الهجرة، والأنصار في الأثرة...

وهم جيرانكم في الديار، وخلطاؤكم في الأموال...

فأنشدكم الله.. لا يقول الناس غداً: نصرت طيء، وخذلت بنو أسد. وأن الجار يقاس بالجار، كالنعل بالنعل. فإن خفتم فتوسعوا في بلادهم، وانضموا إلى جبلهم، وهذه دعوة لها ثواب من الله في الدنيا والآخرة.

فقام إليه رجل منهم، فقال له: يا زفر، إنك لست كعدي، ولا أسد كطيء، ارتدت العرب، فثبتت طيء على الإسلام، وجاد عدي بالصدقة، وقاتل بقومه قومك.

فوالله لو نفرت طيء بأجمعها، لمنعت رعاؤها دارها، ولو أن معنا أضعافنا لخفنا على دارنا. فإن كان لا يرضيك منا إلا ما أرضى عدياً من طيء، فليس ذلك عندنا...

وإن كان يرضيك قدر ما يرد عنا عذر الخذلان.. وإثم المعصية.. فلك ذلك منا...

فسار معه من أسد جماعة.. ليست كجماعة طيء.. حتى قدم بها على علي بن أبي طالب[1].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج - ١ - ص ٥٨ - ٥٩.

وصول علي (عليه السلام) إلى الربذة

سار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بتعبئته نحو البصرة، وهو يرجو أن يلاقي عائشة وطلحة والزبير واتباعهم في الطريق لعله يردهم، ويتمكن من ردعهم عن التمادي في ضلالهم، بالتفاهم والمنطق ليحقن بذلك دماء المسلمين...

ولكنه (عليه السلام) لم يدركهم حيث أنهم سبقوه... فمضى يقطع الصحراء بجيشه الذي كان معظمه من الصحابة، الذين كانوا من قبل بجيش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي حارب به المشركين.

انقلبت الصحراء من هدأة السكون والوحشة إلى ضجيج وضوضاء. المنبعث من قعقعة السلاح ووقع حوافر الخيول. وتتجاوب في أرجاء الفضاء الرحيب صدى أصوات المؤمنين بالتكبير.. والتهليل.. أنهم الصفوة من الصحابة المخلصين.

تعالى صوت الدليل يشق الفضاء.. ها قد وصلنا الربذة[1] يدعو

(١) الربذة: الشدة: يقال كنا في ربذة فانجلت عنا. أي زالت. والربذة من قرى المدينة على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. وبهذا الموضع قبرأبي ذر الغفاري (رضي الله عنه)، واسمه جندب بن جنادة. وكان قد خرج إليها مغاضباً لعثمان بن عفان. ـ وقد نفاه عثمان إليها في قصة طويلة ذكرناها في باب سابق من هذا =

الناس لأخذ قسط من الراحة بعد طول عناء.

الربذة. . المنفى الذي أقام به أبو ذر الغفاري (رضوان الله عليه)، حين ضاق به الخليفة عثمان بن عفان ذرعاً حيث لم يتمكن من اسكاته عن المجاهرة بالحق. . لا بالترغيب ولا بالترهيب. . بل مضى يطلقها صرخات داوية بوجه عثمان وأعوانه من أصحاب الثروات. وأهل الدنيا والشهوات، واتباع الحكام الجائرين أهل الأطماع والمستبدين.

الربذة. . . المثوى الذي ضم ثراها رفاة أبي ذر ذلك الصحابي الجليل، فاكتسبت برفاته شرفاً وطهارة على مدى التاريخ.

في الربذة. . وقف الإمام أمير المؤمنين علي وكأني به قد توالت عليه الذكريات منبعثة من الأيام التي خلت، وتركت في نفسه أثراً لا يمحى.

أتصـــوره (عليـــه الســـلام) وقف في تلك الفـــلاة مستسلمـــاً للذكريات. . . ومرَّ شريط الماضي أمام عينيه متلاحقاً مصوراً الأحداث التي مرت. . وأعادت إليه أمسه على صفحة يومه. . وذابت حدود الزمن في تلك اللحظة وازدحمت حوله الصور. . وتراءت له صورة قريبة إلى قلبه متمثلة أمام عينيه. . إنها صورة صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبي ذر الغفاري. . .

كأني بأمير المؤمنين علي وقد تخيل أبا ذر في تلك الساعة يدرج وحيداً على بساط الرمال في تلك الفلاة الموحشة، وقد براه الهزال، وآذاه الضعف، وآلمته الشيخوخة، وانحله المسير المضني من المدينة المنورة بعد أن نفاه عثمان بن عفان وأمر بأن لا يشيعه أحد، ولا يكلمه أحد. . فجفاه الناس حتى مضى وحيداً إلا من ابنته التي رافقته إلى منفاه. وقيل: امرأته.

= الكتاب ـ وأقام أبو ذر بها إلى أن مات في سنة ٣٢ هجرية. راجع معجم البلدان لياقوت الحموي.

كأني بأمير المؤمنين (عليه السلام) تخيل أبا ذر وهو يمشي وحده في تلك الفلاة.. وقد عاش فيها زمناً وحده.. ومات بها وحده.. فكانت حياته وموته رضي الله عنه بها مصداقاً لحكمة الغيب نطق بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قال له: «يا أبا ذر تعيش وحدك.. وتدفن وحدك.. وتحشر وحدك.. ويسعد فيك ناس من أهل العراق يتولون غسلك ومواراتك في قبرك».

وكأني به (عليه السلام) عندما وصل به التصور لهذه المرحلة من وحدة أبي ذر تألم كثيراً ودمعت عينه أسى وتفجعاً لهذا الإنسان الصادق الذي شهد النبي بصدقه حيث قال: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

تصوره (عليه السلام) شيخاً هزيلاً ضعيفاً وحده في الفلاة مسجى على جلد شاة، وليس بجانبه في ذلك القفر الموحش إلا امرأته تنظر إليه وقد تسربت الحياة من أوصاله وخبا بريق عينيه وقضى وحيداً.. ليذهب مثلاً خالداً على مر الليالي والأيام، لإنكار الذات والتفاني في سبيل الحق، والجهر به.

في الربذة.. في فلواتها الشاسعة الواسعة وتحت ثراها رقد أبو ذر الصحابي الجليل الذي قهر الدنيا.. لأنها نادته فادبر عنها.. وراودته فاستعصى عليها.. لم يستجب لاغرائها ولا لبهارجها.. بل أشاح بوجهه وقلبه عنها، معتصماً بإيمانه العظيم، وعقيدته الراسخة.. لم يأبه للمظاهر الخلابة الذي أخذ بريقها بقلوب الكثيرين من الناس. حيث راحوا يلهثون وراء شهوات الدنيا الزائفة، ونعيمها الزائل الذي لا يدوم...

في هذه الفلاة وعلى هذه الصحراء قضى أبو ذر أيامه الأخيرة مطمئن البال للمصير الذي وعهده به الرسول الأعظم عندما قال وهو ينظر إلى ثلة من أصحابه من بينهم أبي ذر: «ليموتن منكم رجل بفلاة من

الأرض فتشهده عصابة من المؤمنين » .

وها هي الفلاة التي احتضنت أبا ذر حين منفاه، وفي بطنها رقد جثمانه الطاهر فكانت تلك الفلاة المجاز من زيف الحياة التي تخطاها إلى مثواه الأخير. . . إلى العالم الذي لا يكدره فعل السلاطين. . أو ظلم المستبدين من طلاب الدنيا وأهل الجور والطغيان.

وقف الإمام علي (عليه السلام) أمام مثوى أبي ذر وكأني به قد تمثله وهو بآخر عهده به في المدينة المنورة، حين أخرجه الخليفة عثمان بصحبة مروان وجلاوزته بعد أن نادى منادي الخليفة بمنع أي أحد من الناس من الخروج لوداعه أو مكالمته كما أسلفنا. .

لكن الإمام أمير المؤمنين علي خرج ومعه الحسن والحسين (عليهما السلام) ومعه أيضاً: عقيل أخوه وعبدالله بن جعفر وعمار بن ياسر غير مبالين بمنع عثمان. فاعترضهم مروان، بحجة أن عثمان نهى الناس أن يصحبوا أبا ذر في مسيره، أو يشيعوه.

كأني بالإمام علي (عليه السلام) وقد مـرت أمام عينيـه صور الماضي متلاحقة فاهتزت لها مشاعره حيث تصور نفسه عندما تصدى له مروان بن الحكم لمنعه من مكالمة أبي ذر وتشييعه. . حيث صاح به: تنح نحاك الله إلى النار. . . ومضى مع أبي ذر يشيعه ويكلمه غير مبال. . .

وفي تلك اللحظة أتصوره (عليه السلام) تمثل أبا ذر وهو يتجه نحوه وينحني ليقبله وهو يبكي ويقول: رحمكم الله أهل البيت. . إذا رأيتك يا أبا الحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله. . .

قال له علي عند وداعه: «يا أبا ذر. . انك غضبت لله. . إن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك. . فامتحنوك بالقلى. . ونفوك إلى الفلا. . .

يا أبا ذر والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقا، ثم اتقى الله، لجعل له منها مخرجاً...

يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق... ولا يوحشنك إلا الباطل».

أما وقد مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومضى أبو ذر، ومضى الكثير من المؤمنين الصالحين إلى مثواهم.. إلى دار صدق عند مليك مقتدر، بعد أن تركوا في الدنيا فراغاً كبيراً.. وتركوا إمامهم علياً وولده عليهم السلام، واتباعه وأنصاره المخلصين بين أناس لا يهمهم إلا السطوة والسلطان...

مضوا وتركوا هذه الثلة الصالحة بين أناس للدنيا عندهم سطوة تفتنهم بزخارفها وبهارجها، وبريقها الخداع الذي يدعوهم إلى سلوك طريق الضلال، ويحملهم على السير في طرق ملتوية معوجة متنكرين للحق، واتباع الحق.

فما أحوجنا في هذه الأيام وفي هذا الزمان إلى أمثال أبي ذر رحمه الله...

إلى صارخ في وجه الظلم والطغيان... يطلق صرخة داوية على أهل الجشع والطمع، والاستغلال والاستبداد.

نعم ما أحوجنا إلى صارخ يطلق صرخة أبي ذر تنقذ المظلوم من ظالمه... والفقير من فقره... وتلطم وجوه الظالمين والمستغلين والمزيفين... لطمة تريح منهم البلاد والعباد.



بعض أخبار أمير المؤمنين علي عند وصوله الربذة

روى الطبري وغيره من المؤرخين وأصحاب السير: أنه لما نزل علي بن أبي طالب بالربذة، أتته جماعة من طيء.

فقيل لعلي: هذه جماعة من طيء قد أتتك، منهم من يريد الخروج معك... ومنهم من يريد التسليم عليك.

قال علي (عليه السلام): جزى الله كلاً خيراً... وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً.

ثم دخلوا عليه...
فقال لهم علي: ما شهدتمونا به؟..
قالوا: شهدناك بكل ما تحب.

قال علي (عليه السلام): جزاكم الله خيراً.. فقد أسلمتم طائعين.. وقاتلتم المرتدين.. ووافيتم بصدقاتكم المسلمين.

فنهض سعيد بن عبيد الطائي، فقال:

يا أمير المؤمنين.. إن من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه... وإني والله ما كل ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني.. وسأجهد وبالله التوفيق...

أما أنا يا أمير المؤمنين فسأنصح لك في السر والعلانية، وأقاتل عدوك في كل موطن، وأرى لك من الحق، ما لا أراه لأحد من أهل زمانك، لفضلك، وقرابتك.

قال أمير المؤمنين علي: رحمك الله.. قد أدى لسانك عما يجن ضميرك.

- وبقي معه - حتى قُتل معه بصفين رحمه الله.

ويتابع الطبري في تاريخه فيقول: بقي علي بالربذة يتهيأ، وأرسل إلى المدينة فلحقه.. ما أراد من دابة وسلاح. وأمِرَ أمرهُ. - اشتد وعظم شأنه - .

وقام - أمير المؤمنين علي في الناس، فخطبهم وقال:

«إن الله تبارك وتعالى أعزنا بالإسلام، ورفعنا به، وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة، وتباعد وتباغض. فجرى الناس على ذلك ما شاء الله... الإسلام دينهم... والحق فيهم... والكتاب إمامهم... حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم، الذين نزغهم الشيطان، لينزغ بين هذه الأمة.

ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة.. كما افترقت الأمم قبلهم.. فنعوذ بالله من شر ما هو كائن...

ثم عاد ثانية فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون...

ألا وأن هذه الأمة، ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة... شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، فقد أدركتم ورأيتم[١]...

فالزموا دينكم، واهدوا بهدى نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم)[٢] واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن... فما عرفه

---

(١) وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير: وقد أدركتهم ورأيتهم.

(٢) وفي رواية ابن الأثير، والنويري: واهدوا بهديي فإنه هدى نبيكم.

القرآن فالزموه.. وما أنكره فردوه.

وارضوا بالله عز وجل ربا.. وبالإسلام ديناً.. وبمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبياً.. وبالقرآن حكماً وإماماً.

وذكر المؤرخون وأصحاب السير: كالطبري وابن الأثير وغيرهما أنه لما أراد علي بن أبي طالب (عليه السلام) الخروج من الربذة إلى البصرة، قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال:

يا أمير المؤمنين.. أي شيء تريد؟.. وأين تذهب بنا؟..

فقال له علي بن أبي طالب: أما الذي نريد وننوي.. فالاصلاح.. إن قبلوا منا.. وأجابونا إليه...

قال ـ ابن رفاعة ـ: فإن لم يجيبونا إليه؟..

قال له علي: ندعهم بعذرهم، ونعطيهم الحق.. ونصبر.

قال ـ ابن رفاعة ـ: فإن لم يرضوا؟

قال له علي: ندعهم ما تركونا..

قال ـ ابن رفاعة ـ: فإن لم يتركونا؟..

قال ـ علي ـ: امتنعنا منهم..

قال ـ ابن رفاعة: فنعم إذن.

وقام الحجاج بن غزية الأنصاري[1] فقال: كما في أعيان الشيعة

---

(١) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: جاء في الاستيعاب عن البخاري: الحجاج بن غزية الأنصاري، له صحبة روى عن النبي (عليه الصلاة والسلام) حديثين. وهو الذي ضرب مروان يوم الدار فأسقطه فحمله أبو حفصة مولاه وهو لا يعقل. وفي أسد الغابة: روى عنه عكرمة مولى ابن عباس، وكثير بن العباس، وغيرهما. وشهد مع علي صفين. وهو الذي كان يقول عند القتال: يا معشر الأنصار، أتريدون أن نقول لربنا إذا لقيناه: «إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا» وفي الإصابة: روى له أصحاب السنن حديثاً صرح بسماعه فيه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحج. وقال أبو نعيم: شهد صفين مع علي وروى عنه ضمرة بن سعيد وعبدالله بن رافع وغيرهما. وذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين، في جملة الأنصار الذين بعث إليهم معاوية يوم صفين=

للسيد محسن الأمين: يا أمير المؤمنين.. لأرضينك بالفعل.. كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكهـا دراكهـا قبـل الفـوت فانفر بنا واسم بنا نحو الصوت
لا وألت[1] نفسي أن هبت الموت

والله لننصرن الله كما سمانا أنصاراً[2]...

وفي تاريخ الطبري: خرج أمير المؤمنين علي من الربذة، وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح[3] والراية مع محمد بن الحنفية - ولده - وعلى الميمنة عبدالله بن عباس - ابن عمه[4] وعلى الميسرة

= يعاتبهم على ما قاله فيه قيس بن سعد وكانوا مع علي (عليه السلام).
وعن تقريب ابن حجر: حجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري المازني المدني صحابي له رواية عن زيد بن ثابت، وشهد صفين مع علي. وقد شهد الحجاج بن غزية حرب الجمل، وحرب صفين مع علي (عليه السلام) وأبلى فيهما بلاءً حسناً.

(١) **الألت**: القسم: يقال: إذا لم يعطك حقك فقيده بالألت. تقول العرب: ألتك بالله لما فعلت كذا، معناه: نشدتك بالله. لسان العرب لابن منظور.

(٢) أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين: المجلد الرابع: ط - دار التعارف. ص ٥٦٧.

(٣) أبو ليلى بن عمر وهو ابن أخ أبي عبيدة بن الجراح.

(٤) في الوسائل للحر العاملي: عبدالله بن العباس، حاله في الجلالة والإخلاص لأمير المؤمنين (عليه السلام) أشهر من أن يخفى، ورُوي فيه قدح وهو أجل من ذلك. قاله العلامة: وبعض الذم الوارد فيه محمول على أنه في أخيه عبيد الله. وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف هو أول من أملى في تفسير القرآن عن علي (عليه السلام). قال أبو الخير في طبقات المفسرين عند ذكره: هو ترجمان القرآن، وحبر الأمة، ورئيس المفسرين. وعن عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، كان أصحاب القرآن عنده يسألونه.. وأصحاب الشعر عنده يسألونه.. وأصحاب الفقه عنده يسألونه، كلهم يصدرهم من واد واسع.
وروى الكليني بسنده عن الصادق (عليه السلام): **إن** عبدالله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى ابن الكوا، وأصحابه وعليه قميص رقيق، وحلة، قالوا: يا ابن عباس أنت خيرنا في أنفسنا، وأنت تلبس هذا **اللباس ؟!**.
فقال ابن عباس: وهذا أول ما أخاصمكم فيه.. ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ وقال الله عز وجل أيضاً: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾.

عمر بن أبي سلمة[1] أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد.

وخرج علي وهو في سبعمائة وستين وراجز علي يرجز به:

سيروا أبابيل[2] وحثوا السيرا   إذ عزم السير وقولوا خيراً
حتى يلاقوا وتلاقوا خيراً   فاغزوا بها طلحة والزبيرا

وهو أمام أمير المؤمنين علي.. وأمير المؤمنين علي على ناقة له حمراء، يقود فرساً كميتاً[3].

---

(١) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قتل بصفين سنة ٣٧ هجرية كان من رجال علي (عليه السلام). ولما كان يوم الجمل قالت أمه أم سلمة لعلي: يا أمير المؤمنين لولا أن أعصي الله عز وجل، وأنك لا تقبله مني لخرجت معك، وهذا ابني عمر والله لهو أعز علي من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك. فخرج عمر بن أبي سلمة مع علي (عليه السلام) وكان على الميسرة. واستعمله على البحرين. وقُتل معه بصفين. وكان شاعراً.

(٢) سيروا أبابيل ـ جماعة. قال الزجاج: في قوله طيراً أبابيل: جماعات من هنا وجماعات من هنا.

(٣) الكميت: لون ليس بأشقر ولا أدهم وفرس كميت. وبعير كميت: يعني أنها خالصة اللون. قال سيبويه: سألت الخليل عن كميت فقال: هو بمنزلة جميل: إنما هي حمرة يخالطها سواد. لسان العرب لابن منظور.



كتب أمير المؤمنين علي إلى أهل الكوفة ورسله إليها

غادر أمير المؤمنين (عليه السلام) المدينة بعد أن أوصى عامله عليها أن يسهل أمر من أراد الالتحاق به غير مكره.

وما ان وصل الربذة وحط رحاله ورحال من معه بها حتى صارت تلك البقعة من الأرض تعج بالقلوب المؤمنة التي عمرت بالولاء لعلي بن أبي طالب هذا الرجل الذي تكاتف وتعاون على هضم حقه كل من غرّته الدنيا ، وباع حظّه من الآخرة بالأدنى .

ومن الربذة كتب (عليه السلام) إلى الأمصار الموالية له يستمدها العون للقضاء على الفتنة التي أشعلت نيرانها أم المؤمنين عائشة وأذكى ضرامها طلحة والزبير وأعوانهم من الطلقاء وأبنائهم من بني أمية وغيرهم.

ففي شرح النهج لابن أبي الحديد: أنه (عليه السلام) كتب إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

«أما بعد، فإني خرجت عن حي هذا إما ظالماً، وأما مظلوماً . . وإما باغياً ، وإما مبغياً عليه . . وأنا أذكّر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إلي ، فإن كنت محسناً أعانني ، وإن كنت مسيئاً استعتبني . . » ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج :

ما أحسن هذا التقسيم، وما أبلغه في عطف القلوب عليه، واستمالة النفوس إليه.

قال: لا يخلو حالي في خروجي من أحد أمرين.. إما أن أكون ظالماً أو مظلوماً، وبدأ هضماً لنفسه.. ولئلا يقول عدوه: بدأ بدعوى كونه مظلوماً فأعطى عدوه من نفسه ما أراد.. الخ.

وفي تاريخ الطبري: أنه لما قدم علي بن أبي طالب الربذة، أقام بها، وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر[1] ومحمد بن جعفر وكتب إليهم:

«إني اخترتكم على الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعواناً.. وأنصاراً.. وأيدونا، وانهضوا إلينا.. فالاصلاح ما نريد.. لتعود الأمة إخواناً. ومن أحب ذلك وآثره، فقد أحب الحق وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه...» - أي تهون به.

وفي شرح نهج البلاغة: عن محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن يسار القرشي، قال:

---

(١) في الوسائل للحر العاملي: محمد بن أبي بكر، جليل القدر، عظيم المنزلة، من خواص علي (عليه السلام)، قاله العلامة، وروى الكشي وغيره مدحه.

وفي حاشية الوسائل عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كان عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر لا يرضيان أن يعصى الله عز وجل. وفي سلسلة من الإسناد عن حمزة بن محمد الطيار قال: ذكرنا محمد بن أبي بكر عند أبي عبدالله (عليه السلام). فقال أبو عبدالله (عليه السلام): رحمه الله وصلى عليه، قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) يوماً من الأيام: أبسط يدك أبايعك، فقال: أو ما فعلت؟ قال: بلى. فبسط يده فقال: أشهد أنك إمام مفترض.. الخ.

أقول: وأم محمد بن أبي بكر هي أسماء بنت عميس الخثعمية رحمها الله. تزوجت جعفر بن أبي طالب الملقب بالطيار. وهاجرت معه إلى الحبشة وعادت إلى المدينة حيث قتل عنها ولها منه ثلاثة أولاد، عبدالله، وعون ومحمد. ثم تزوجت من بعده أبا بكر فولدت منه محمد بن أبي بكر. وبعد وفاة أبي بكر تزوجها أمير المؤمنين علي وانتقلت إلى داره مع أبنائها الثلاثة من أخيه جعفر وولدها محمد بن بكر. فكفلهم جميعاً.

لما نزل علي (عليه السلام) الربذة، متوجهاً إلى البصرة، بعث إلى الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن أبي بكر الصديق. وكتب إليهم هذا الكتاب:

«من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، جبهة الأنصار، وسنام العرب[1].

أما بعد... فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه...

إن الناس طعنوا عليه، فكنت رجلاً من المهاجرين.. أكثر استعتابه، وأقل[2] عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف[3] وارفق حدائهما العنيف[4].

وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فأتيح له قوم قتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين.. ولا مجبرين.. بل طائعين مخيرين.

واعلموا أن دار الهجرة[5] قد قلعت بأهلها وقلعوا بها[6] وجاشت جيش المرجل[7]، وقامت الفتنة على القطب. فاسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم، إن شاء الله.

وفي رواية: زاد في آخره: فحسبي بكم إخواناً، وللدين أنصاراً، ﴿فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم

---

(١) ويمكن أن يريد به سادة الأنصار وأشرافهم وليس يريد بالأنصار بني قيلة ـ الأوس والخزرج ـ بل الأنصار ها هنا الأعوان. وسنام العرب: أي أهل الرفعة والعلو منهم لأن السنام أعلى أعضاء البعير.

(٢) مخطوطة النهج على ما جاء في الشرح: فأقل.

(٣) الوجيف: سير سريع، وهذا مثل للمشمرين في الطعن عليه.

(٤) الحداء العنيف: أرفق ما يحرضان به عليه.

(٥) دار الهجرة: المدينة المنورة.

(٦) قد قلعت بأهلها، وقلعوا بها: فارقت أهلها وفارقوها. ومنه قولهم: هذا منزل قلعة: ليس بمستوطن.

(٧) حاشت اضطربت. والمرجل: القدر.

خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[1].

وفي شرح النهج أيضاً: عن أبي مخنف[2]، قال: سمعت عبدالله بن جنادة يحدث أن علياً (عليه السلام)، لما نزل الربذة، بعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص[3] إلى أبي موسى الأشعري، وهو الأمير

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ٤١.

(٢) في أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري: أبو مخنف هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان الأزدي، كان جده مخنف من أصحاب علي (عليه السلام). وكان أبو مخنف راوياً، إخبارياً، صاحب تصانيف. وقد عد ابن النديم لأبي مخنف في فهرسه ـ ص ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ثلاثة وثلاثين مؤلفاً: منها:

« كتاب الجمل » الذي ينقل منه ابن أبي الحديد ما يرويه عن أبي مخنف في حرب الجمل.

قال ابن النديم في ترجمته: «قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره. والمدائني بأمر خراسان، والهند، وفارس. والواقدي بالحجاز والسيرة. وقد اشتركوا في فتوح الشام». توفي أبو مخنف سنة سبع وخمسين ومائة.

(٣) في الإصابة لابن حجر العسقلاني: هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بن أهيب بن زهرة بن عبد مناف. الزهري، الشجاع، المشهور، المعروف بالمرقال، ابن أخي سعد بن أبي وقاص.. قال الدولابي: لقب هاشم بالمرقال ـ لأنه كان يرقل في الحرب، أي يسرع والارقال هو ضرب من العدو.. وقال ابن الكلبي وابن حبان له صحبة: وفي سلسلة من الإسناد عن جابر بن سمرة، عن هاشم بن عتبة أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «يظهر المسلمون على جزيرة العرب، وعلى فارس، والروم، وعلى الأعور الدجال.

وفي الإصابة أيضاً: هاشم بن عتبة أسلم يوم الفتح، وحضر مع عمه حرب الفرس بالقادسية، وله بها آثار مذكورة. وقال الهيثم بن عدي: عقد له عمه سعد بن أبي وقاص على الجيش الذي جهزه إلى قتال يزيدجرد ملك الفرس، فكانت وقعة جلولاء. وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين تولى هاشم رياسة فرقة من الفرسان في معركة اليرموك، التي تعد أكبر الفتوح في حروب الشام، وكان وسامه في هذه المعركة أن فقئت عينه فصار أعور. وفي الإصابة أيضاً: قال المرزباني: لما جاء قتل عثمان إلى أهل الكوفة، قال هاشم المرقال لأبي موسى الأشعري: تعالى يا أبا موسى، بايع لخير هذه الأمة علي ـ بن أبي طالب ـ فقال أبو موسى: لا تعجل. فوضع هاشم يده على الأخرى فقال: هذه لعلي وهذه لي، وقد بايعت علياً وأنشد:

أبايع غير مكترث علياً ... ولا أخشى أميراً أشعرياً
أبايعه وأعلم أن سأرضي ... بذاك الله حقاً والنبيا =

يومئذ على الكوفة. لينفر إليه الناس، وكتب إليه معه:

«من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى عبدالله بن قيس»..

«أما بعد.. فإني قد بعثت إليك هاشم بن عتبة، لتشخص إلي من قبلك من المسلمين، ليتوجهوا إلى قوم، نكثوا بيعتي، وقتلوا شيعتي، وأحدثوا في الإسلام هذا الحدث العظيم... فاشخص بالناس إلي معه حين يقدم عليك، فإني لم أولك المصر الذي أنت فيه، ولم أقرك عليه، إلا لتكون من أعواني على الحق، وأنصاري على هذا الأمر.. والسلام».

وفي شرح النهج أيضاً عن أبي مخنف: أنه قال: إن هاشم بن عتبة لما قدم الكوفة، ـ وسلم الكتاب إلى أبي موسى ـ دعا أبو موسى.. السائب بن مالك الأشعري. فاستشاره فقال ـ السائب: اتبع ما كتب به إليك..

فأبى ذلك ـ أبو موسى ـ وحبس الكتاب، وبعث إلى هاشم يتوعده ويخوفه.

قال السائب: فأتيت هاشماً، فأخبرته برأي أبي موسى.. فكتب إلى علي (عليه السلام) كتاباً:

لعبد الله علي أمير المؤمنين من هاشم بن عتبة.

أما بعد... يا أمير المؤمنين.. فإني قدمت بكتابك، على امرىء مشاقّ.. بعيد الود.. ظاهر الغل.. والشنآن.. فتهددني بالسجن.. وخوفني بالقتل.

وقد كتبت إليك يا أمير المؤمنين هذا الكتاب مع المحل بن خليفة، أخي طيء، هو من شيعتك وأنصارك، وعنده علم ما قبلنا، فاسأله عما

= وكانت راية علي (عليه السلام) يوم صفين مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص. وسنأتي على ذكره في موقعة صفين إن شاء الله.

بدا لك، واكتب إلي برأيك والسلام...

وعن أبي مخنف لما قدم المحل بن خليفة أخي طيء، بكتاب هاشم بن عتبة على علي (عليه السلام)، سلم عليه، ثم قال:

الحمد لله الذي أدى الحق إلى أهله، ووضعه موضعه، فكره ذلك قوم قد والله كرهوا نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم بارزوه، وجاهدوه، فرد الله عليهم كيدهم في نحورهم، وجعل دائرة السوء عليهم...

والله يا أمير المؤمنين لنجاهدنهم معك في كل موطن.. حفظاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أهل بيته، إذ صاروا أعداء لهم بعده.

فرحب به علي (عليه السلام)، وقال له خيراً.. ثم أجلسه إلى جانبه...

وقرأ ـ علي (عليه السلام) ـ كتاب هاشم بن عتبة.. وسأل المحل بن خليفة عن الناس: وعن أبي موسى...

فقال ـ المحلّ بن خليفة ـ: والله يا أمير المؤمنين، ما أثق به.. ولا آمنه على خلافك إن وجد من يساعده على ذلك...

فقال علي (عليه السلام): والله ما كان عندي بمؤتمن، ولا ناصح.. ولقد أردت عزله فأتاني الأشتر، فسألني أن أقره، وذكر أن أهل الكوفة به راضون.. فأقررته.

وروى أبو مخنف، قال: وبعث علي (عليه السلام) من الربذة بعد وصول المحل بن خليفة أخي طيء.. عبدالله بن عباس، ومحمد بن أبي بكر إلى أبي موسى الأشعري: عامله على الكوفة. يأمره فيه الامتثال لأمره، بأشخاص الناس إليه لمواجهة من نكثوا البيعة وأحدثوا في الإسلام.. والإعانة له على الحق.. وأما الاعتزال عن عمله وتسليمه:

حيث قال له: «وقد بعثت إليك ابن عباس وابن أبي بكر فخلهما والمصر وأهله، واعتزل عملنا مذموماً مدحوراً.. فإن فعلت.. وإلا فإني قد أمرتهما أن ينابذاك على سواء.. إن الله لا يهدي كيد الخائنين».

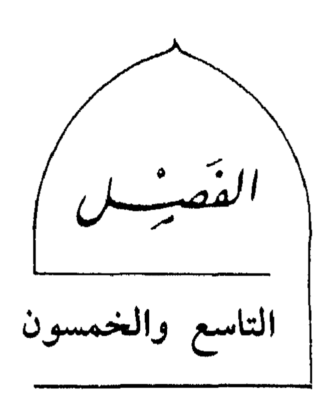
ثم يختم (عليه السلام) رسالته بقوله؛ «والسلام على من شكر النعمة، ووفى بالبيعة، وعمل برجاء العاقبة».

قال أبو مخنف: فلما أبطأ ابن عباس وابن أبي بكر عن علي (عليه السلام)، ولم يدر ما صنعا، رحل عن الربذة إلى ذي قار فنزلها[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١٤ ـ ص ٨ ـ ٩ ـ ١٠.




الفصل
التاسع والخمسون



وصول أمير المؤمنين علي إلى ذي قار

غادر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الربذة بعد أن أرسل رسله إلى أهل الكوفة وعامله عليها أبي موسى الأشعري يطلب منهم المدد لإيقاف الفتنة الزاحفة من مكة بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير.. هذه القيادة التي رأت البصرة مناخاً صالحاً لها.

وجاءت الأخبار للإمام علي بتثبيط أبي موسى الأشعري للناس في الكوفة عن الاستجابة لأوامره.. وتخذيل أهلها عن نصرته.

وفي الطريق أخذت تتوالى عليه الأخبار اتباعاً، كلما أوغل في الصحراء واقترب من ذي قار[1] سالكاً طريقه إلى البصرة.

---

(١) في معجم البلدان لياقوت الحموي: ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة. وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس، وكان من حديث ذي قار: أن كسرى لما غضب على النعمان بن المنذر بسبب عدي بن زيد وزيد ابنه، في قصة فيها طول. أتى النعمان طيئاً فأبوا أن يدخلوه جبلهم، وكانت عند النعمان ابنة سعد بن حارثة بن لأم، فأتاهم للصهر، فلما أبوا دخوله مرَّ في العرب ببني عبس، فعرضت عليه بنو رواحة النصرة، فقال لهم: لا أيدي لكم بكسرى، وشكر ذلك لهم. ثم وضع وضائع له عند أحياء العرب. واستودع ودائع، فوضع أهله وسلاحه عند هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان. وتجمعت العربان مثل بني عبس، وشيبان، وغيرهم. وأرادوا الخروج على كسرى، فأتى رسول كسرى بالأمان على الملك النعمان. =

وما أن وصل أمير المؤمنين علي إلى فيد[1] جاءه الخبر عن تخاذل أبي موسى الأشعري وتخذيل أهل الكوفة عن الالتحاق به.

وفي الثعلبية[2] جاءته الأخبار عن الأذى والمهانة اللذين لحقا

= وخرج النعمان معه حتى أتى المدائن. فأمر به كسرى فحبس بساباط، فقيل: انه مات بالطاعون، وقيل طرحه بين أرجل الفيلة فداسته حتى مات. وقيل لكسرى: ان ماله وبنته قد وضعه عند هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود الشيباني. فبعث إليه كسرى: ان أموال عبدي النعمان عندك، فابعث بها إلي. فبعث إليه: أن ليس عندي مال، فعادوه، فقال: أمانة عندي ولست مسلمها إليك أبداً، فبعث كسرى إليه الهامرز، وهو مرزبانه الكبير، في ألف فارس من العجم، وخناير، في ألف فارس، واياس بن قبيصة، وكان قد جعله في موضع النعمان ملك الحيرة، في كتيبتين شهباوين ودوسر وخالد بن يزيد البهراني في بهراء وأياد. والنعمان بن زرعة التغلبي في تغلب، والنمر بن قاسط، قال: وإن العربان المجتمعة عند هانىء بن قبيصة أشاروا عليه أن يفرق دروع النعمان على قومه وعلى العربان، فقال هي أمانة، فقيل له: إن ظفر بك العجم أخذوها هي وغيرها، وإن ظفرت أنت بهم رددتها على عادتها. ففرقها على قومه وغيرهم، وكانت سبعة آلاف درع. وعبى بنو شيبان تعبية الفرس، ونزلوا أرض ذي قار بين الجلهتين. ووقعت بينهم الحرب، ونادى منادي العرب: إن القوم يفرقونكم بالنشاب، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد. وبرز الهامرز ـ قائد كسرى ـ فبرز إليه يزيد بن حرثة اليشكري، فقتله، وأخذ ديباجه وقرطيه، وأسورته.

وكان الاستظهار في ذلك اليوم الأول للفرس، ثم كان ثاني يوم وقع بينهم القتال فجزعت الفرس من العطش، فصارت إلى الجبايات فتبعتهم بكر وباقي العربان إلى الجبايات يوماً فعطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب، وانهزمت الفرس وكانت وقعة ذي قار المشهورة في التاريخ إنها يوم ولادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكسرت الفرس كسرة هائلة، وقتل أكثرهم، وقيل: كانت وقعة ذي قار عند منصرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، من وقعة بدر الكبرى، وكان أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انتصفوا. وهي من مفاخر بكر بن وائل. قال أبو تمام يمدح أبا دلف العجلي:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها ... وزادت على ما وطدت من مناقب
فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

(١) في معجم البلدان لياقوت الحموي: قال الزجاجي: فيد.. سميت بفيد بن حام، وهو أول من نزلها. وقال السكوني: فيد نصف طريق الحاج من الكوفة إلى مكة.

(٢) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق، وهي ثلثا الطريق وإنما سميت بثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، لما تفرقت أزد مأرب، لحق ثعلبة بهذا =

بعامله على البصرة عثمان بن حنيف من قبل جيش عائشة وأتباعها وذلك عندما أراد ابن حنيف أن يمنعهم من الاستيلاء على دار الامارة، وبيت المال وغيرهما..

وفي الآساد[1] جاءه الخبر عما أصاب حكيم بن جبلة الذي دافع عن حق علي (عليه السلام) بالبصرة وعن عامله عثمان بن حنيف الأنصاري.

وأخذت الأخبار ترد على الإمام علي عما فعله اتباع الجمل وأصحاب الفتنة من إراقة الدماء والقتل والتخويف، واشاعة الذعر بين صفوف المسلمين والمجزرة العظيمة التي ارتكبوها في حراس المسجد ـ السبابجة والزط ـ والتنكيل بالمسلمين المؤمنين من رعاياه المؤيدين له.

في ذلك الوقت نتصوره (عليه السلام). لم ير بداً من أن يقف موقف الرادع والمؤدب، لمن يعيثون في بلاد المسلمين فساداً، فيقول: الله وحده يجزي الطغاة الباغين.

ومع هذا كله تابع سيره (عليه السلام) ومضى بجيشه من المؤمنين عبر الصحراء، والحزن يملأ قلبه على ما أصاب المسلمين من إراقة دمائهم التي حصلت في البصرة. ولما أصاب بعض الصحابة من الانخداع والانجرار وراء أطماعهم الدنيوية كما حصل لطلحة والزبير اللذين انخدعا بوعود معاوية بن أبي سفيان الأموي لهما بالخلافة.. تلك الوعود السرابية البراقة التي أخذ بريقها الموهوم بمجامع قلوبهم فافتتنوا فلجوا بالعصيان والطغيان بعد أن أغراهم النصر الذي أحرزوه في القتال عند دخولهم البصرة والتنكيل بواليها واتباع الإمام علي.

= الموضع، فأقام به، فسمي به. فلما كثر ولده، وقوي أمره رجع إلى نواحي يثرب، فأجلى اليهود عنها، وسكنها. فولده هم الأنصار ـ أهل يثرب ـ وقيل في سبب تسميتها بالثعلبية غير ذلك. راجع معجم البلدان لياقوت.

(1) أساد أو أساود: بالفتح، اسم ماء على يسار الطريق للقاصد إلى مكة من الكوفة. معجم البلدان لياقوت الحموي.

وعلى هذا كله لم يكن أمام أمير المؤمنين علي إلا المضي قدماً لإخماد نار هذه الفتنة العمياء التي تلتهم المسلمين وتقضي على الإسلام وتشريعاته الصحيحة حتى لايبقى من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه... وهذه إرادة أعداء الإسلام الذين لم يألوا جهداً بالتنكيل بالمؤمنين.

ومضى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يتابع سيره حتى وصل إلى ذي قار فحط رحاله فيها ليستريح الجيش أولاً.. ويستقبل الوفود التي تفد عليه ويتهيأ لدخول البصرة.

خطبة أمير المؤمنين علي بذي قار

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي مخنف عن زيد بن صوحان أنه قال: شهدت علياً (عليه السلام) بذي قار، وهو معتم بعمامة سوداء، ملتف بساج[1] يخطب، فقال في خطبته:

«الحمد لله على كل أمر وحال، في الغدو والآصال». . .

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ابتعثه رحمة للعباد، وحياة للبلاد، حين امتلأت الأرض فتنة، واضطرب حبلها، وعُبد الشيطان في أكنافها، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها. . .

فكان محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، الذي أطفأ الله به نيرانها، وأخمد به شرارها، ونزع به أوتادها، وأقام به ميلها. إمام الهدى، والنبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلقد صدع بما أمر به، وبلّغ رسالات ربه، فأصلح الله به ذات البين، وآمن به السبل، وحقن به الدماء، وألف به بين ذوي الضغائن الواغرة في الصدور، حتى أتاه اليقين، ثم قبضه إليه حميداً. . .

---

(١) الساج: الطيلسان. لسان العرب لابن منظور.

ثم استخلف الناس أبا بكر، فلم يأل جهده، ثم استخلف أبو بكر عمر، فلم يأل جهده، ثم استخلف الناس عثمان، فنال منكم ونلتم منه، حتى إذا كان من أمره ما كان، أتيتموني لتبايعوني، لا حاجة لي في ذلك...

ودخلت منزلي، فاستخرجتموني.. فقبضت يدي فبسطموها.. وتداككتم[1] علي.. حتى ظننت أنكم قاتليَّ، وأن بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني غير مسرور بذلك ولا جذل...

وقد علم الله سبحانه أني كنت كارهاً للحكومة بين أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد سمعته يقول: «ما من والٍ يلي شيئاً من أمر أمتي إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤوس الخلائق، ثم ينشر كتابه، فإن كان عادلاً نجا، وإن كان جائراً هوى» حتى اجتمع علي ملؤكم، وبايعني طلحة والزبير، وأنا أعرف الغدر في أوجههما، والنكث في أعينهما...

ثم استأذناني في العمرة، فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان.. فسارا إلى مكة.. واستخفا عائشة.. وخدعاها.. وشخص معهما أبناء الطلقاء[2] فقدموا البصرة، فقتلوا بها المسلمين، وفعلوا المنكر.

ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر.. وبغيهما علي..!! وهما يعلمان أني لست دون أحدهما، ولو شئت أن أقول لقلت...

ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عني... وخرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان...

والله ما أنكرا عليَّ منكراً، ولا جعلا بيني وبينهم نصفاً.. وأن دم

(١) تداككتم: أي تزاحمتم. لسان العرب لابن منظور.

(٢) الطلقاء.. هم الذين خلى عنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة، وأطلقهم فلم يسترقهم، واحدهم طليق. وهو الأسير إذا أطلق سبيله. لسان العرب لابن منظور.

عثمان لمعصوب بهما.. ومطلوب منهما...

يا خيبة الداعي..! إلا م دعا! وبماذا أجيب؟

والله أنهما لعلى ضلالة صماء.. وجهالة عمياء.. وإن الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورجله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويرد الباطل إلى نصابه...

ثم رفع يديه، فقال: اللهم إن طلحة والزبير قطعاني.. وظلماني.. وألّبا عليَّ.. ونكثا بيعتي.. فأحلل ما عقدا.. وانكث ما أبرما.. ولا تغفر لهما أبداً.. وأرهما المساءة فيما عملا وأمّلا...

قال أبو مخنف: فقام إليه الأشتر[1]، فقال: الحمد لله الذي منّ

---

(١) جاء في وسائل الشيعة للحر العاملي: مالك بن الحارث الأشتر قدس الله روحه ورضي عنه، جليل القدر، عظيم المنزلة، كان اختصاصه بعلي (عليه السلام) أظهر من أن يخفى، وتأسف أمير المؤمنين (عليه السلام) بموته وقال: لقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قاله العلامة: وروى الكشي مدحه.
وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: مالك بن الحارث الأشتر توفي سنة ٣٩ ـ كان من زعماء العراق الأشداء، فارساً صنديداً لا يُشق له غبار، شديد البأس، رئيس أركان الجيش لعساكر أبي الحسن علي (عليه السلام) في معاركه. وهو من لهاميم مذحج الأبطال المغاوير، وسيد النخع وشجعانها المساعير. ومن رواسي الجبل في الحلم، ومن السحاب الثقل في الكرم والسخاء. وكان الأشتر بالكوفة أسود من الأحنف بالبصرة.
أما في السياسة، فكان من الأكياس الحازمين، جمع بين اللين والعنف فيسطو في موضع السطو، ويرفق في موضع الرفق. وقد شهد له بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال عنه: «إنه ممن لا يخاف وهنه، ولاسقطته، ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا اسراعه إلى ما البطء عنه أمثل» وهو خطيب منبر، وقائد عسكر، وشاعر ناثر. وقد استطاع أن يخمد بذلاقة لسانه من الفتن العمياء.. ما أعيا السيف اطفاؤه في كثير من المواقف والمشاهد التي نصر فيها الحق، وحارب الباطل. ولما بلغ علياً موت الأشتر قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني احتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر، ثم قال: رحم الله مالكاً فقد كان وفياً بعهده وقضى نحبه ولقي ربه. مع إنا قد وطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله فإنها من أعظم المصائب» وحدث أشياخ النخع قالوا: دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر، فوجدناه يتأسف ويتهلف عليه، ثم قال: «لله در مالك وما مالك؟! والله لو كان =

علينا فأفضل . . وأحسن إلينا فأجمل .

سمعنا كلامك يا أمير المؤمنين ، ولقد أصبت ووفقت ، وأنت ابن عم نبينا ، وصهره ووصيه ، وأول مصدق به ، ومصل معه . شهدت معه مشاهده كلها، فكان لك الفضل فيها على جميع الأمة، فمن اتبعك أصاب حظه، واستبشر بفلجه[1]، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أمه الهاوية.

لعمري يا أمير المؤمنين . . ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل[2] ولقد دخل الرجلان فيما دخلا فيه، وفارقا على غير حدث أحدثت، ولا جور صنعت، فإن زعما أنهما يطلبان بدم عثمان، فليقيدا من أنفسهما، فإنهما أول من ألب عليه وأغرى الناس بدمه.

وأشهد الله لئن لم يدخلا فيما خرجا منه لنحلقنهما بعثمان. فإن سيوفنا في عواتقنا، وقلوبنا في صدورنا، ونحن اليوم كما كنا أمس. ثم قعد[3].

= من جبل لكان فندا ولو كان من حجر لكان صلوا[1] إلى أن قال: على مثل مالك فلبْك البواكي . . وهل موجود كمالك؟!» قال علقمة بن قيس النخعي: فما زال يتلهف ويتأسف . . حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً. ومن أقوال أمير المؤمنين فيه: «كان لي كما كنت لرسول الله . . » وسئل بعضهم عن الأشتر فقال: ما أقول في رجل هزمت حياته أهل الشام . . وهزم موته أهل العراق. وقد وصفه أمير المؤمنين علي (عليه السلام)لأهل مصر حين ولاه عليها في كتاب كتبه إليهم: «لقد وجهت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام في الخوف . . ولا ينكا من الأعداء . . حذر الدوائر أشد على الكافرين من حريق النار . . فاسمعوا وأطيعوا د سيف من سيوف الله . . لا نأبي الضريبة . . ولا كليل الحد». هكذا وردت في الأصل: «والظاهر: لا نابي الضريبة».

(١) استبشر بفلجه: بفوزه: والسهم الفالج: الفائز. لسان العرب لابن منظور.

(٢) ما أمر طلحة والزبير وعائشة علينا بمخيل: أي بهارب. لسان العرب لابن منظور.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

---

(١) هكذا وردت في الأصل : والظاهر : « لو كان حجراً لكان صلدا » .

دخول عبدالله بن العباس على أمير المؤمنين علي بذي قار

جاء في كتاب نهج البلاغة شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده: «قال عبدالله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار، وهو يخصف نعله[1].

فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟..

فقلت: لا قيمة لها..

فقال (عليه السلام): والله لهي أحب إلي من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً.. ثم خرج (عليه السلام) فخطب الناس، فقال:

«إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة. فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم[2] فاستقامت قناتهم[3] واطمأنت صفاتهم[4].

---

(١) **يخصف نعله**: يخرزها.

(٢) **بلغهم منجاتهم**: مراده بوأهم محلتهم: أي أنزلهم منزلتهم فالناس قبل الإسلام كأنهم كانوا غرباء مشردين والإسلام هو منزلهم الذي يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الإسلام الذي كانوا قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك.

(٣) **فاستقامت قناتهم**: القناة العود والرمح. والكلام تمثيل لاستقامة أحوالهم.

(٤) **واطمأنت صفاتهم**: الصفاة: الحجر الصلد الضخم. وأراد به مواطىء أقدامهم. والكلام=

أما والله إن كنت لفي ساقتها[1] حتى تولت بحذافيرها، ما ضعفت ولا جبنت وإن مسيري هذا لمثلها[2] فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه.

مالي ولقريش. والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين. وإنّي لصاحبهم بالأمس. كما أنا صاحبهم اليوم.

والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فادخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمري شربك المحض صابحاً وأكلك بالزبد المقشرة البجرا
ونحن وهبناك العلاء ولم تكن علياً وحطنا حولك الجرد والسمرا[3]

وفي تاريخ الطبري: قدم عثمان بن حنيف على علي (عليه السلام) وهو بذي قار وليس في وجه عثمان شعر ـ وقد نتف أصحاب الجمل شعر رأسه ولحيته وحاجبيه ـ فلما رآه علي (عليه السلام) نظر إلى أصحابه فقال: انطلق هذا من عندنا وهو شيخ، فرجع إلينا وهو شاب. وفي رواية: أن عثمان بن حنيف الأنصاري قال لعلي: يا أمير المؤمنين، بعثتني ذا لحية، وجئتك أمرد.

فقال ـ علي له ـ: أصبت أجراً وخيراً.

وفي ذي قار أتى لعلي (عليه السلام) الخبر بما لقيت ربيعة، وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق. ـ للالتحاق بعلي.

= تصوير لاستقرارهم على راحة الحاملة. وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل أقدامهم.

(١) المراد بقوله والله أعلم: أنه (عليه السلام) كان يسوق الجاهلية طرداً حتى ولت فلم يجن ولم يضعف.

(٢) لمثلها: أي أنه يسير إلى الجهاد في سبيل الحق ـ كما سار إلى الجهاد أمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حرب المشركين.

(٣) نهج البلاغة: شرح الأستاذ الشيخ محمد عبده: ج ـ ١ ـ ص ٨٠ ـ ٨١.

وكانت عبد القيس من الموالين لعلي، مؤازرة لحكيم بن جبلة في نضاله ضد أصحاب الجمل وبعد مقتل حكيم واستيلاء أصحاب الجمل على البصرة وبيت المال غضبت عبد القيس لمن قُتل منهم بعد المعركة التي دارت بالبصرة قبل وصول علي (عليه السلام) كما أسلفنا.

لذلك نجد علياً (عليه السلام) عندما أتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبد القيس ونزولهم بالطريق ، قال : « عبد القيس خير ربيعة ، في كل ربيعة خير . . ثم قال :

يا لهف نفسي على ربيعة ربيعة السامعة المطيعة
قد سبقني فيهم الوقيعة دعا علي دعوة سميعة
حلوا بها المنزلة الرفيعة



كتاب أم المؤمنين عائشة لحفصة بنت عمر
تخبرها عن نزول علي بذي قار

لم تقلع أم المؤمنين عائشة عن حقدها الدفين الكامن في صدرها على مر السنين على علي بن أبي طالب (عليه السلام) منذ دخولها إلى بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). بل كانت كلما تمكنت من أذيته، أو سنحت لها الفرص للنيل منه، أو التشويش عليه فعلت.. تنفيساً لحقدها عليه وكراهيتها له.

لذلك نجدها قد جندت جميع طاقاتها.. ومواهبها لتحصي عليه حركاته، وسكناته علّها تقف منه على هفوة ولو بسيطة لتخرجها للملأ بثوب براق لينخدع البسطاء والسذج من الناس ويساعدها في ذلك أبناء الطلقاء وأعداء علي.

والذي وعاه التاريخ أن حفصة بنت عمر ضرة السيدة عائشة كانت تؤازرها في الحقد والكراهية على علي بن أبي طالب ومحاربته.

لذلك نجدهما قد اتفقتا على كرهه وتنحيته عن الخلافة التي هي حق شرعي له خصه بها الله تعالى ومحاربته بأي وسيلة كانت. فقد ورثتا هذا الحقد عن والديهما الخليفتين أبي بكر وعمر الذين اغتصبا الخلافة منه، وأبعداه عنها من حين وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أنه لما نزل علي (عليه السلام) ذا قار، كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر:

أما بعد.. فإني أخبرك أن علياً قد نزل ذا قار، وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدتنا، وجماعتنا... فهو بمنزلة الأشقر... إن تقدم عقر.. وإن تأخر نحر...

فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف. فأمرتهن أن يقلن في غنائهن:

ما الخبر؟! ما الخبر؟! علي في السفر.. كالفرس الأشقر.. إن تقدم عقر.. وإن تأخر نحر...

وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء. فبلغ أم كلثوم بنت علي (عليه السلام)، فلبست جلابيبها، ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها..

فلما عرفتها حفصة خجلت، واسترجعت..!

فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه منذ اليوم، لقد تظاهرتما على أخيه ـ رسول الله ـ من قبل، فأنزل الله فيكما ما أنزل..!

فقالت حفصة: كفي رحمك الله..!

وأمرت بالكتاب فمزق، واستغفرت الله.

قال أبو مخنف: روى هذا جرير بن يزيد، عن الحكم. ورواه الحسن بن دينار، عن الحسن البصري.

وذكر الواقدي مثل ذلك: وذكر المدائني أيضاً مثله، قال: فقال سهل بن حنيف في ذلك هذه الأشعار:

عذرنا الرجال بحرب الرجال ... فما للنساء وما للسباب!
أما حسبنا ما أتينا به! ... لكِ الخير من هتك ذاك الحجاب

ومخـــرجهـــا اليـــوم من بيتـهـــا   يعـرفها الـذنب نبح الكـلاب[1]
إلـى أن أتـــانـــا كـتـــاب لـهـــا   مشـوم، فيا قبـح ذاك الكتـاب!

وفي شرح النهج أيضاً: قوله: حدثنا الكلبي، عن أبي صالح: أن علياً (عليه السلام)، لما نزل ذا قار في قلة من عسكره، صعد الزبير منبر البصرة فقال:

ألا ألف فارس أسير بهم إلى علي، فأبيته بياتاً، وأصبحه صباحاً، قبل أن يأتيه المدد..

فلم يجبه أحد.. فنزل واجماً، وقال: هذه والله الفتنة التي كنا نتحدث بها!

فقال له بعض مواليه: رحمك الله يا أبا عبد الله... تسميها فتنة ثم نقاتل فيها!؟

فقال ـ الزبير ـ: ويحك!.. والله إنّا لنبصر ثم لا نصبر...

فاسترجع المولى ثم خرج في الليل فاراً إلى علي (عليه السلام) فأخبره. فقال ـ علي (عليه السلام) ـ اللهم عليك به[2].

---

(١) اشارة إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد حذر عائشة من الخروج على علي (عليه السلام) عندما قال لنسائه: «كأني باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١٤ ـ ص ١٣ ـ ١٤.



رسل أمير المؤمنين علي إلى أهل الكوفة

في شرح نهج البلاغة عن أبي جعفر محمد بن جرير أنه قال: كتب علي (عليه السلام) من الربذة إلى أهل الكوفة:

«أما بعد.. فإني قد اخترتكم، وآثرت النزول بين أظهركم، لما أعرف من مودتكم وحبكم لله ورسوله، فمن جاءني ونصرني، فقد أجاب الحق، وقضى الذي عليه».

فأول من بعثه علي (عليه السلام) من الربذة إلى الكوفة محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر فجاء أهل الكوفة إلى أبي موسى، وهو الأمير عليهم ـ من قبل أمير المؤمنين علي ـ ليستشيروه في الخروج إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال لهم:

أما سبيل الآخرة فإن تقعدوا.. وأما سبيل الدنيا فإن تخرجوا...

وبلغ المحمدين ـ محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر ـ قول أبي موسى الأشعري، فأتياه وأغلظا له.. فأغلظ لهما، وقال: لا يحل لكما القتال مع علي حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قُتل حيث كان.

ويتابع صاحب شرح النهج قوله: وعاد محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر إلى علي (عليه السلام)، فلقياه وقد انتهى إلى ذي قار، فأخبراه الخبر...

فقال علي (عليه السلام) لعبدالله بن العباس: إذهب أنت إلى الكوفة، فادع أبا موسى إلى الطاعة، وحذره من العصيان، والخلاف، واستنفر الناس.

فذهب عبدالله بن العباس حتى قدم الكوفة، فلقي أبا موسى، واجتمع الرؤساء من أهل الكوفة...

فقام أبو موسى فخطبهم، وقال: إن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صحبوه في مواطن كثيرة، فهم أعلم بالله ممن لم يصحبه، وإن لكم علي حقاً، وأنا مؤديه إليكم، أمر ألّا تستخفوا بسلطان الله وألا تجترئوا على الله أن تأخذوا كل من قدم عليكم من أهل المدينة في هذا الأمر، فتردوه إلى المدينة، حتى تجتمع الأمة على إمام ترتضي به.

إنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب. أغمدوا سيوفكم، وانصلوا أسنتكم، وقطعوا أوتار قسيكم، حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة[1].

وبعد ذلك رجع عبدالله بن العباس إلى علي (عليه السلام)، فأخبره الخبر ـ من تثبيط الناس عن الخروج إليه.

وفي شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده: أن علياً (عليه السلام) كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو عامله على الكوفة، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس[2] عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب الجمل.

من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس:

أما بعد.. فقد بلغني عنك قول هو لك وعليك، فإذا قدم رسولي

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١٤ ـ ص ١٦ ـ ١٨.

(٢) التثبيط.. الترغيب في القعود والتخلف.

عليك، فارفع ذيلك[1] وأشد مئزرك، واخرج من حجرك[2] واندب من معك فإن حققت فانفذ، وإن تفشلت فابعد[3].

وايم الله لتؤتين حيث أنت، ولا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك[4] وذائبك بجامدك، وحتى تعجل عن قعدتك[5] وتحذر من أمامك كحذرك من خلفك. وما هي بالهوينى التي ترجو، ولكنها الداهية الكبرى، يُركب جملها ويذل صعبها، ويسهل جبلها.

فاعقل عقلك[6]، واملك أمرك، وخذ نصيبك وحظك.

فإن كرهت فتنحى إلى غير رحب، ولا في نجاة، فبالحري لتكفين وأنت نائم[7] حتى لا يقال أين فلان . .

والله أنه لحق مع محق ، وما نبالي ما صنع الملحدون ، والسلام »[8] .

---

(١) رفع الذيل، وشد المئزر، كناية عن التشمير للجهاد.

(٢) وأخرج من حجرك: كنى بحجره عن مقره.

(٣) وأندب من معك أي ادع من معك، فإن حققت أخذت بالحق والعزيمة أمض إلينا، وإن تفشلت وجبنت فابعد عنا.

(٤) الخاثر: الغليظ. والكلام تمثيل لاختلاط الأمر عليه من الحيرة.

(٥) القعدة بالكسر: هيئة القعود ـ ولعل المراد به ـ حتى تعجل عن قعدتك أي يحال بينك وبين جلستك في الولاية ويحيط الخوف بك حتى تخشاه من إمام تخشاه من خلق.

(٦) فاعقل عقلك: المراد به قيده بالعزيمة ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف

(٧) لتكفين بلام التأكيد ونونه ، أي إنا لنكفيك القتال ، ونظفر فيه ، وأنت نائم خامل ، لا إسم لك ولا يسأل عنك، نفعل ذلك بالوجه الحري أي الجدير بنا أن نفعله .

(٨) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٢١ ـ ١٢٢ .



إرسال أمير المؤمنين علي ولده الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى الكوفة

ذكر المؤرخون وأصحاب السير أنه بعد رجوع عبد الله بن عباس إلى علي (عليه السلام) بأخبار أبي موسى الأشعري وتخذيل الناس بالكوفة وتثبيط عزائمهم عن الخروج معه لحرب الناكثين وأصحاب الجمل بالبصرة . دعا ولده الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر ، وأرسلهما إلى الكوفة . فلما قدماها كان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع ، فسلم عليهما ، وأقبل على عمار ، فقال :

يا أبا اليقظان ، علامَ قتلتم أمير المؤمنين ـ عثمان ـ ؟ .

قال عمار : على شتم أعراضنا ، وضرب أبشارنا .

قال ـ مسروق ـ فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين .

ثم خرج أبو موسى ، فلقي الحسن (عليه السلام) فضمه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان أغدوت فيمن غدا على أمير المؤمنين ـ عثمان ـ وأحللت نفسك مع الفجار ؟ .

قال عمار : لم أفعل ، ولِمَ تسوءني ؟ .

فقطع عليهما الحسن (ع) وقال لأبي موسى :

يا أبا موسى ، لِمَ تثبط الناس عنا ، فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح ،

وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء .

قال أبو موسى : صدقت بأبي وأمي . . ولكن المستشار مؤتمن ، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من النائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » .

فغضب عمار وساءه ذلك ، وقال :

أيها الناس ، إنما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك له خاصة . . !

وقام رجل من بني تميم ، فقال لعمار : اسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء ، وتسافه أميرنا اليوم .

وثار زيد بن صوحان[1] وطبقته ، فانتصروا لعمار وجعل أبو موسى

---

(١) في الوسائل للحر العاملي : زيد بن صوحان ، كان من الابدال ، من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) : قاله الشيخ والعلامة وروى الكشي مدحه . وفي حاشية الوسائل : ج ٢٠ ص ٢٠٢ في سلسلة من الأسناد عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : لما صرع زيد بن صوحان يوم الجمل جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) وجلس عند رأسه فقال : « رحمك الله يا زيد . . قد كنت خفيف المؤنة ، عظيم المعونة .
قال : فرفع زيد رأسه ، ثم قال : وأنت يا أمير المؤمنين فجزاك الله خيراً ، فوالله ما علمتك إلا بالله علياً ، وفي أمر الكتاب لعلياً حكيماً ، وأن الله في صدرك لعظيم . والله ما قاتلت معك على جهالة ، ولكني سمعت أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه أللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » . فكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله .
وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني زيد بن صوحان : أبو سليمان أخو صعصعة وسيحان ، قال ابن الكلبي في تسمية من شهد الجمل مع علي : زيد بن صوحان أدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه ، وكان فاضلاً ديناً سيداً في قومه ـ وفي الإصابة أيضاً : عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال : سمعت علياً يقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من سره أن ينظر إلى من يسبقه بعض =

يكف الناس ويردعهم عن الفتنة . ثم انطلق حتى صعد المنبر .

وأقبل زيد بن صوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصة ، وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامة ، تثبطهم عن نصرة علي (عليه السلام) وتأمرهم بلزوم الأرض . . .

وقال : أيها الناس ، انظروا إلى هذه ـ يعني عائشة ـ أمرت أن تقر في بيتها ، وأمرنا نحن أن نقاتل ، حتى لا تكون فتنة . . .

فأمرتنا بما أُمرت به ، وركبت ما أمرنا به !

فقام إليه شبث بن ربعي ، فقال له : وما أنت وذاك أيها العماني الأحمق !

فقام زيد وشال يده المقطوعة[1] وأومأ بيده إلى أبي موسى وهو على المنبر وقال له : يا عبد الله بن قيس ، أترد الفرات عن أمواجه ! دع

= أعضائه إلى الجنة ، فلينظر إلى زيد بن صواحان .

وروى ابن مندة من طريق الجريري عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : ساق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأصحابه ، فجعل يقول : « جندب وما جندب ، والأقطع الخير زيد » فسئل عن ذلك فقال : « أما جندب فيضرب ضربة يكون فيها أمة وحده وأما زيد فرجل من أمتي تدخل الجنة يده قبل بدنه » .

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في مسير له فبينا هو يسير إذ هوم فجعل يقول : زيد وما زيد جندب وما جندب ، والأقطع الخير زيد ، فسئل عن ذلك فقال : رجلان من أمتي أما أحدهما فتسبقه يده ، أو قال بعض جسده إلى الجنة ثم يتبعه سائر جسده وأما الآخر فيضرب ضربة يفرق بها بين الحق والباطل ، أصيبت يد زيد يوم جلولاء ثم قتل يوم الجمل مع علي (عليه السلام) سنة ٣٦ . وجندب قاتل الساحر عند الوليد بن عتبة في مسجد الكوفة ـ وقيل في الكوفة . وقد ذكرنا ذلك فيما سبق من هذا الكتاب .

(١) كان زيد بن صوحان يفتخر بيده المقطوعة والتي سبقته إلى الجنة بشهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت قد قطعت يوم جلولاء ـ وفي رواية في القادسية . وقد أجمع الرواة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « من سره أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه ألى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان » وفي رواية : « تدخل الجنة يده قبل بدنه » وقد تقدمت ترجمته .

عنك ما ليس تدركه . ثم قرأ : ﴿ **آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾[1] .

ثم نادى : سيروا إلى أمير المؤمنين ، وصراط سيد المرسلين ، وانفروا إليه أجمعين . . .

وقام الحسن بن علي (عليه السلام) : فقال :

« أيها الناس ، أجيبوا دعوة إمامكم ، وسيروا إلى أخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لئن يليه أولوا النهى أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيبوا دعوتنا ، وأعينونا على أمرنا ، أصلحكم الله . . . » .

وقام عبد خير[2] فقال : يا أبا موسى ، أخبرني عن هذين الرجلين ـ طلحة والزبير ـ ألم يبايعا علياً ؟

قال ـ أبو موسى ـ : بلى .

قال ـ عبد خير ـ : أفأحدث علي حدثاً يحل به نقض بيعته ؟

قال ـ أبو موسى ـ : لا أدري . . .

قال ـ عبد خير ـ : لا دريت . . ولا أتيت ! إذا كنت لا تدري ، فنحن تاركوك حتى تدري . .

أخبرني ـ يا أبا موسى ـ : هل تعلم أحداً خارجاً عن هذه الفرق الأربع ؟!

علي بظهر الكوفة . . وطلحة والزبير بالبصرة . . ومعاوية

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ١ ـ ٢ .

(٢) عبد خير : هو عبد الخير الخيواني ذكره السيد محسن الأمين في كتاب أعيان الشيعة مع محاورته لأبي موسى الأشعري في مسجد الكوفة حين ذهب رسل أمير المؤمنين علي إلى الكوفة لاستنفار الناس لحرب أصحاب الجمل .

بالشام . . وفرقة رابعة بالحجاز قعود لا يجبي بهم فيء ، ولا يقاتل بهم عدو . . .

فقال ـ أبو موسى ـ : أولئك خير الناس .

قال عبد خير : اسكت يا أبا موسى ، فقد غلب عليك غشك[1] .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١٤ ـ ص ١٩ ـ ٢٠ وقد ذكرها الطبري وابن الأثير وغيرهم من المؤرخين .



خطبة الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) عند استنفاره الناس لحرب أهل الجمل

في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد عن أبي مخنف أنه قال : حدثني جابر بن يزيد قال : حدثني تميم بن خذيم الناجي ، قال : قدم علينا الحسن بن علي (عليه السلام) ، وعمار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي (عليه السلام) ، ومعهما كتابه .

فلما فرغا من قراءة كتابه ، قام الحسن وهو فتى حدث ، والله إني لأرثي له من حداثة سنه وصعوبة مقامه . فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون :

« أللهم سدد منطق ابن بنت نبينا . . .

فوضع الحسن يده على عمود يتساند إليه ، وكان عليلاً من شكوى به ، فقال :

« الحمد لله العزيز الجبار ، الواحد القهار ، الكبير المتعال ، (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار)[1] .

أحمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء .

---

(١) سورة الرعد ـ آية ١٠ .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أمتن علينا بنبوته ، واختصه برسالته ، وأنزل عليه وحيه ، واصطفاه على جميع خلقه ، وأرسله إلى الإنس والجن ، حين عُبدت الأوثان ، وأطيع الشيطان ، وجحد الرحمن ، وصلى الله عليه وعلى آله[1] وجزاه أفضل ما جزى المسلمين .

أما بعد . . فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون ، أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أرشد الله أمره ، وأعز نصره ، بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب ، وإلى العمل بالكتاب ، والجهاد في سبيل الله ، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون ، فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله .

ولقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحده، وأنه يوم صدَّق به لفي عاشرة من سنه، ثم شهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع مشاهده.

وكان من اجتهاده في مرضاة الله، وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم. .

ولم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) راضياً عنه، حتى غمضه بيده، وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء. ثم أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته، وغير ذلك من أموره، كل ذلك من منٍّ الله عليه.

ثم والله ما دعا إلى نفسه؛ ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم عند ورودها فبايعوه طائعين. .

ثم نكث منهم ناكثون، بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه، حسداً له وبغياً عليه، فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد، والصبر، والاستعانة بالله، والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين.

---

(١) وهكذا ورد في الأصل والظاهر: (صلى الله عليه وآله وسلم).

عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه.. واستغفر الله العظيم لي ولكم».

ثم مضى إلى الرحبة، فهيأ منزلاً لأبيه أمير المؤمنين[1].

وفي رواية ثانية عن أبي مخنف قال: حدثني موسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، قال:

أقبلنا مع الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر من ذي قار، حتى نزلنا القادسية، فنزل الحسن وعمار، ونزلنا معهما، فاحتبى عمار بحمائل سيفه ثم جعل يسأل الناس عن أهل الكوفة وعن حالهم.

فلما دخل الحسن وعمار الكوفة، اجتمع إليهما الناس، فقام الحسن، فاستنفر الناس، فحمد الله وصلى على رسوله، ثم قال:

«أيها الناس إنا جئنا ندعوكم إلى الله تعالى وإلى كتابه، وسنة رسوله، وإلى أفقه من تفقه من المسلمين، وأعدل من تعدِّلون، وأفضل من تفضِّلون، وأوفى من تبايعون، من لم يعبه القرآن، ولم تجهِّله السنة، ولم تقعد به السابقة.

إلى من قربه الله تعالى[2] إلى رسوله قرابتين: قرابة الدين، وقرابة الرحم...

إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة...

إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، فقرب منه وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون. وبارز معه وهم محجمون، وصدَّقه وهم يكذبون.

إلى من لم تَرَدّ له رواية.. ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ١٤ - ص - ١٢ - ١٣.
(٢) وفي رواية: إلى من قربه الله تعالى ورسوله.

النصر، ويدعوكم إلى الحق، ويأمركم بالمسير إليه، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثلوا بعماله، وانتهبوا بيت ماله.

فأشخصوا إليه رحمكم الله، فمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر، وأحضروا بما يحضر به الصالحون»[1] .

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ١٤ - ص - ١١ - كذلك الطبري وابن الأثير.

إرسال أمير المؤمنين علي مالك الأشتر إلى الكوفة

ذكرنا فيما سبق ما كان عليه أبو موسى الأشعري من تثبيط الناس وتخذيلهم عن نصرة علي (عليه السلام) مع أنه عامله على الكوفة.

ومن المعروف أن الإمام علي كان يريد عزل أبي موسى عن امارة الكوفة لأنه يعلم بنواياه الخبيثة، وما تنطوي عليه جوارحه من الحقد والغدر. لكنه (عليه السلام) لما جاءه الأشتر وهو من أصحابه المخلصين له (عليه السلام) متوسطاً ومتوسلاً لإبقاء أبي موسى في مركز امارته بعد مقتل عثمان أقره الإمام علي بمحله. والواضح أن الأشتر كان مخدوعاً بولاء أبي موسى واخلاصه...

على أن صاحب النوايا الخبيثة مهما أراد إخفاءها لا بد وأن تظهر، لأنه ما كتم الإنسان شيئاً إلا وظهر على صفحات وجهه أو فلتات لسانه.

لم يتمكن أبو موسى من اخفاء ما يضمره من حقد وكراهية لأمير المؤمنين علي، ولم يستطع من كبح جماح نفسه المريضة من الانتفاضة على أميره الإمام الحق الإمام علي عندما سنحت له الفرصة بمخالفته وإعانته أعدائه. لذلك انكشفت بسرعة نواياه الخبيثة.

وعلى هذا نجده وقد اغتنم فرصة تمرد أصحاب الجمل فنهض

للتشويش والبلبلة فلبس ثوب الحمل على قلب الذئب، وتظاهـر في أول الأمر برغبته في الولاء لعـلي حتى لا يقصيه عن منبر الكوفـة ويعزلـه من الامارة، لأنه لا يتمكن من مخالفة جمهور المسلمين الـذين يتفانـون بحب عـلي بن أبي طالب وتـأييده. وإن كـان لا يخلو الأمـر من وجـود قلة من الناس يهوون ما يهوى أبو موسى، لكن هذه القلة ليست لها شـأن يذكـر ولا تشكل خطراً على خلافة علي بن أبي طالب أو الدعوة لنصرته.

ظن أبو موسى في باديء الأمر أن الفرصة قد واتته لتنفيس حقده، ونفث سمومه.. وذلك عندما سمع بمسير أم المؤمنين عـائشة مـع طلحة والزبير إلى البصرة لمحاربة علي.. واستيلائهم عليها. وخصوصاً بعد أن سمع أيضاً بأن السيدة عائشة قد أرسلت إلى بعض رؤساء أهـل الكوفـة تـطلب منهم عدم نصرة عـلي وتخذيـل الناس عنـه كما جـاء في رسـالتهـا لزيد بن صوحان التي مر ذكرها.

في ذلـك الظرف العصيب، وهيجـان النفـوس آخـذ مـأخـذه، لم يتمكن أبـو موسى من الانتفـاضة عـلى علي علنـاً ـ أليس هو عـامله على الكـوفة؟! ـ فسلك طـريقاً خـاصاً لتخـذيل النـاس عن نصرته، وتثبيط عزائمهم عن الخروج معـه لحرب أعـدائه من نـاحية خفيـة، حسب أنها تنـطلي على المسلمـين المؤمنين ذوى الحجى.. ونسي أنها وإن كـانت ربما تنطلي على بعض العامة وأهل الغوغاء، لكنها لا تنطلي على قادة المسلمين الصلحـاء، والصحابـة الأجلاء الـذين يعـرفـون حق عـلي ومـركـزه من الخلافة والولاية. بـالاضافـة إلى أنهم طالمـا سمعوا من رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) النص عـلى ولايته ـ يـوم غـد يـرخم ـ وأنـه أمـير المؤمنين.

بقيت الكوفة بشفاعة الأشتر وتوسطه لدى أمـير المؤمنين عـلي تحت أمرة الأشعري الذي ضيع ثقة شفيعه به.. وما أصعب أن يرى الإنسان من أحسن إليـه وأولاه ثقته وتـوسط له أن يتنمـر عليـه ويقلب لـه ظهـر المجن، كما فعل أبو موسى مـع الأشتر حيث تشفـع به الأخـير عند عـلي

لابقائه والياً على الكوفة، فكان جزاء الأشتر من أبي موسى النكث، والخذلان له ولأميره الإمام علي. فأصبح الأشعري امثولة بين الخونة، وناكثي العهود، والمتنكرين للجميل.. وكما قيل: أتق شر من أحسنت إليه.

ومن المعروف عند أهل التاريخ وأصحاب السير أنه لما تمادى أبو موسى في غيه ولم يعد من الإمكان السكوت عن تصرفاته السيئة المثيرة للفتنة.. كان لا بد من استدراك الأمر إذ لم يبق للتسامح والتهاون مع المنافقين محل.

عند ذلك أرسل علي (عليه السلام) إلى الكوفة مالك الأشتر شفيع الأشعري ووسيطه ليوقفه عند حده ويثنيه عن التمادي في غيه. بعد أن كان (عليه السلام) أرسل عدة رسل إلى الكوفة، ولأميرها الأشعري كما ذكرنا آنفاً.

ذكر الطبري في تاريخه: أن الأشتر أتى علياً (عليه السلام)، فقال له: أكرمك الله.. يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تبعثني إلى أهل المصر - أي إلى أهل الكوفة - فإنهم أحسن شيء لي طاعة، وإن قدمت عليهم رجوت ألا يخالفني منهم أحد.

فقال له علي (عليه السلام): ألحق بهم.

فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة، وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول:

اتبعوني إلى القصر...

فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم القصر، فدخله، وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس، ويثبطهم، ويقول:

أيها الناس، أن هذه فتنة عمياء، صماء، تطأ خطامها، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من

الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب.

إنها فتنة باقرة كداء البطن، أتتكم من قبل مأمنكم، تدع الحليم فيها حيران كابن أمس. إنا معاشر أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أعلم بالفتنة، أنها إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت أسفرت.

وعمار يخاطبه، والحسن ـ عليه السلام ـ يقول له:

اعتزل عملنا لا أم لك..! وتنح عن منبرنا.

ويتابع الطبري روايته المتسلسلة عن أبي مريم الثقفي، قال: والله إني لفي المسجد يومئذٍ وعمار يخاطب أبا موسى إذ خرج علينا غلمان لأبي موسى يشتدون وينادون:

يا أبا موسى، هذا الأشتر قد دخل القصر، فضربنا وأخرجنا..

فنزل أبو موسى، فدخل القصر..

فصاح به الأشتر:

أخرج من قصرنا لا أم لك! أخرج الله نفسك.. فوالله أنك لمن المنافقين قديماً!

قال ـ الأشعري ـ: أجلني هذه العشية.

فقال ـ الأشتر ـ: هي لك، ولا تبيتن في القصر الليلة.

ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر، وأخرجهم من القصر.

وقال: أني قد أخرجته. فكف الناس عنه[1].

وفي رواية شرح النهج: ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر، وقال: أني قد أخرجته وعزلته عنكم. فكف الناس حينئذٍ عنه.

أقول: هكذا نرى عاقبة الغدر، والخيانة، ونكران الجميل تعود على صاحبها بالخزي والعار...

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ـ ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

فهذا أبو موسى الأشعري الذي لم يصغ لصـوت الناصحـين، من خيار الصحابة والمسلمين، ولم يتجاوب مع رسل علي أمير المؤمنين. . بل تمادى في غيه ولج في عناده، فكانت النتيجة أنـه خرج من قصر الامـارة معـزولاً، مذمـوماً، مـدحوراً يجـرجر أذيـال الخيبة، والـذل والانكسار، وكانت عاقبة أمره خسراً.



استنفار أهل الكوفة وقدومهم على أمير المؤمنين علي بذي قار

تقدم منا الكلام على ما جرى بالكوفة، وأن أميرها الأشعري حاول جهده لتخذيل الناس عن الالتحاق بعلي (عليه السلام)، لكن باءت خطته بالفشل، وخرج بالخيبة والخذلان.

اجتمع الناس في الكوفة وقام رؤساؤهم يتداولون الرأي، ويستنفرون الجماهير لنصرة أمير المؤمنين علي على مفرقي الجماعة وناكثي البيعة أصحاب الجمل المتواجدين في البصرة.

جاء في الكامل في التاريخ لابن الأثير أنه: لما اجتمع الناس بالكوفة قام حجر بن عدي[1] فقال:

---

(١) في وسائل الشيعة للحر العاملي: ج - ٢٠ - ص - ١٦١ حجر بن عدي الكندي، كان من الابدال قاله العلامة والشيخ في أصحاب علي (عليه السلام)، وروى الكشي مدحه. وفي هامش الوسائل أيضاً: حجر بن عدي الكندي نسبة إلى كندة، وهي قبيلة عربية كبيرة. وفي الكشي بإسناده قال: أنبأنا حجر بن عدي قال: قال لي علي (عليه السلام): كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعني؟ قلت له: كيف أصنع؟ قال (عليه السلام): العني ولا تبرأ مني، فإني على دين الله. قال: ولقد ضربه محمد بن يوسف، وأمره أن يلعن علياً (عليه السلام)، وأقامه على باب مسجد صنعاء. قال: فقال حجر: أن الأمير أمرني أن ألعن علياً. فألعنوه لعنه الله.. الخ وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني: حجر بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين الكندي المعروف بحجر بن الأدبر، وحجر الخير. وذكر ابن سعد ومصعب الزبيري فيما رواه الحاكم عنه: أنه وفد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو وأخوه هانىء بن عدي وأن =

أيها الناس، أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خفافاً وثقالاً مرّوا ـ أي سيروا ـ وأنا أولكم، فاذعن الناس للمسير.

وقام هند بن عمرو، فقال: أن أمير المؤمنين قد دعانا، وأرسل الينا رسله، حتى جاءنا ابنه، فاسمعوا إلى قوله، وانتهوا إلى أمره، وانفروا إلى أميركم، فانظروا معه في هذا الأمر، وأعينوه برأيكم[1].

= حجر بن عدي شهد القادسية، وأنه شهد بعد ذلك الجمل، وصفين. وصحب علياً فكان من شيعته، وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية. وكان حجر هو الذي أفتتحها، فقدر أن قتل بها. وقد ذكر ابن الكلبي جميع ذلك وذكره يعقوب بن سفيان في أمراء علي يوم صفين. وروى ابن السكن وغيره من طريق إبراهيم بن الأشتر عن أبيه أنه شهد هو وحجر بن الأدبر موت أبي ذر بالربذة. روى الطبري في تاريخه وابن حجر في إصابته، والحاكم في مستدركه وابن الأثير في تاريخهم. والسيد محسن الأمين في أعيانه: أنّه خطب يوماً زياد ـ بن أبيه ـ وكان والياً من قِبَل معاوية على الكوفة فأطال في خطبته، ثم قال ـ حجر ـ: الصلاة، فمضى ـ زياد ـ في خطبته. فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصى فحصبه بها، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه. فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره، وكثر عليه. فكتب إليه معاوية أن شده بالحديد ثم أحمله إلي. وفي مروج الذهب للمسعودي: في سنة ٥٣ قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وهو أول من قتل صبراً في الإسلام. حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها. ولما صار إلى مرج عذراء على اثني عشر ميلاً من دمشق تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية فبعث برجل أعور. فلما وصل إليهم قال لحجر: أن أمير المؤمنين معاوية أمرني بقتلك يا رأس الضلال، ومعدن الكفر والطغيان، والمتولي أبي تراب. وقتل أصحابك إلا أن تراجعوا عن كفركم وتلعنوا صاحبكم، وتبرؤا منه. فقال حجر وجماعة ممّن كان معه: أنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعونا إليه، ثم القدوم على الله وعلى نبيّه (ص) وعلى وصيّه أحبُّ إلينا من دخول النار.. وفي مروج الذهب أيضاً: لما قدم حجر ليقتل قال: دعوني أصلي ركعتين فجعل يطوّل في صلاته فقيل له: أجزعاً من الموت؟ فقال: لا ولكني ما تطهرت للصلاة قط إلّا صليت وما صليت قط أخف من هذه! وكيف لا أجزع وأني لأرى قبراً محفوراً وسيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً؟! ثم قدم فنحر وألحق به من وافقه على قوله ـ وسنأتي على لمحة من سيرة حجر عليه الرحمة عند مقتله. إنشاء الله.

(١) اشارة إلى قوله (عليه السلام): أني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا نفر، فإن كنت مظلوماً أعانني: الخ.

وأتى قوم من طيء عدي بن حاتم فقالوا: ماذا ترى..؟ وما تأمر..؟

فقال ـ عدي ـ : قد بايعنا هذا الرجل ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدث العظيم، لننظر فيه، ونحن سائرون وناظرون.

ثم قام الحسن (عليه السلام) فقال: أيها الناس، أني غاد.. فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر[1] ومن شاء في الماء..

فنفر معه من الناس قريب من تسعة آلاف، أخذ في البر ستة آلاف ومائتان، وأخذ في الماء ألفان وأربعمائة.

وقيل: أن عدد من سار من الكوفة إثنا عشر ألف رجل ورجل.

قال أبو الطفيل[2]: سمعت علياً (عليه السلام) يقول ذلك قبل

---

(١) الظهر: الإبل التي يحمل عليها ويركب. يقال: عند فلان ظهر، أي إبل. لسان العرب لابن منظور.

(٢) في وسائل الشيعة للحر العاملي: عامر بن واثلة أبو الطفيل، من خواص علي (عليه السلام)، نقله العلامة عن البرقي، ونقل الكشي مدحه، وأنه كيساني، وقد مر أنه من تقاة أمير المؤمنين (عليه السلام) وفي حاشية الوسائل أيضاً في سلسلة من الإسناد عن شهاب بن عبد ربه، قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) كيف أصبحت جعلت فداك؟ قال: أصبحت أقول: كما قال أبو الطفيل عامر بن واثلة:

وأن لأهل الحق لا بد دولة ... على الناس إياها أرجى وأرقب

ثم قال: إنا والله ممن يرجى ويرقب. وكان عامر بن واثلة كيسانيا ممن يقول بحياة محمد ابن الحنفية، وله في ذلك شعر، وخرج تحت راية المختار بن أبي عبيد، وكان يقول: ما بقي من السبعين غيري، ويقول:

وبقيت سهماً في الكنانة واحداً ... سيرمى به أو يكسر السهم كاسره

وكان أبو الطفيل رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو آخر من رآه موتاً، وهو القائل:

ويدعونني شيخاً وقد عشت حقبة ... وهن من الأزواج نحوي نوازع

وما شاب رأسي من سنين تتابعت ... علي ولكن شيبتني الوقايع

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج ـ ٤ ـ ص ـ ١١٣ ـ باب الكنى: أبو الطفيل: =

وصولهم، فقعدت فأحصيتهم، فما زادوا رجلاً، ولا نقصوا رجلاً.

وكان على كنانة. وأسد. وتميم. والرباب. ومزينة. معقل بن يسار الرياحي. وكان على سبع قيس، سعد بن مسعود الثقفي عم المختار[1].

وكان على بكر. وتغلب. وعلة بن محدوج الذهلي.

وكان على مذحج. والأشعريين. حجر بن عدي. وعلى بجيلة.

= عامر بن واثلة الكناني ـ ثم الليثي رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو شاب، وحفظ عنه أحاديث، قال ابن عدي له صحبة. روى عن النبي والصحابة. وروى عنه الزهري وأبو الزبير وقتادة وغيرهم. وقال مسلم: مات سنة مائة وهو آخر من مات من الصحابة. وقال ابن البرقي: مات سنة اثنين ومائة وهو مشهور باسمه وكنيته جميعاً. وفي الاستيعاب لابن عبد البر حاشية الإصابة.

أبو الطفيل ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمان سنين نزل الكوفة، وصحب علياً (عليه السلام) في مشاهده كلها فلما قتل علي انصرف إلى مكة فأقام بها حتى مات سنة مائة. ويقال أنه أقام بالكوفة ومات بها والأول أصح والله أعلم.

وقد ذكره ابن أبي خيثمة في شعراء الصحابة، وكان فاضلاً عاقلاً، حاضر الجواب، فصيحاً، وكان متشيعاً في علي رضي الله عنه ويفضله. ويقول صاحب الاستيعاب أنه: قدم أبو الطفيل يوماً على معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل علي بن أبي طالب. فقال له معاوية: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟! قال أبو الطفيل: كوجد أم موسى على موسى. وأشكو إلى الله التقصير. ثم قال له معاوية: كنت فيمن حصر عثمان؟ قال: لا.. ولكني كنت فيمن حضره، قال معاوية: فما منعك من نصره؟! قال أبو الطفيل: وأنت ما منعك من نصره إذ تربصت به ريب المنون..! وكنت مع أهل الشام وكلهم تابع لك فيما تريد؟! فقال معاوية: أو ما ترى طلبي بدمه نصرة [illegible] ر الطفيل: بلى ولكنك كما قال أخو جعف:

فلألفينك بعد الموت تندبني   وفي حياتي ما زودتني زادي

(١) في الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج ـ ٢ ـ ص ـ ٣٧: سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد. ذكره البخاري في الصحابة. وقال الطبراني له صحبة. وذكر أبو مخنف: أن علياً ولاه بعض عمله. ثم استصحبه معه إلى صفين. وروى الطبراني من طريق أبي حصين عن عبدالله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي أنه قال: كان نوح إذا لبس ثوباً حمد الله، وإذا أكل أو شرب حمد الله، فلذلك سمي عبداً شكوراً.

والنمار. وخثعم. والأزد. مخنف بن سليم الأزدي. فقدموا على أمير المؤمنين بذي قار.

وفي ذي قار لقيهم (عليه السلام) في ناس معه فيهم ابن عباس. فرحب بهم وقال أمير المؤمنين:

«يا أهل الكوفة، أنتم قاتلتم ملوك العجم، وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم. فمنعتم حوزتكم. وأعنتم الناس على عدوهم.

وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة.. فإن يرجعوا فذاك الذي نريد. وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بظلم ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد انشاء الله.

واجتمعوا عنده (عليه السلام) بذي قار. وعبد القيس بأسرها في الطريق بين علي.. والبصرة، ينتظرونه وهم ألوف.

وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين، القعقاع بن عمرو. وسعد بن مالك. وهند بن عمرو. والهيثم بن شهاب.

وكان رؤساء النفار زيد بن صوحان. والأشتر. وعدي بن حاتم. والمسيب بن نجبة. ويزيد بن قيس. وأمثال لهم ليسوا دونهم، إلا أنهم لم يؤمروا[٢].

وفي شرح نهج البلاغة عن أبي مخنف عن ابن عباس قال: لما نزلنا مع علي (عليه السلام) ذا قار، قلت:

يا أمير المؤمنين، ما أقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن؟

فقال (عليه السلام): والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً، لا يزيدون ولا ينقصون.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج - ٣ - ص ١١٨ - ١١٩.

قـال ابن عباس: فـدخلني والله من ذلك شـك شديـد في قولـه، وقلت في نفسي: والله إن قدموا لأعدّنهم.

قـال أبو مخنف: فحـدث ابن إسحـاق عن عمـه عبـد الـرحمن بن يسار، قال: نفر إلى علي (عليه السلام) إلى ذي قار من الكوفـة في البحر والبر، ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً. أقام علي بـذي قار خمسـة عشر يوماً، حتى سمع صهيل الخيل وشحيج البغال حوله.

قال: فلما سار بهم منقلة[1]، قال ابن عباس: والله لأعدنهم، فإن كانوا كما قال: وإلا أتممتهم من غـيرهـم. فإن النـاس قد كـانوا سمعـوا قوله.

قال: فعرضتهم فـوالله ما وجـدتهم يزيـدون رجلاً، ولا ينقصـون رجلاً.

فقلت: الله أكبر!.. صدق الله ورسوله!.. ثم سرنا.

قـال أبو مخنف: لمـا بلغ حذيفـة بن اليمان[2] أن عليـاً قد قـدم ذا

---

(١) المنقلة: مرحلة السفر.

(٢) في الاستيعـاب لابن عبد الـبر: حـذيفـة بن اليـمان يكنى أبـا عبـدالله، واسم اليـمان حسيـل بن جابـر واليمان لقب حليف لبني عبـد الأشهل من الأنصـار. وأمه امـرأة من الأنصار من الأوس من بني عبد الأشهل اسمها الرباب بنت كعب. شهد حذيفة وأبوه حسيـل وأخـوه صفـوان أحـداً، وقتـل أبـاه يـومئـذ بعض المسلمـين وهـو يحسبـه من المشركين. كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) وهـو الذي بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخندق ينظر إلى قريش، فجـاءه بخبر رحيلهم. وكان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين. وهـو معروف في الصحـابة بصاحب سر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان حذيفة يقول: خيرني رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بين النصرة والهجرة فاخترت النصرة. وشهد حذيفة نهاوند، فلما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية، وكان فتح همدان. والري والدينور على يد حذيفة وكانت فتوحـه كلها سنـة اثنين وعشرين. ومـات حذيفـة سنـة ست وثلاثـين بعد قتـل عثمان في أول خلافـة علي. وكـان موتـه بعد أن أتى نعي عثمان إلى الكوفـة ولم يدرك الجمل. وقُتل صفوان وسعيد ابنـا حذيفـة بصفين وكـان قد بـايعا عليـاً بوصيـة أبيهما بذلك إياهما. وفي كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين عن المسعودي: أن حـذيفة قال لابنيه صفوان وسعيد: إحملاني وكونا مع علي (عليه السلام)، فسيكون لـه حروب =

قار، واستنفر الناس. دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا، ورغبهم في الآخرة، وقال لهم:

الحقوا بأمير المؤمنين، ووصي سيد المرسلين، فإن من الحق أن تنصروه، وهذا الحسن ابنه وعمار قد قدما الكوفة، يستنفران الناس، فانفروا.

قال: فنفر أصحاب حذيفة إلى أمير المؤمنين، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة، وتُوفي رحمه الله تعالى.

قال أبو مخنف: وقال هاشم بن عتبة المرقال، يذكر نفورهم إلى علي (عليه السلام):

وسرنا إلى خير البرية كلها ... على علمنا أنا إلى الله نرجع
نوقره في فضله ونجله ... وفي الله ما نرجو وما نتوقع
ونخصف أخفاف المطي على الوجا[1] ... وفي الله ما نزجي وفي الله نوضع[2]

= كثيرة فيهلك فيها خلق من الناس فاجتهدا أن تستشهدا معه، فإنه والله على الحق ومن خالفه على الباطل. واستشهد ولداه صفوان وسعيد مع علي (عليه السلام) بصفين. وعن عبدالله بن جعفر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آخى بين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان. وفي السيرة الحلبية: أن ذلك كان بعد الهجرة. وقال الكفعمي في كتابه المصباح: الأركان الأربعة هم: حذيفة، وأبو ذر، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود. وروى الكشي في سلسلة من الإسناد عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: ضاقت الأرض بسبعة، بهم ترزقون، وبهم تنصرون. وبهم تمطرون. منهم سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة رحمة الله عليهم وأنا امامهم، وهم الذين صلوا على فاطمة (عليها السلام). وفي وسائل الشيعة للحر العاملي: حذيفة بن اليمان، أحد الأركان الأربعة، قاله العلامة والشيخ في أصحاب علي (عليه السلام)، وروى الكشي مدحه.

(١) الوجا: الحفا. وقيل: شدة الحفا. وعن ابن السكيت: الوجا أن يشتكي البعير باطن خفه. والفرس باطن حافره. لسان العرب لابن منظور.

(٢) زجا الشيء دفعه وساقه. والريح تزجي السحاب أي تسوقه سوقاً رفيقاً. وفي الحديث: كان يتخلف في السير فيزجي الضعيف، أي يسوقه ليلحقه بالرفاق. لسان العرب لابن منظور.

دلفنـا بجمع آثـروا الحق والهدى إلى ذي تــقـى في نصره نــتسرع
نكـافـح عنـه والسيـوف شهــيرة تصــافح أعنــاق الـرجـال فتقـطع

قال أبو مخنف: فلما قـدم أهل الكـوفة عـلى علي (عليـه السلام)، سلموا عليه وقالوا:

الحمـد لله يا أمـير المؤمنين الـذي اختصنـا بمـوازرتـك، وأكـرمنـا بنصرتك، قد أجبناك طائعين، غير مكرهين، فمرنا بأمرك.

فقام (عليه السلام).. فحمد الله وأثنى عليـه وصلى عـلى رسولـه وقال:

«مرحباً بأهل الكوفة، بيوتات العـرب ووجوههـا، وأهل الفضـل وفرسانها، وأشـد العرب مـودة لرسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ولأهل بيته.

ولـذلك بعثت إليكم، واستصرختكم عنـد نقض طلحة والـزبـير بيعتي، عن غير جور مني، ولا حدث. ولعمري لـو لم تنصروني يا أهـل الكوفة، لرجوت أن يكفيني الله غوغاء الناس، وطغام أهل البصرة، مع أن عامة من بها ووجوهها، وأهل الفضل والدين قد اعتزلـوها، ورغبـوا عنها.

فقـام رؤوس القبائـل. فخطبـوا.. وبذلـوا لـه النصر، فـأمـرهم بالرحيل إلى البصرة[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ٢ ـ ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

قدوم أمير المؤمنين علي إلى البصرة

ذكر المسعودي في مروج الذهب بعد سلسلة من الإسناد عن المنذر بن الجارود أنه قال: «لما قدم علي (عليه السلام) البصرة، دخل مما يلي الطف[1]، فأتى الزاوية[2] فخرجت انظر إليه.. فورد موكب في نحو ألف فارس، يتقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه قلنسوة، وثياب بيض، متقلد سيفاً ومعه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة. مدججين في الحديد والسلاح...

فقلت: من هذا؟

فقيل لي: هذا أبو أيوب الأنصاري[3]، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وهؤلاء الأنصار وغيرهم معه.

---

(١) الطف: بالفتح، والفاء مشددة، وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

(٢) الزاوية: موضع قرب البصرة، كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. قتل فيها خلق كثير من الفريقين. معجم البلدان لياقوت.

(٣) في الإصابة لابن حجر العسقلاني - ج - ١ - ص ٤٠٥ أبو أيوب الأنصاري النجاري، اسمه خالد بن زيد - من بني النجار - معروف باسمه وكنيته، وأمه هند بنت سعيد من بني الحارث بن الخزرج.. من السابقين، روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).. وروى عنه كثير من الصحابة وجماعة من التابعين. شهد العقبة وبدرا وما بعدها ونزل عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قدم المدينة مهاجراً، فأقام =

ثم تلاهم فارس آخر، عليه عمامة صفراء، وثياب بيض، متقلد سيفاً، متنكب قوساً، معه راية على فرس أشقر، في نحو ألف فارس...

فقلت: من هذا؟.

فقيل لي: هذا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين[1].

ثم مرَّ بنا فارس آخر على فرس كميت، معتم بعمامة صفراء، من

= عنده حتى بنى بيوته ومسجده، وآخى بينه وبين مصعب بن عمير وشهد الفتوح، وداوم الغزو.

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين عند أقوال العلماء في أبي أيوب الأنصاري: كان أبو أيوب صحابياً من السابقين إلى الإسلام، انصارياً، خزرجياً، مخلصاً في ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مختصاً به، شهد معه جميع حروبه، بعدما شهد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع حروبه. وقضى عمره في الجهاد في سبيل الله. وغزا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام. حتى مات غازياً في بلاد الروم ـ في ملك معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢ وهو الأكثر كما جاء في الاستيعاب ـ وكان شاعراً مجيداً، وامتاز بأنه صاحب منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الهجرة. فلم ينزل النبي عند أحد وقد عرضت عليه القبائل النزول كلما مر بواحدة منها حتى أخواله، فلم يقبل وقال: «دعو الناقة فإنها مأمورة» حتى أناخت بباب أبي أيوب. وقال نصر بن مزاحم في كتاب صفين: كان أبو أيوب سيداً معظماً من سادات الأنصار. وكان من شيعة الإمام علي (عليه السلام). وروى الخطيب في تاريخه أن علقمة والأسود أتيا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقالا له: يا أبا أيوب أن الله أكرمك بنزول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبمجيء ناقته تفضلاً من الله تعالى وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس جميعاً، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب أهل لا إله إلا الله؟! فقال: يا هاذان إن الرائد لا يكذب أهله أن رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع علي (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل، وأما القاسطون فهذا منصرفنا عنهم يعني معاوية وعمرو بن العاص. وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات.. والله ما أدري أين هم.. ولكن لا بد لنا من قتالهم انشاء الله تعالى ثم شهد أبو أيوب وقعة النهروان مع علي وهو على مقدمته يقاتل المارقين كما أمره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك.

(١) خزيمة بن ثابت الأنصاري: الملقب بذي الشهادتين. صحابي جليل وهو من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قتل يوم صفين مع علي بن أبي طالب بعد مقتل عمار بن ياسر (رض) وقد تقدمت ترجمة خزيمة.

تحتها قلنسوة بيضاء، وعليه قباء أبيض مصقول، متقلد سيفاً، متنكب قوساً، في نحو ألف فارس من الناس، ومعه راية . . .

فقلت: من هذا؟ . .

فقيل لي: هذا أبو قتادة بن ربعي[1] . .

ثم مرَّ بنا فارس آخر، على فرس أشهب، عليه ثياب بيض وعمامة سوداء، قد سدلها من بين يديه، ومن خلفه، شديد الأدمة[2] عليه سكينة ووقار، رافع صوته بقراءة القرآن، متقلد سيفاً، متنكب قوساً، معه راية بيضاء، في ألف من الناس مختلفي التيجان، حوله مشيخة وكهول وشباب، كأنما قد أوقفوا للحساب، أثر السجود قد أثر في جباههم . .

فقلت: من هذا؟ . .

فقيل لي: هذا عمار بن ياسر[3] في عدة من الصحابة، من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ثم مرَّ بنا فارس على فرس أشقر عليه ثياب بيض، وقلنسوة بيضاء، وعمامة صفراء، متنكب قوساً، متقلد سيفاً،

---

(١) أبو قتادة بن ربعي: هو من الأنصار، صحابي جليل من أصحاب أمير المؤمنين علي تقدمت ترجمته.

(٢) الأدمة: السمرة الشديدة.

(٣) في الوسائل للحر العاملي: عمار بن ياسر أبو اليقظان، من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (عليه السلام) ذكره الشيخ، ونقل عن البرقي أنه من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأنه من شرطة الخميس، وأنه من أهل الجنة، وقال الشيخ: أنه رابع الأركان، وروى الكشي له مدائح كثيرة بليغة. وكذا غيره. وفي حاشية الوسائل أيضاً: عمار بن ياسر قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ألقته قريش في النار: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم» فلم يصبه منها مكروه. وقتلت قريش أبويه ورسول الله يقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة. ما تريدون من عمار! عمار مع الحق والحق مع عمار حيث كان. عمار جلدة بين عيني وأنفي، تقتله الفئة الباغية. عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار». وستأتي ترجمة عمار بن ياسر أيضاً: عند مقتله يوم صفين مع الإمام علي (عليه السلام) انشاء الله.

تخط رجـلاه في الأرض، في ألف من النـاس، الغـالب عـلى تيجـانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء...

قلت: من هذا؟..

فقيـل لي: هذا قيس بن سعـد بن عبـادة[1] في عـدة من الأنصـار

---

(١) في وسائل الشيعـة للحر العـاملي: ج ـ ٢٠ ـ ص ٣٠١ قيس بن سعـد بن عبادة، من السابقين الـذين رجعوا إلى أمـير المؤمنين (عليـه السلام). وهـو مشكور، لم يبـايع أبـا بكر، قاله العلامة، ورواه الكشي مع مدح آخر.
وفي الإصابة للعسقلاني: قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخـزرجي، وأمه بنت عم أبيـه واسمها فكيهـة. قال ابن عيينـة عن عمرو بن دينـار: كان قيس ضخـماً حسناً، طويلاً إذا ركب الحمار خطت رجلاه الأرض. وقال الواقدي: كان سخياً كريماً داهية. وأخرج البغوي من طريق ابن شهاب قال: كان قيس حامل راية الأنصـار مع رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) وكـان من ذوي الرأي من النـاس. وقال ابن يونس: شهد فتح مصر، واختط بها داراً، ثم كـان أميرهـا لعلي (عليـه السلام). وفي مكـارم الأخلاق للطبراني: من طـريق عروة بن الـزبير. كـان قيس بن سعد بن عبـادة يقول: اللهم ارزقني مالاً فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمـال. وفي صحيح البخـاري عن أنس: كان قيس بن سعد من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة صاحب الشرطة من الأمـير، وأخرج البخـاري في التاريـخ من طريق ابن أسعـد قـال: رأيت قيس بن سعد وقد خدم النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) عشر سنـين. وقال أبـو عمر: كـان أحـد الفضلاء الجلة، من دهـاة العرب، من أهـل الـرأي والمكيـدة في الحـرب، مـع النجدة والسخاء والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافع. وفي الصحيـح عن جابـر في قصة جيش العسرة أنه كان في ذلك الجيش، وأنه كان ينحر ويطعم، حتى استـدان بسبب ذلـك، ونهاه أمير الجيش ـ يـومذاك ـ وهـو أبو عبيـدة، وفي الإصابـة أيضـاً: أن رجلاً استقرض من قيس بن سعد ثلاثـين ألفاً، فلما ردهـا عليه أبى أن يقبلهـا. وشهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلـم) المشاهـد وأخذ النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) يـوم الفتح الـراية من أبيـه فدفعهـا لـه. وفي الاستيعـاب لابن عبـد الـبر: ثم صحب قيس بن سعد علي بن أبي طـالب عليه السـلام وشهد معـه الجمل، وصفـين، والنهروان هو وقومه ولم يفارقه حتى قتل وعن عمرو بن دينار قال: قال قيس بن سعد: لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب وفي الاستيعاب أيضـاً: وبعد صلح الحسن (عليه السلام) مع معاوية لزم قيس بن سعد بن عبادة المـدينة وأقبـل على العبـادة حتى مات بها سنة ستين وقيل سنة تسع وخمسين في آخر أيام معـاوية روى عن النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) وعن أبيه وروى عنه كثير من الصحابة.

وأبنائهم، وغيرهم من قحطان.

ثم مرَّ بنا فارس على فرس أشهل، ما رأينا أحسن منه، عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء قد سدلها من بين يديه بلواء.

قلت: من هذا؟

قيل لي: هذا عبدالله بن العباس[1] في وفده وعدة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين...

قلت: من هذا؟

قيل لي: هذا عبيد الله بن العباس[2].

---

(١) عبد الله بن العباس الملقب بحبر الأمة. تقدمت ترجمته رضي الله عنه.

(٢) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: أن عبيد الله بن العباس خرج يريد معاوية فأصابته السماء وهو في أرض قفر ليلاً، فرفعت له نار فقال لغلامه مقسم: أقصد بنا النار، فأتاها، فإذا شيخ معه أهله، وكان عبيد الله من أجمل الناس فلما رآه الشيخ أعظمه، وقال لامرأته: إن كان هذا قرشياً فهو من بني هاشم، وإن كان يمانياً فهو من بني آكل المرار. فهيئي لنا عنزك أقض بها ذمامه. قالت: إذاً تموت ابنتي من الجوع. قال: الموت خير من اللؤم. فأخذ الشفرة وقام إلى العنز فذبحها. وجلس يحدث ـ عبيد الله ـ حتى نضجت. فأكلوا منها. وباتا ليلة، فلما قرب الرحيل قال عبيد الله لغلامه: كم معك من نفقتنا؟ قال: خمسمائة دينار. قال: ألقها إلى الشيخ. قال ـ غلامه مقسم ـ سبحان الله إنما كان يكفيه أن تضعف له ثمن لعنزه والله ما يعرفك ولا يدري من أنت. قال ـ عبيد الله ـ لكني أعرف نفسي، وأدري من أنا. هذا لم يكن له من الدنيا غير هذه العنز فجاء لنا بها وهو لا يعرفنا، فخرج من دنياه، وأعطيناه بعض دنيانا، فهو أجود منا.

وفي الاستيعاب لابن عبد البر: عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أمه لبابة بنت الحرث بن حزن الهلالية. يكنى أبا محمد، رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع منه وحفظ عنه وكان أصغر من أخيه عبدالله. استعمله علي بن أبي طالب (عليه السلام) على اليمن وأمرَّه على الموسم، فحج بالناس سنة ـ ٣٦ ـ ٣٧ وفي عام اربعين بعث معاوية بسر بن أرطأة العامري إلى اليمن وعليها عبيد الله من قبل علي (عليه السلام) فتنحى عبيد الله وأقام بسر عليها. فبعث علي (عليه السلام) حارث بن قدامة السعدي، فهرب بسر ورجع عبيد الله فلم يزل عليها=

ثم تلاه موكب آخر فيه فارس أشبه الناس بالأولين. . .

فقلت: من هذا؟

فقيل لي: هذا قثم بن العباس[٢] أو معبد بن العباس. . .

ثم أقبلت المواكب والرايات يقدم بعضها بعضاً، واشتبكت الرماح. . .

ثم ورد موكب فيه خلق من الناس عليهم السلاح والحديد مختلفو الرايات، في أوله راية كبيرة يقدمهم رجل، كأنما كسر وجبر - قال ابن عائشة: وهذه صفة رجل شديد الساعدين نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق، وكذلك تخبر العرب في وصفها إذا أخبرت عن الرجل أنه كسر وجبر - كأنما على رؤوسهم الطير، وعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن يساره شاب حسن الوجه، وبين يديه شاب مثلهما.

فقلت: من هؤلاء؟!

= حتى قتل علي (عليه السلام) ، وفي كتابنا (ظلال الوحي) سار بسر بن أرطأة إلى اليمن وكان عبيد الله بن العباس بها فخرج عنها ولحق بعلي (عليه السلام) فاستخلف عليها عبيد الله بن المدان الحارثي . وخلف ابنيه عبد الرحمن وقثم عند أمهما جوارية بنت قارض الكناني . فقتلهما بسر وقتل معهما خالاً لهما من ثقيف ، وكانت جوارية تدور حول البيت ناشرة شعرها وتقول :

ها من أحس من ابني اللذين هما	كالدرتين تشظى عنهما الصدف
ها من أحس من ابني اللذين هما	سمعي وقلبي فعقلي اليوم مختطف
ها من أحس من ابني اللذين هما	مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بسراً وما صدقت ما زعموا	من قولهم ومن الأفك الذي وصفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة	مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

ومع هذا كله بعد مقتل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وتقلد الإمام الحسن (عليه السلام) الخلافة وجه معاوية إلى قيس بن سعد يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه فأرسل إليه قيس بن سعد بالمال وقال تخدعني عن ديني وأرسل معاوية إلى عبيد الله بن العباس وجعل له ألف ألف فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه وخان الإمام الحسن على أن قيس بن سعد الأنصاري (رض) أقام على محاربة معاوية ولم ينخدع وعبيد الله بن عباس لم يؤثر به ذبح ولديه باليمن وغرته الدنيا فكان من الضالين تاريخ اليعقوبي - ج - ٢ - ص ٢٠٤ .

فقيل لي: هذا علي بن أبي طالب، وهذان الحسن والحسين (عليهم السلام) عن يمينه وشماله. وهذا محمد بن الحنفية بين يديه، معه الراية العظمى...

ثم قيل لي: وهذا الذي خلفه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[1]، وهؤلاء ولد عقيل وغيرهم من فتيان بني هاشم. وهؤلاء

---

(١) في الاستيعاب لابن عبد البر: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي يكنى أبا جعفر، ولدته أمه أسماء بنت عميس بأرض الحبشة وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة. قدم مع أبيه المدينة وحفظ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وروى عنه وتوفي بالمدينة سنة ثمانين وهو ابن تسعين سنة. وقيل أنه توفي وهو ابن ثمانين سنة والأول أصح. وكان عبدالله بن جعفر كريماً، جواداً، ظريفاً، خليقاً، عفيفاً، سخياً يسمى بحر الجود.

وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي أبو محمد وأبو جعفر وهي أشهر. . وكان يكنى أيضاً: أبا هاشم. أمه أسماء بنت عميس الخثعمية أخت ميمونة ـ أم المؤمنين ـ بنت الحرث لأمها . ولد بأرض الحبشة وهو أول مولود بها . ولما رجع جعفر بن أبي طالب من الحبشة حمل امرأته أسماء وأولاده منها عبد الله . ومحمداً . وعوناً . حتى قدموا المدينة ولما قتل جعفر في مؤتة جاء رسول الله فقال : أما عبد الله فيشبه خَلقي وخُلقي ثم أخذ بيده فقال : « اللهم أخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه ـ وأنا وليّهم في الدنيا والآخرة » . وفي أحاديث عائشة للسيد مرتضى العسكري : تزوج أبو بكر أسماء بنت عميس أم عبد الله بعد مقتل جعفر بن أبي طالب (رض) فولدت له محمد بن بكر فهما أخوة لِأم وتوفي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وهو ابن عشر سنين وكان كريماً جواداً ، حليماً ، يسمى بحر الجود .

وفي الإصابة أيضاً: قال يعقوب بن سفيان: كان عبدالله بن جعفر أحد أمراء علي يوم صفين وقد تزوج أمه أبو بكر الصديق فكان محمد أخاه لأمه ثم تزوجها علي فولدت له يحيى وأخباره في الكرم كثيرة. مات سنة ثمانين عام الجحاف. . وهو سيل كان ببطن مكة جحف الحاج وذهب بالإبل وعليها الحمولة ـ ولهذا سُمي عام الجحاف ـ وصلى عليه أمير المدينة أبان بن عثمان. وقال الواقدي: مات سنة تسعين وكان له يوم مات تسعون سنة. وفي حاشية مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) للسيد محمد تقي آل بحر العلوم ـ ص ـ ٣٥٤: المعروف بين المؤرخين وأرباب المقاتل: أن عبدالله بن جعفر أرسل ولديه. . عوناً ومحمداً مع الحسين (عليه السلام) حين خروجه من مكة ـ إلى=

المشايخ هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

فساروا حتى نزلوا[1] الموضع المعروف بالزاوية، فصلى علي (عليه السلام) أربع ركعات، وعفر خديه على التراب، وقد خالط ذلك دموعه، ثم رفع يديه يدعو...

«اللهم رب السماوات وما أظلت.. والأرضين وما أقلت.. ورب العرش العظيم...

هذه البصرة أسألك من خيرها.. وأعوذ بك من شرها...

اللهم أنزلنا فيها خير منزل، وأنت خير المنزلين...

اللهم أن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي.. وبغوا علي.. ونكثوا بيعتي...

اللهم أحقن دماء المسلمين».

وبعث إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: علامَ تقاتلونني؟!..

فأبوا إلا الحرب[2].

= العراق - فكانا معه إلى أن استشهدا بين يديه وفي مقاتل الطالبين: ص - ٦٥ طبع النجف: أن من المقتولين يوم الطف عبيد الله بن عبدالله بن جعفر وهو شقيق أخيه محمد. وعلى هذا فشهداء الطف من أبناء عبدالله بن جعفر ثلاثة.

(١) في الاصل: فسار حتى نزل.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج - ٢ - ص - ٣٧٠ - ط. دار المعرفة بيروت.

التعبئة للقتال والمراسلة

لما أصر أصحاب الجمل على الحرب ولم يرعووا ولم يصغوا لنصح الناصحين، ورأي المصلحين، ولم يستجيبوا لرسل أمير المؤمنين علي الذي كان يرسلهم تباعاً يدعوهم لإخماد نار الفتنة وحقن دماء المسلمين. لم ير (عليه السلام) بداً من المسير إلى البصرة لايقاف هذه الفئة الناكبة عن الصراط.. التي أخذها الغرور خاصة بعد خروج عثمان بن حنيف والي البصرة واستيلائهم عليها، واستقطابهم الكثير من الناس بالأموال التي استولوا عليها من بيت مال المسلمين في البصرة إذ اشتروا بها الضمائر والرجال.

لم ير أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد كل هذا بداً من مواجهة القوم الذين نكثوا بيعته. وأصروا على حربه، وثابروا على المضي في طريقهم المعوج، ناسين أو متناسين أن هذه الحرب التي يشعلونها ناراً سيكون وقودها الكثير من أبناء المسلمين وستكون أول أسفين يدق في هيكل الخلافة الإسلامية.

على أنه (عليه السلام) كان كارهاً لهذه الحرب لم يترك فرصة لايقافها إلا فعل. ولما لم يجد طريقاً أو وسيلة لردع المعتدين والناكثين واجههم بما أرادوا.

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة: أنه لما تعبأ القوم

للقتال، فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة، وعلى الرجالة عبدالله بن الزبير، وعلى القلب محمد بن طلحة، وعلى المقدمة مروان، وعلى رجال الميمنة عبد الرحمن بن عبادة، وعلى الميسرة هلال بن وكيع.

فلما فرغ الزبير من التعبئة قال: أيها الناس، وطنوا أنفسكم على الصبر، فإنه يلقاكم غداً رجل لا مثيل له في الحرب، ولا شبيه.. ومعه شجعان الناس.

فلما بلغ علياً تعبئة القوم عبأ الناس للقتال. فاستعمل على المقدمة عبدالله بن العباس وعلى الساقة هنداً المرادي، وعلى جميع الخيل عمار بن ياسر، وعلى جميع الرجالة محمد بن أبي بكر.

ثم كتب ـ علي (عليه السلام) ـ إلى طلحة والزبير كما ذكر الشيخ محمد عبده في كتابه شرح نهج البلاغة:

«أما بعد.. فقد علمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني. وأنكما ممن أرادني وبايعني.

وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر[1] فإن كنتما بايعتماني طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب...

وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل[2] باظهاركما الطاعة، وأسراركما المعصية... ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان!

وإن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به.

وقد زعمتما أني قتلت عثمان..! فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرىء بقدر ما احتمل..

(١) العرض ـ: هو المتاع، وما سوى النقدين من المال. أي ولا لطمع في مال حاضر وفي نسخة: ولا لحرص حاضر.

(٢) السبيل: المراد به الحجة.

فارجعا أيـها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعـظم أمركـما العار. . من قبل أن يجتمع العار والنار. . والسلام».

وفي ابن قتيبـة أيضاً: وكتب عـلي للزبير وطلحـة: «أنك يـا زبـير لفارس رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلـم)، وحواريـه. . وأنك يـا طلحة لشيخ المهاجرين. . وأن دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه اقراركما به.

وقد زعمتما أني قتلت عثمان فبيني وبينكما فيه بعض من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة.

وزعمتما أني آويت قتلة عثمان. . ! فهؤلاء بنو عثمان، فليـدخلوا في طاعتي، ثم يخاصموا إلي قتلة أبيهم.

وما أنتما وعثمان. . إن كان قتل ظالماً أو مظلوماً؟. . وقد بـايعتماني وأنتما بين خصلتين قبيحتين. . نكث بيعتكما. . وإخراجكما أمكما. . ».

وكتب ـ علي (عليه السلام) ـ إلى عائشة:

«أما بعد. . فإنك خرجت غاضبـة لله ولرسـوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً.

ما بال النساء والحرب، والاصلاح. . ؟!

تطلبين بدم عثمان. . ؟!

ولعمري لمن عرضك للبلاء، وحملك عـلى المعصية، أعـظم إليك ذنباً من قتلة عثمان! . .

وما غضبت حتى أغضبت. . وما هجتِ حتى هيجتِ. . . ».

فاتقي الله. . وارجعي إلى بيتك.

فأجابه طلحة والزبير:

إنـك سرت مسيراً لـه ما بعـده. . . ولست راجعاً وفي نفسـك منه حـاجـة. فـامض لأمـرك. . أمـا أنت فلست رضيـا دون دخـولنـا في طاعتك. . ولسنا بداخلين فيها أبداً.

فاقض ما أنت قاض. .

وكتبت عائشة:

جل الأمر عن العتاب. . والسلام.

ويتابع ابن قتيبة فيقول: رجعت رسل علي (عليه السلام) من البصرة. فمنهم من أجابه وأتاه. . ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير.

وبعث الأحنف بن قيس إلى علي: إن شئت أتيتك في مائتي رجل من أهل بيتي، وإن شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف. .

فارسل إليه أمير المؤمنين علي: بل كف عني أربعة آلاف سيف، وكفى بذلك ناصراً. .

فجمع الأحنف بني تميم، فقال: يا معشر بني تميم، إن ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم، وإن ظهر علي فلن يهيجكم وكنتم قد سلمتم. .

فكف بنو تميم. . ولم يخرجوا إلى أحد الفريقين.

قصة الأحنف بن قيس واعتزاله الحرب يوم الجمل

ذكر المؤرخون وأصحاب السير كابن قتيبة في الإمامة والسياسة، والطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله. قصة اعتزال الأحنف بن قيس الحرب يوم الجمل مع أنه من الموالين المخلصين لعلي أمير المؤمنين. فمنهم من كتب القصة فاسهب وأطال ومنهم من اختصر ونحن الآن نذكرها كما أوردها ابن الأثير في تاريخه. حيث قال:

خرج إلى علي (عليه السلام) الأحنف بن قيس، وبنو سعد مشمرين، قد منعوا حرقوص بن زهير، وهم معتزلون...

وكان الأحنف بن قيس[1] قد بايع علياً بالمدينة، بعد قتل عثمان بن عفان، لأنه كان قد حج وعاد من الحج فبايعه.

قال الأحنف ولم أبايع علياً حتى لقيت طلحة، والزبير، وعائشة بالمدينة، وأنا أريد الحج، وعثمان محصور، فقلت لكل منهم، أن الرجل ـ عثمان ـ مقتول فمن تأمرونني أبايع؟.

فكلهم قال: بايع علياً...

فقلت: أترضونه لي؟

---

(١) الأحنف بن قيس: تقدمت ترجمته.

فقالوا: نعم. . .

فلما قضيت حجي، ورجعت إلى المدينة، رأيت عثمان قد قتل، فبايعت علياً، ورجعت إلى أهلي، ورأيت الأمر قد استقام.

فبينما أنا كذلك، إذا أتاني آت، فقال:
هذه عائشة. . وطلحة. . والزبير. . بالخريبة[1] يدعونك إليهم.

فقلت: ما جاء بهم؟!

قال: يستنصرونك على قتال علي - بن أبي طالب - في دم عثمان. . .

فأتاني أفظع أمر، فقلت: إن خذلاني أم المؤمنين وحواري رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لشديد. . .

وإن قتال ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أمروني - عائشة وطلحة والزبير - ببيعته أشد.

فلما أتيتهم، قالوا: جئنا لكذا. . وكذا. . .

قال الأحنف: فقلت: يا أم المؤمنين. . . ويا زبير. . ويا طلحة نشدتكم الله أقلت لكم: من تأمرونني أبايع؟

فقلتم: بايع علياً. .

فقالوا: نعم. . ولكنه بدل وغير. . .

---

(١) الخريبة: بلفظ تصغير خربة: موضع بالبصرة، وسميت بذلك فيما ذكره الزجاجي: لأن المرزبان كان قد ابتنى به قصراً وخرب بعده، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية وسموها الخريبة. وقال حمزة: بنيت البصرة سنة ١٤ من الهجرة على طرف البر إلى جانب مدنية عتيقة من مدن الفرس كانت تسمى وهشتاباذ اردشير فخربها المثنى بن حارثة الشيباني. فلما قدمت العرب البصرة سموها الخريبة. وعندها كانت وقعة الجمل بين علي (عليه السلام) وعائشة، ولذلك قال بعضهم:
أني أدين بما دان الوصي به ... يوم الخريبة من قتل المحلينا
معجم البلدان لياقوت الحموي.

فقلت: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين، ولا أقاتل ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أمرتموني ببيعته، ولكني اعتزل[1]. .

فأذنوا له بذلك. فاعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف، وهي من البصرة على فرسخين.

فلما قدم علي (عليه السلام) أتاه الأحنف فقال له:

إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً، قتلت رجالهم، وسبيت نسائهم.

قال علي (عليه السلام): ما مثلي يخاف هذا منه. . وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر! . . وهم قوم مسلمون.

وفي الطبري: قال علي (عليه السلام): ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿**لست عليهم بمسيطر - إلا من تولى وكفر**﴾[2] وهم قوم مسلمون!

ثم قال له علي (عليه السلام) للأحنف: هل أنت مغنٍ عني قومك؟

قال الأحنف: نعم.

وفي رواية ابن الأثير أن الأحنف قال للإمام علي (عليه السلام):

أختر مني واحدة من اثنتين. . أما أن أقاتل معك. . وأما أن أكف

---

(١) وفي تاريخ الطبري: أنه قال لعائشة وطلحة والزبير: أمرتموني ببيعته. لا أقاتل رجلاً ابن عم رسول الله قد بايعته. اختاروا مني واحدة من ثلاث خصال: أما أن تفتحوا لي الجسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يقضي الله عز وجل من أمره ما قضى. أو ألحق بمكة فأكون فيها. أو اعتزل فأكون قريباً. قالوا نأتمر. فأتمروا فقالوا: نفتح له الجسر فيخبرهم بأخباركم! ليس ذاكم برأي - اجعلوه هنا قريباً حيث تطؤن على صماخه وتنظرون إليه. فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين.

(٢) سورة الغاشية - آية - ٢٢ - ٢٣.

عنك عشرة آلاف سيف[1] .

قال ـ أمير المؤمنين علي ـ : فكيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال؟

قال الأحنف: إن من الوفاء لله قتالهم ـ المراد قتال أهل الجمل المحلين الناكثين ـ .

قال ـ أمير المؤمنين علي ـ : فاكفف عنا عشرة آلاف سيف.

فرجع الأحنف إلى الناس فدعاهم إلى القعود ونادى: يا آل خندف.. فأجابه ناس ثم نادى: يا آل تميم.. فأجابه ناس...

ثم نادى: يا آل سعد... فلم يبق سعدي إلا أجابه. فاعتزل بهم. ونظر ما يصنع الناس.

فلما كان القتال، وظفر علي، دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين[2] .

---

(١) في رواية الطبري: ستة آلاف. وفي رواية ابن قتيبة أربعة آلاف سيف. وفي رواية ١٢ ألف سيف.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ـ ١٢٢ .

وقفة تأمل

أقول: أن قصة الأحنف بن قيس واستشارته لأم المؤمنين عائشة، وطلحة والزبير، فيمن يبايع بعد مقتل عثمان؟.. وأشارتهم عليه بمبايعة علي (عليه السلام) هذه القصة تبعث على التأمل... لأن كتب التاريخ مملوءة بذكر مواقف هؤلاء الثلاث المتربصين الدوائر بعلي بن أبي طالب.. الحاقدين عليه.

وقد تقدم الكلام في موقف عائشة من خلافة عثمان.. وأنها من أشد المحرضين عليه، العاملين على قتله. لأنها كانت ترشح ابن عمها التيمي طلحة بن عبيد الله للخلافة.. وقد نادت بذلك مراراً.

هذه القصة تنافي مواقفهم السابقة من علي بن أبي طالب لأنه حينما سأل الأحنف بن قيس عائشة، وطلحة والزبير من أبايع؟

قالوا له: بايع علياً.. كما جاء في روايتي الطبري وابن الأثير..

فبايع الأحنف علياً مطمئن البال.

لذلك نجده قد استنكر خروجهم لمحاربة علي وشق صفوف المسلمين وجاء إليهم يوم الجمل - كما هو مروي وقال لهم: يا أم المؤمنين، ويا زبير، ويا طلحة نشدتكم بالله... أقلت لكم: من تأمرونني أبايع؟ فقلتم: بايع علياً..

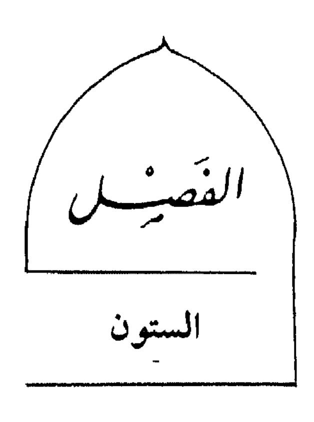
ولما طالبهم بقولهم السابق.. بايع علياً.. وبأنهم هم أمروه وأشاروا عليه بمبايعة علي.. لم يمكنهم الإنكار في ذلك الحين.. بل أجابوه: نعم.. أشرنا عليك بذلك.. لكنه بدل وغير...

وهنا لا بد لنا ونحن نقرأ هذه الرواية من وقفة تأمل في موقف هؤلاء الأخصام الذين يشهد التاريخ بمواقفهم العدائية وحقدهم على الإمام علي (عليه السلام) قبل مجيء الأحنف بن قيس إليهم واستشارته إياهم.. وكيف أشاروا عليه بمبايعة أمير المؤمنين علي مع أن عداوتهم له معروفة.. وليس إلى إنكارها من سبيل.

لكن الظاهر أن عائشة وطلحة والزبير كانوا يعرفون حق المعرفة ولاء الأحنف بن قيس للإمام علي (عليه السلام) وحبه له.. وتفانيه في خدمته..

ويعرفون أيضاً أن الأحنف بن قيس هو سيد بني تميم، المطاع في قومه، صاحب العقل الراجح والبصيرة النافذة... فلو أن أم المؤمنين عائشة أشارت على الأحنف في ذلك الحين باتباع طلحة بن عبيدالله ومبايعته ـ مثلاً ـ لكان الأحنف بعد مقتل عثمان صرخ في الناس صرخته المطاعة وألزم طلحة دم عثمان ـ لأن طلحة طالب صيد ـ والخلافة.. الأمل المنشود.

وعلى هذا يزول التعجب من أمر عائشة وطلحة والزبير من اشارتهم على الأحنف بمبايعة علي (عليه السلام). فهذه وغيرها من المواقف التي وقفها المنشقون ما هي إلا حيلة من جملة الحيل التي اتخذها أعداء علي للتضليل. ريثما يهدأ الاضطراب الذي أعقب مقتل عثمان. ليتسنى لهم بعد ذلك تهيئة أمورهم لمحاربة علي بالصاق دم عثمان به.


الفَصْل
الستون



المـواجهـة

عمـل أمير المؤمنـين علي (عليـه السـلام) جهـده فلم يـترك وسيلة لتجنب الحرب واقتتال الأخوة إلا فعلها، فـأرسل الـرسل من الصحـابة وغيرهم من المخلصين للإسلام المحافظين على مصلحة المسلمين. فكتب الكتب العـديدة لعـل الخارجـين عليه النـاكثين لبيعتـه. . . يثـوبـون إلى رشدهم، ويرتدعون عن غيهم. . فتحقن بذلك دماء المسلمين.

لكن أم المؤمنـين عـائشـة وطلحـة والـزبـير أصروا عـلى الحـرب لاعتقـادهم أن المعركـة ستكون لهم ربحـاً وكرامـة. . لا عليهم خسـارة وذلة. . . وخصوصاً بعدما استولوا بادىء بـدء على البصرة وأمـوالها كـما أسلفنا فغرهم النصر وظنوا من ذلك أن علي بن أبي طالب سيهزم. . .

وهذا يعرف من جواب عائشة لعلي بقولها: ـ

«جل الأمر عن العتاب. . والسلام».

لم يكن جواب أم المؤمنين عـائشة بهـذا الاختصار والاقتضـاب إلا لاعتقادها أن دائرة الحرب ستعود على خصمها ابن أبي طالب بالهزيمة. . ولـولا هذا الاعتقـاد والنصر الذي ظنت أنها سـوف تجني ثـماره لأجـابت بجـواب ألين. . وألـطف على الأقـل، فحفظت خط الـرجعة لـو كانت الهزيمة من نصيبها ونصيب الجيش من المسلمين المخدوعين التابعين لها.

وهكذا كان جواب طلحة والزبير لعلي (عليه السلام) جواباً نابياً، لا يرتكز إلا على الغرور والاعتداد بالنفس، والاعتقاد بالغلبة والنصر، للفوز بالامارة والسلطان.

في الإمامة والسياسة لابن قتيبة: أنه لما كتب علي بن أبي طالب إلى طلحة والزبير، أتى زمعة بن الأسود إلى طلحة والزبير، فقال لهما:

أن علياً قد أكثر إليكما الرسل، كأنه طمع فيكما، وأطمعتماه في أنفسكما، فاتقيا الله إن كنتما بايعتماه طائعين.. واتقيا الله علينا وعلى أنفسكما.. فإن اللبن في الضرع، ومتى يُحلب لا يرجع...

وإن كنتما بايعتماه مكرهين فأخرقا هذا الوطب[1].. وادفعا هذا اللبن.. فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل.

فخرج طلحة، والزبير، وعائشة، وهي على جمل عليه هودج، قد ضُرب عليه صفائح الحديد، فبرزوا حتى خرجوا من الدور، ومن أفنية البصرة.

فلما تواقفوا للقتال.. أمر علي (عليه السلام) منادياً ينادي من أصحابه:

« لا يرمين أحد سهماً ... ولا حجراً ... ولا يطعن برمح حتى أعذر إلى القوم ... فأتّخذ عليهم الحجة البالغة » .

فكلم علي طلحة والزبير قبل القتال، فقال لهما:

«استحلفا عائشة بحق الله، وبحق رسوله، على أربع خصال أن تصدق فيها:

ـ هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله، وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي...

---

(١) الوطب: الثدي العظيم ـ أو سقاء اللبن. المنجد في اللغة.

ـ وعلى براءتي من دعم عثمان . . .
ـ وعلى أني لم استكره أحداً على بيعة . . .
ـ وعلى أني لم أكن أحسن قولاً في عثمان منكما . . . ».
فأجابه طلحة جواباً غليظاً، ورق له الزبير.

ثم رجع علي إلى أصحابه فقالوا له: يا أمير المؤمنين، بم كلمت الرجلين؟

فقال علي (عليه السلام) إن شأنهما لمختلف. . ! أما الزبير فقاده اللجاج. . ولن يقاتلكم. . .

وأما طلحة فسألته عن الحق، فأجابني بالباطل. . ولقيته باليقين، ولقيني بالشك. . فوالله ما نفعه حقي، ولا ضرني باطله، وهو مقتول غداً في الرعيل الأول.

ذكر المسعودي في مروجه: أنه لما تواجه الجيشان ـ أصحاب الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير: وجيش الإمام علي (عليه السلام) ـ بعث إليهم ـ أمير المؤمنين ـ من يناشدهم الله في الدماء وقال:

«علامَ تقاتلونني؟!
فأبوا إلا الحرب. .

فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يقال له مسلم معه مصحف يدعوهم إلى الله، فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلى علي، وقالت أمه:

يا رب أن مسلماً أتاهم	يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحاهم	وأمه قائمة تراهم

وأمر علي (عليه السلام) أن يصافوهم، ولا يبدءوهم بقتال، ولا يرموهم بسهم، ولا يضربوهم بسيف، ولا يطعنوهم برمح. حتى جاء عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي [1] من الميمنة بأخ له .

---

(١) في الاستيعاب لابن عبد البر: عبدالله بن بديل بن ورقاء بن عبد العزي أبو ربيعة =

وجاء قوم من الميسرة برجل قد رمي بسهم، فقُتل.
فقال علي (عليه السلام): «اللهم اشهد» واعذروا إلى القوم.
ثم قام عمار بن يسار بين الصفين، فقال:

أيها الناس، ما أنصفتم نبيكم حين كففتم عقائلكم في الخدور، وأبرزتم عقيلته للسيوف.

وعائشة على جمل من دفوف الخشب، قد ألبسوه المسوح[1] وجلود البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقد غشي على ذلك بالدروع.

فدنا عمار من موضعها ـ موضع عائشة ـ فنادى: ـ يا عائشة ـ إلى ماذا تدعين؟!

قالت: إلى الطلب بدم عثمان.
فقال عمار: قاتل الله في هذا اليوم الباغي، والطالب بغير الحق، ثم قال:

أيها الناس، أنكم لتعلمون أينا الممالىء في قتل عثمان؟!

ثم أنشأ يقول وقد رشقوه بالنبل:

فمنك البكاء ومنك العويل ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقاتله عندنا من أمر

= الخزاعي أسلم مع أبيه قبل الفتح وشهد حنيناً، والطائف. وكان سيد خزاعة. وخزاعة عيبة رسول الله ـ موضع سره ـ وكان له قدر وجلالة، قُتل هو وأخوه عبد الرحمن بن بديل بصفين وكان يومئذٍ على رجالة علي (عليه السلام) وكان من وجوه الصحابة. وهو الذي صالح أصبهان مع عبدالله بن عامر سنة ٢٩ من الهجرة. وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي شهد مع علي (عليه السلام) الجمل وصفين. وقتل بصفين مع علي وقال عبدالله بن بديل يوم الجمل:

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت ... حرب الوصي وما للحرب من آسي
الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت ... تلك القبائل أخماسا بأسداس

(١) المسوح: الكساء من الشعر.

وتواتر عليه الرمي، واتصل، فحرك فرسه، وزال عن موضعه، وأتى علياً فقال له:

ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين، وليس لك عند القوم إلا الحرب؟!

فقام علي (عليه السلام) في الناس خطيباً رافعاً صوته فقال:

«أيها الناس إذا هزمتموهم، فلا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، ولا تتبعوا مولياً، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، ولا تهتكوا ستراً، ولا تقربوا شيئاً من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع، أو عبد أوامة. وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله».

وفي تاريخ الطبري بعد سلسلة من الإسناد عن عمار بن معاوية الدهني ـ حي من أحمس بجيلة ـ قال:

أخذ علي مصحفاً يوم الجمل، فطاف به في أصحابه، وقال:

«من يأخذ هذا المصحف، يدعوهم إلى ما فيه.. وهو مقتول...».

فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض، محشو، فقال: أنا...

فأعرض عنه.

ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول...

فقال الفتى: أنا.. فدفعه إليه...

فدعاهم ـ الفتى ـ فقطعوا يده اليمنى.. فأخذ المصحف بيده اليسرى، فدعاهم... فقطعوا يده اليسرى...

فأخذ المصحف بصدره والدماء تسيل على قبائه، فقتل رضي الله عنه.

فقال علي: الآن حل قتالهم.

فقالت أم الفتى بعد ذلك، فيما ترثي ولدها:

لا هُـمَّ أن مـسـلماً دعـاهـم   يتلوا كتـاب الله لا يخشـاهـم
وأمـهـم قـائـمـة تـراهـم   يـأتمـرون الغي لا تـنهـاهـم
قد خضبت من علق لحاهم

عتاب أمير المؤمنين علي للزبير وطلحة

في الكامل في التاريخ لابن الأثير: لما تراءى الجمعان - يوم الجمل - خرج الزبير على فرس عليه سلاح.. فقيل لعلي: هذا الزبير...

فقال علي (عليه السلام): «أما أنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله تعالى .أن يذكر».

وخرج طلحة...

فخرج إليهما علي حتى اختلفت أعناق دوابهم...

فقال علي: «لعمري قد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً.. إن كنتما أعددتما عند الله عذراً.. فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة إنكاثاً...

ألم أكن أخاكما في دينكما؟! تحرماني دمي وأحرم دمكما...

فهل من حدث أحل لكما دمي..؟!

قال طلحة: ألّبت الناس على عثمان.

قال علي: ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾[1].

---

(١) سورة النور - آية ٢٥.

يا طلحة . . أجئت تطلب بدم عثمان؟! فلعن الله قتلة عثمان ـ مع العلم أن طلحة كان من المحرضين على قتل عثمان طمعاً بالخلافة باتفاق المؤرخين ـ ثم قال علي (عليه السلام):

يا طلحة . . أجئت بعرس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تقاتل بها[1]، وخبأت عرسك في البيت . . أما بايعتني؟

قال طلحة: بايعتك والسيف على عنقي .

والتفت علي (عليه السلام) إلى الزبير وقال له:

يا زبير ما أخرجك؟

قال الزبير: أنت . . ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا .

فقال له علي: يا زبير قد كنا نعدك من بني عبد المطلب، حتى بلغ ابنك . . ابن السوء . . عبدالله . . ففرق بيننا وذكَّره أشياء . . منها:

قال له علي: تذكر يا زبير[2] يوم مررت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بني غنم، فنظر إلي فضحك . . وضحكت إليه، فقلتَ له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه! .

فقال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ليس بمزه ـ أي ليس به زهو ـ لتقاتله وأنت ظالم له» .

قال الزبير: اللهم . . نعم . .

ثم قال ـ الزبير ـ : ولو ذكرت هذا ما سرت مسيري هذا . . والله لا أقاتلك أبداً . . .

فانصرف علي إلى أصحابه، فقال لهم: أما الزبير . اعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم .

ورجع الزبير إلى عائشة، فقال لها:

---

(١) المراد بعرس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): زوجته عائشة .

(٢) هكذا وردت في الأصل، والظاهر ـ أتذكر يا زبير. والله العالم.

ما كنت في موطن منذ عقلت. . إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا!

فقالت له عائشة: فما تريد أن تصنع؟

قال الزبير: أريد أن أدعهم وأذهب. . .

فقال له ابنه عبدالله: جمعت بينْ هذين الفئتين[1]، حتى إذا حدد بعضهم لبعضهم. . أردت أن تتركهم وتذهب؟!.

ثم قال له: لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب. . وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد. . وأن تحتها الموت الأحمر. .! فجبنت. . .

فاحفظه ذلك ـ أي أغضب الزبير ذلك وهيجه ـ فقال لابنه: أني حلفت أن لا أقاتله. .

قال له ـ ابنه عبدالله ـ : كفر عن يمينك وقاتله. . .

فاعتق ـ الزبير ـ غلامه مكحولاً. وقيل: سرجس[2].

فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي: كما جاء في تاريخ الطبري يصف حالة الزبير:

لم أر كاليوم أخا أخوان   أعجب من مكفر الأيمان
بالعتق في معصية الرحمن

وقال رجل آخر:

يعتق مكحولاً لصون دينه   كفارة لله عن يمينه
والنكث قد لاح على جبينه[3]

وفي مروج الذهب للمسعودي: خرج علي حاسراً على بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لا سلاح عليه. . .

(١) هكذا ورد في الأصل: والظاهر هاتين الفئتين.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ٢٢پ ـ ١٢٣.

(٣) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ٥٠٢.

فنادى: يا زبير. . أخرج إلي.

فخرج إليه الزبير شاكاً في سلاحه. . .

فقيل ذلك لعائشة. . .

فقالت عائشة: وأثكللكِ يا أسماء. . .

فقيل لها: أن علياً حاسر. . فاطمأنت.

واعتنق ـ علي والزبير ـ كل واحد منهما صاحبه.

فقال له علي: ويحك يا زبير. . ما الذي أخرجك؟

قال الزبير: دم عثمان. . .

قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان. أما تذكر يوم لقيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بني بياضة، وهو راكب حماره، فضحك إلي رسول الله، وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع علي زهوه!

فقال لك: «ليس به زهو. . أتحبه يا زبير؟».

فقلت أنت: أني والله لأحبه.

فقال لك ـ رسول الله ـ «أنك والله ستقاتله وأنت له ظالم».

فقال الزبير: استغفر الله، والله لو ذكرتها ما خرجت.

فقال له علي: يا زبير ارجع. .

فقال الزبير: وكيف أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذي لا يُغسل.

فقال له علي: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار.

فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عاراً على نار مؤججة ... ما أن يقوم لها خلف من الطين
نادى علي بأمر لست أجهله ... عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت: حسبك من عذل أبا حسن ... فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

إلى غير ذلك من الروايات المتفقة مضموناً، المختلفة لفظاً وتعبيراً.. وكلها تؤكد خروج الزبير من المعركة، بعدما ذكره أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ما كان قد نسيه أو تناساه.. قصداً عندما أخذ بلبه بريق الامارة التي طمع بها فكان لا يرى إلا الوصول إليها بأي ثمن. وتخيل أنه سينالها.. بعد إبعاد علي بن أبي طالب عنها.

وإذا تأملنا قليلاً نرى أن الزبير عندما رأى كفة علي (عليه السلام) هي الراجحة في الحرب، وأن الفئة التي هي معه وبامرته لا بد منهزمة.. وسوف تعود بالفشل وتبوء بالخزي والعار..

عند ذلك آثر الزبير الخروج من المعركة متذرعاً بأنه تذكر ما أنساه الدهر.. فرجع وخرج من المعركة وآثر السلامة.



مقتل الزبير

أجمع المؤرخون وأصحاب السير على أن الزبير قُتل بعد خروجه من المعركة يوم الجمل، وتركه الحرب مستعرة بعد أن أشعلها بمعونة عائشة وطلحة ضد علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وأما كيفية مقتله فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أنه لما خرج علي (عليه السلام) لطلب الزبير خرج حاسراً، وخرج إليه الزبير دارعاً مدججاً، فقال للزبير: يا أبا عبدالله قد لعمري أعددت سلاحاً، وحبذا فهل أعددت عند الله عذراً؟

فقال الزبير: إن مردنا إلى الله.

فقال علي (عليه السلام): **﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾**[1] ثم أذكره الخبر ـ وهو قول رسول الله له: «أما إنك ستحاربه وأنت ظالم له» كما أسلفنا.

فلما كرَّ الزبير راجعاً إلى أصحابه، نادماً واجماً، رجع علي (عليه السلام) إلى أصحابه جذلاً مسروراً...

فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، تبرز إلى الزبير حاسراً، وهو

(١) سورة النور ـ آية ٢٥.

شاكٍ[1] في السلاح، وأنت تعرف شجاعته؟!

فقال علي: «أنه ليس بقاتلي.. إنما يقتلني رجل خامل الذكر، ضئيل النسب، غيلة في غير مأقط[2] حرب، ولا معركة رجال، ويلمّه[3] .. ليودن أنّ أمه هبلت به.. أما إنه وأحمر ثمود لمقروناً في قرن» .

ولما انصرف الزبير عن حرب علي (عليه السلام) مرَّ بوادي السباع، والأحنف بن قيس في جمع من بني تميم قد اعتزل الفريقين.

فأخبر الأحنف بمرور الزبير، فقال رافعاً صوته:

ما أصنع بالزبير! لف غارين[4] من المسلمين، حتى أخذت السيوف منهما مأخذها أنسل وتركهم...

أما إنه لخليق بالقتل.. قتله الله!

فاتبعه عمرو بن جرموز ـ وكان فاتكاً ـ فلما قرب منه وقف الزبير، وقال:

ما شأنك؟

قال ابن جرموز: جئت لأسألك عن أمر الناس.

قال الزبير: إني تركتهم قياماً في الركب. يضرب بعضهم وجه بعض بالسيف.

فسار ابن جرموز معه، وكل واحد منهما يتقي الآخر.

فلما حضرت الصلاة، قال الزبير: يا هذا، أنا نريد أن نصلي.

فقال ابن جرموز: وأنا أريد ذلك.

فقال الزبير: فتؤمني وأؤمنك؟

قال ـ ابن جرموز ـ: نعم.

---

(١) يقال: رجل شاكي السلاح، إذا كان ذا شوكة وحد في سلاحه.

(٢) المأقط: ساحة القتل.

(٣) ويلمه: الظاهر معناها والله العالم ـ ويل لأمه.

(٤) ألغار هنا: الجيش.

فثنى الزبير رجله.. وأخذ وضوءه..

فلما قام إلى الصلاة شد ابن جرموز عليه فقتله، وأخذ رأسه، وخاتمه وسيفه، وحثا عليه تراباً يسيراً.

وذكر السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة مقتل الزبير على هذا النحو إلى أن قال: وحضرت الصلاة، فقال ابن جرموز: الصلاة.. فقال الزبير: الصلاة.

فنزلا، واستدبره ابن جرموز، فطعنه من خلفه، فقتله. وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه ودفنه بوادي السباع، ورجع إلى الناس بالخبر.

وفي شرح نهج البلاغة أيضاً: رجع ابن جرموز إلى الأحنف، فأخبره الخبر...

فقال الأحنف: والله ما أدري أسأت أم أحسنت؟! إذهب إلى علي (عليه السلام) فأخبره.

فجاء ابن جرموز إلى علي (عليه السلام)، فقال للآذن: قل له: عمرو بن جرموز بالباب، ومعه رأس الزبير وسيفه... فأدخله.

وفي كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس، بل بالسيف.

فقال له علي (عليه السلام): وأنت قتلته؟..

قال ابن جرموز: نعم.

قال علي (عليه السلام): والله ما كان ابن صفية جباناً، ولا لئيماً.. ولكن الحين ومصارع السوء...

ثم قال علي (عليه السلام): ناولني سيفه، فناوله فهزه.. وقال:

«سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..».

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين...

فقال علي (عليه السلام): أما إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«بشر قاتل ابن صفية بالنار».

وفي رواية أنه قال: «الزبير وقاتله إلى النار».

فخرج ابن جرموز خائباً، وقال:

أتيت علياً برأس الزبير أبغي به عنده الزلفة
فبشر بالنار يوم الحساب فبئست بشارة ذي التحفة

إلى آخر ما هنالك من أبيات.

ثم خرج ابن جرموز على علي (عليه السلام) مع أهل النهر[1] فقتله معهم فيمن قتل[2].

وفي مروج الذهب للمسعودي: قُتل الزبير وله من العمر خمس وسبعون سنة. وقبره بوادي السباع.

وفي الطبقات لابن سعد: خرج الزبير بن العوام يوم الجمل وهو يوم الخميس، لعشر ليال خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين، بعد القتال ـ بعد احتدام المعركة وعلامات النصر قد ارتسمت على رايات علي خرج الزبير على فرس له يقال له: ذو الخمار، منطلقاً يريد الرجوع إلى المدينة.

فلقيه رجل من بني تميم، يقال له: النعر بن زمام المجاشعي بصفوان فقال له: يا حواري رسول الله.. إلي.. إلي.. فأنت في ذمتي، لا يصل اليك أحد من الناس.

فأقبل الزبير معه. وأقبل رجل من بني تميم آخر إلى الأحنف بن قيس، فقال له فيما بينه وبينه: هذا الزبير في وادي السباع...

(١) هكذا ورد في الأصل ـ والظاهر أهل النهروان.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ص ـ ص ـ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

فرفع الأحنف صوته وقال: ما أصنع! وما تأمروني. .؟ إن كان الزبير لف غارين ـ أي جيشين ـ من المسلمين قتل أحدهما الآخر، ثم هو يريد اللحاق بأهله!.

فسمعه عمير بن جرموز التميمي، وفضاله بن حابس التميمي، ونفيع أو نفيل بن حابس التميمي، فركبوا أفراسهم في طلبه، فلحقوه. **فحمل عليه عمير بن جرموز فطعنه طعنة خفيفة فحمل عليه الزبير فلما ظن أن الزبير قاتله دعا يا فضالة، يا نفيع.. ثم قال: الله... الله يا زبير.. فكف عنه.**

ثم سار ـ الزبير ـ فحمل عليه القوم جميعاً، فقتلوه.

وفي الطبقات أيضاً: عن عروة قال: قُتل أبي يوم الجمل وقد زاد على الستين أربع سنين[1]. وفي أعيان الشيعة قتل الزبير[2] يوم الخميس وعمره ـ ٦٦ ـ أو ٦٧ سنة.

---

(١) الطبقات الكبير لابن سعد: ج ـ ص ٧٨.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي يكنى أبا عبدالله وهو ابن عمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صفية بنت عبد المطلب. وابن أخي خديجة بنت خويلد أم المؤمنين شهد بدراً وما بعدها وكان مشايعاً لعلي (ع) ومنحازاً إلى جانبه حتى كانت وقعة الجمل فكان منه ما كان من انضمامه لعائشة وطلحة ضد علي وخروجه لمحاربته. وكان لابنه عبدالله الذي كان منطوياً على عداوة أهل البيت طيلة عمره الأثر الكبير في تحويل أبيه الزبير ضد علي. فعبدالله ربيب خالته عائشة نشأ على كره علي ولهذا قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبدالله. فالزبير من يوم السقيفة إلى جانب علي (عليه السلام) وبقي معه حتى يوم الشورى وهب حقه في الخلافة له. ثم ختم حياته خاتمة سوء يوم الجمل.



مقتل طلحة

ذكر المسعودي في مروجه: أنه لما رجع الزبير نادى علي (عليه السلام) طلحة:

يا أبا محمد.. ما الذي أخرجك؟..

قال طلحة: الطلب بدم عثمان..

قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان.. أما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه».

ثم قال: وأنت يا طلحة أول من بايعني ثم نكث.. وقد قال الله عز وجل:

(ومن نكث فإنما ينكث على نفسه).

فقال طلحة: استغفر الله.. ثم رجع.

فقال مروان بن الحكم: رجع الزبير. ويرجع طلحة.. ما أبالي رميت ههنا أم ههنا..

فرماه في أكحله فقتله[1].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج - ٢ - ص - ٣٧٣ - ط. دار المعرفة بيروت.

وذكر ابن سعد في طبقاته عن حكيم بن جابر الأحمسي أنه قال: قال طلحة بن عبيد الله يوم الجمل: إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

وفي الطبقات أيضاً: عن روح بن عبادة قال حدثنا عوف قال: بلغني أن مروان بن الحكم رمى طلحة يوم الجمل، وهو واقف إلى جنب عائشة بسهم، فأصاب ساقه، ثم قال: والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك أبداً..

فقال طلحة لمولى له: أبغني مكاناً.

قال ـ المولى ـ لا أقدر عليه .

قال طلحة: هذا والله سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى . . . ثم وسد حجراً فمات .

وفي الطبقات أيضاً: قال أخبرنا روح بن عبادة عن ابن عون عن نافع، قال:

كان مروان بن الحكم مع طلحة في الخيل فرأى فرجة في درع طلحة فرماه بسهم فقتله .

وعن محمد بن سيرين: أن مروان اعترض طلحة لما جال الناس بسهم فأصابه فقتله.

وفي الطبقات أيضاً: قال محمد بن سعد أخبرني من سمع أبا حباب الكلبي يقول: حدثني شيخ من كلب قال: سمعت عبد الملك بن مروان يقول:

لولا أن أمير المؤمنين مروان أبي أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة، ما تركت من ولد طلحة أحداً إلا قتلته بعثمان بن عفان[1] .

---

(١) الطبقات الكبير لابن سعد: ج ـ ٣ ـ القسم الأول ـ ص ـ ١٥٨ ـ ١٥٩ .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد : عن الكلبي ، قال :

كان العرق الذي أصابه السهم، إذا أمسكه طلحة بيده استمسك، وإذا رفع يده عنه سال.

فقال طلحة: هذا سهم أرسله الله تعالى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.. ما رأيت كاليوم دم قرشي أضيع..!

وروى أبو مخنف، عن عبدالله بن عون، عن نافع، قال: سمعت مروان بن الحكم يقول: أنا قتلت طلحة.

وقال أبو مخنف: وقد قال عبد الملك بن مروان: لولا أن أبي ـ مروان ـ أخبرني أنه رمى طلحة، فقتله.. ما تركت تيمياً إلا قتلته بعثمان..

قال: يعني أن محمد بن أبي بكر، وطلحة قتلاه. وكانا تيميين.

وقال أبو مخنف: حدثنا عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبدالله.

قال: مررت بطلحة، وأن معه عصابة يقاتل بها، وقد فشت فيهم الجراح، وكثرهم الناس، فرأيته جريحاً، والسيف في يده، وأصحابه يتصدعون[1] عنه رجلاً فرجلاً، واثنين فاثنين. وأنا أسمعه، وهو يقول:

عباد الله، الصبر.. الصبر، فإن بعد الصبر النصر والأجر.

فقلت له: النجاء.. النجاء.. ثكلتك أمك! فوالله ما أجرت ولا نُصرتَ؛ ولكنك وزرت وخسرت..

ثم صحت بأصحابه، فانذعروا عنه، ولو شئت أن أطعنه لطعنته..

فقلت له: أما والله لو شئت لجدلتك في هذا الصعيد[2].

---

(١) يتصدعون: يتفرقون.

(٢) الصعيد: التراب.

فقال طلحة: والله لهلكت هلاك الدنيا والآخرة إذن . .

فقلت له: والله لقد أمسيت يا طلحة وإن دمك لحلال، وأنك لمن النادمين.

فانصرف ومعه ثلاثة نفر، وما أدري كيف كان أمره، إلا أني أعلم أنه قد هلك[1] .

وفي تاريخ ابن الأثير أن طلحة لما أتاه سهم شك رجله بصفحة الفرس وهو ينادي إلي إلي عباد الله الصبر. . الصبر. فقال له القعقاع بن عمر[2]: يا أبا محمد أنك لجريح، وأنك عما تريد لعليل، فادخل البيوت، فدخل ودمه يسيل. وهو يقول: اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى.

فلما امتلأ خفه دماً وثقل قال لغلامه: أردفني، وأمسكني، وابلغني مكاناً أنزل فيه. فدخل البصرة فأنزله في دار خربة فمات فيها.

وقيل أن طلحة قال: لم أر شيخاً أضيع دماً مني، وتمثل عند دخول البصرة مثله ومثل الزبير:

فإن تكن الحوادث أقصدتني	وأخطأهن سهمي حين أرمي
فقد ضيعت حين تبعت سهماً	سفاهة ما سفهت وضل حلمي
ندمت ندامة الكسعي لما	شريت رضا بني سهم برغمي

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ٩ - ص - ١١٤ - ١١٥ ط. دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٢) في الإصابة لابن حجر العسقلاني: القعقاع بن عمرو التيمي أخو عاصم كان من الشجعان الفرسان قيل أن أبا بكر كان يقول: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل. وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم.

أقول: أورد المؤرخون وأصحاب السير اسم القعقاع بن عمرو في عدة مناسبات وأن له مواقف عديدة في نصرة الإسلام. ونحن نذكره كما هو موجود في كتاب التاريخ وعلى ذمة أصحابها. سواء كان وجود القعقاع حقيقياً أم أسطورياً كما يقول البعض: من أنه كعبدالله بن سبأ اليهودي. لكننح نؤكد أن ابن سبأ هو محض أسطورة لا وجود له. وإنما ذكر للتشنيع على الشيعة. أعوذ بالله من شر الأفاكين. والدساسين.

أطعتهم بفرقة آل لاي فألقوا للسباع دمي ولحمي[1]

ويقول المسعودي في مروجه: أنه سُمع طلحة وهو يقول هذا الشعر، وقد جرحه في جبهته عبد الملك، ورماه مروان في أكحله، وقد وقع صريعاً يجود بنفسه.

وقُتل طلحة وهو ابن أربع وستين سنة ودفن بالبصرة، وقبره فيها مشهور إلى هذه الغاية، وقبر الزبير بوادي السباع[2].

وفي طبقات ابن سعد عن محمد بن زيد بن المهاجر قال: قُتل طلحة بن عبدالله يوم الجمل وكان يوم الخميس، لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين. وكان يوم قُتل ابن أربع وستين سنة. وعن عيسى بن طلحة قال: قُتل وهو ابن اثنتين وستين سنة.

وفي الطبقات أيضاً: عن إسحاق بن يحيى عن جدته سعدى بنت عوف المرّية أم يحيى بن طلحة قالت: قُتل طلحة بن عبدالله. وفي يد خازنه ألفا ألف درهم ومائتا ألف درهم وقومت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم .

وقال عمرو بن العاص: حُدثت أن طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار، في كل بهار ثلاث قناطر ذهب. وسمعت أن البهار جلد ثور[3].

وفي الطبقات: عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان قيمة ما ترك الزبير أيضاً: أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف.

وعن عروة أيضاً قال: كان للزبير بمصر خطط، وبالاسكندرية خطط، وبالكوفة خطط وبالبصرة دور. وكانت له غلاة تقدم عليه من أعراض المدينة . وإن له أرضين فيها الغابة ، وإحدى عشرة دارا بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر[4] .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ١٢٤ .

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج ـ ٢ ـ ص ٣٧٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ج ـ ٣ ـ القسم الأول ـ ص ١٥٨ .

(٤) طبقات ابن سعد: ج ـ ٣ ـ القسم الأول ص ٧٦ ـ ٧٧.



نظرة وتحليل حول نهاية حياة طلحة والزبير

حارب كل من طلحة والزبير علياً (عليه السلام) محاربة ظالمة، وعملا كل ما في وسعهما من مكائد حتى جيشا الجيوش بمساعدة السيدة عائشة واتباعها، وجرّا المسلمين إلى معركة طاحنة كانت أول أسفين دُق في جسم الدولة الإسلامية للتفرقة بين المسلمين.

لم يكن حربهما لعلي في مصلحة الإسلام.. ولا انتقاماً لعثمان بن عفان كما أدعيا. لأنهما يعلمان في قرارة نفسيهما أنهما لم يخرجا لذلك.. وأنهما كانا من المحرضين على عثمان المؤلبين عليه مع صاحبة الجمل أم المؤمنين عائشة ليخلو لهما الجو للحصول على الزعامة والرياسة..

ليت شعري.. هل أغنتهما هذه الحرب التي أشعلاها، وقتل بها من المسلمين الخلق الكثير.!؟

وليت شعري هل حصلا بعد الحرب على ما خططاه وأراداه من الخلافة أو الامارة!؟

كلا.. ثم كلا لم يحصلا على شيء.. إن ربك بالمرصاد لكل باغ وطاغ..

لقد رجع أصحاب الجمل خائبين، وعاد من عاد منهم بالفشل.. والخزي.. والعار.. وذهب من فقد حياته بالإثم وسخط الله كطلحة

والزبير اللذين قتلا نفسيهما بخروجهما على أمام المسلمين، والحق المبين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

نعم.. قتلا نفسيهما بنكثهما بيعة أمير المؤمنين علي، وسعيهما لهذه الحرب الظالمة.. فبآ بخسران مبين.. خسران الدنيا والآخرة.

أجل.. كان حرياً بطلحة والزبير التصرف بما يقتضيه العقل والدين والإيمان وتقتضيه العقيدة الإسلامية الصحيحة والوقوف بجانب علي بن أبي طالب.. لا أن يكون تصرفهما بوحي من الطمع، وحب الذات، والشهرة، والأنانية، فيشنان حرباً على أمير المؤمنين علي بعد نكث بيعته.

أجل كان حرياً بهما الوقوف بجانبه (عليه السلام) وهما اللذان صحبا الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) مدة طويلة، وسمعا منه ما سمعا من مدح علي في عدة مواطن ومواقف فكان يكرر (صلوات الله عليه وآله) على أسماع أصحابه «علي مع الحق. والحق مع علي..

وقال (صلوات الله عليه وآله) يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فدفع الراية إلى علي ففتح الله عليه.

وقال له عندما خلفه في بعض مغازيه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي» ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفاعتي» إلى غير ذلك من أقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق علي التي لا مجال لذكرها الآن.

على أن الرسول الأعظم كان لا يدع فرصة إلا ويذكر لأصحابه

فضل علي كما أسلفنا ينهاهم عن مخالفته فضلاً عن قتاله، كما قال للزبير: «ستقاتله وأنت ظالم له».

لكن القوم تناسوا وصايا الرسول وكلماته وراحوا يشنون حرباً شعواء على كل من يقف في طريق أطماعهم الدنيوية ومصالحهم الشخصية.

إنها طبيعة البشر.. من حب الذات.. والسعي للحصول على بهارج الحياة.

إنها طبيعة البشر.. كانت ولا تزال.. لم تفارق نفوس أكثر الناس.. فللدّنيا عليهم سطوة.. تفتنهم بزخرفها.. وبريقها الخلاب..

ينخدعون.. يلهثون وراءها.. لا يلتفتون من أنها تسير بهم في طرق الضلال.. وتسيرهم حيث تشاء..

إنها الدنيا ينجر وراء بهارجها الناس مستسلمين طائعين.. منخدعين غير منتبهين لما تجرهم إليه من مهاوي يكون فيها هلاكهم.

إنها الدنيا.. لقد أغرت الكثيرين من أصحاب النفوس المريضة أهل الأطماع والأغراض إذ أصبحوا لا ينظرون إلا إليها.. أو الحصول على بهارجها.. وزخارفها.. ومتعتها.. ونسوا أن في حلالها حساب.. وفي حرامها عقاب.. وأن المال والجاه.. أو الامارة والسلطان.. كلها أمور من زيف الحياة الرخيصة. الزائلة التي لا تدوم.. وسوف يأتي يوم يعض الظالم على يديه ندماً...

فلا المال.. ولا السلطان.. يغنيان عن المرء شيئاً.. في يوم لا ينفع فيه شيء.. إلا ما قدم من أعمال صالحة..

وإن جميع أموال الدنيا أو سلطانها إن حازهما الإنسان لا يمكن أن تصبح مجازاً إلى رضى الله ورسوله إلا إذا استعملها صاحبها بالعمل

الصالح، وخدمة الإسلام والمسلمين بنية طيبة، وعقيدة خالية من الأطماع والشوائب.

لقد جمع طلحة والزبير من المال الشيء الكثير كما يحدثنا التاريخ بعد ذلك.

فليت شعري.. هل أغنى عنهما ذلك المال شيئاً..!؟

كلا... ثم كلا لقد جمعا المال. وركبا الشطط في جمعه.. ثم تركاه وذهبا بالإثم.. الذي لا مبرر له..

وبقي المال مكانه... يرتع به من يرتع...

أليس كان من الأجدر بطلحة والزبير، وهما من الصحابة المسنين المرموقين انفاق أموالهما الباهظة الكثيرة التي جمعاها باسم الإسلام والمسلمين في سبيل مصلحة الإسلام والمسلمين ومرافقهم الحياتية. فيكون لهما الجزاء الأوفى.. وهو الرضى من الله سبحانه... والثناء من عباده.

لا أن يبنون به دوراً وقصوراً.. ويكنزونه ذهباً وفضة.. ويتركونه لمن بعدهم هنيئاً مريئاً ويذهبون بسخط ربهم فيصدق عليهم قوله تعالى: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم - يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾**[1].

وهنا يوجه الكلام إلى طلحة والزبير الذين حاربا الكفر في مطلع الدعوة إلى الإسلام، وصحبا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى معارك كثيرة كانت القاعدة للفتوحات وتأسيس الدولة الإسلامية. أليس الأجدر بهما أن يكونا صالحين!.

---

(١) سورة التوبة - آية ٣٤ - ٣٥.

أجل حاربا المشركين من طواغيت قريش وغيرهم جنباً إلى جنب مع علي بن أبي طالب بقيادة الرسول الأعظم الذي أنقذ العالم من ظلمات الجهل، وأنار الكون بنور الإسلام. .

لقد كان كل من طلحة والزبير من الصحابة الأجلاء الذين أحاطوا بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعوا أحاديثه الشريفة، ووصاياه القيمة، التي نسوها فيها بعد. . أو تناسوها بعد وفاته. وخاصة الزبير بن العوام. .

أجل نسي الزبير أو تناسى وصايا الرسول وهو ابن عمته ـ صفية بنت عبد المطلب ـ وابن عمة علي بن أبي طالب أيضاً. .

الزبير الذي كان على ما يروي المؤرخون . . رابعاً . . . أو خامساً في الإسلام ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة أولاً . . . وإلى المدينة ثانياً . الزبير الذي شهد مع رسول الله (صلوات الله عليه وآله وسلم) بدراً . . وأحداً . . والخندق . . والحديبية . . وخيبر . . والفتح . . وحنيناً . . والطائف . .

الزبير الذي كان دائماً بجانب علي، ومشايعاً له أيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته. . وكان محسوباً على بني هاشم. . ويعد من أهل البيت وقد أشار الإمام علي إلى ذلك بقوله: «ما زال الزبير منا أهل البيت. . الخ».

كان الزبير يوم السقيفة بجانب ابن خاله علي (عليه السلام) واجتمع مع بني هاشم في بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام). ولما داهم القوم بيت فاطمة كان الزبير هناك فخرج إليهم مصلتاً سيفه. . فأخذوه وضربوا به الحجر كما هو مذكور في كتب التاريخ.

وكان الزبير أيضاً: من شهود وصية فاطمة الزهراء.

ولما توفيت (عليها السلام) ودُفنت ليلاً حسب وصيتها كان الزبير من جملة بني هاشم الذين حضروا دفنها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان الزبير أيضاً: أحد الست أصحاب الشورى - وهم.. علي.. وعثمان وطلحة.. والزبير.. وعبد الرحمن بن عوف.. وسعد بن أبي وقاص. - فوهب الزبير حقه من الخلافة لعلي بن أبي طالب.. الخ.

وفي الختام لا ننسى أن طلحة والزبير كانا من أصحاب بيعة الشجرة الذين نزل فيهم قوله تعالى:

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.. ﴾[1].

وقوله تعالى: **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾**[2].

وخلاصة القول نجد أن جميع ما قدمه طلحة والزبير من الجهاد، وخدمة الإسلام ضيعاه في ساعة ضعف... وفي وقت غلب عليهما هوى النفس.. وأزلهما الشيطان، وأغواهما، وأنساهما البيعة التي كانت في عنقيهما لعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

فنكثا البيعة.. وجيشا الجيوش، وخرجا إلى حربه وختما حياتهما خاتمة سيئة فمات طلحة بخربة من دور البصرة ومات الزبير بوادي السباع..

وذهبا بلقب الناكثين على مر الأجيال.

---

(١) سورة الفتح - ١٨.

(٢) سورة الفتح - ١٠.

بدء القتال

في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي مخنف أنه قال: لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا، قال علي (عليه السلام) لأصحابه: «لا يرمين رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح، حتى أحدث إليكم، وحتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل».

فرمى أصحاب الجمل عسكر علي (عليه السلام) بالنبل رمياً شديداً متتابعاً، فضج إليه أصحابه، وقالوا: عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين. .

وجيء برجل إليه، وأنه لفي فسطاط له صغير، فقيل له: هذا فلان قد قُتل. . !

فقال (عليه السلام): «اللهم أشهد. .».

ثم قال: «أعذروا إلى القوم. .».

فأتي برجل آخر، فقيل: وهذا قد قُتل. . .

فقال: «اللهم أشهد. . أعذروا إلى القوم. .».

ثم أقبل عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل، قد أصابه سهم فقتله. . .

فوضعه بين يدي علي (عليه السلام)، وقال: يا أمير المؤمنين، هذا أخي قد قتل...

فعند ذلك استرجع علي (عليه السلام)، ودعا بدرع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات الفضول، فلبسها وتقلد ذا الفقار، ودفع إلى ابنه محمد راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله السوداء، وكانت تعرف بالعقاب...

ثم قال لحسن وحسين (عليهما السلام): إنما دفعت الراية إلى أخيكما.. وتركتكما لمكانكما من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال أبو مخنف: وطاف علي (عليه السلام) على أصحابه وهو يقرأ: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾[1].

ثم قال: «أفرغ الله علينا وعليكم الصبر. وأعز لنا ولكم النصر. وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر..»[2].

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة أنه: بينما الناس وقوف إذ رُمي رجل من أصحاب علي، فجيء به إلى علي.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، هذا أخونا قد قُتل...

فقال علي (عليه السلام): أعذروا إلى القوم..

فقال عبد الرحمن بن أبي بكر[3]: إلى متى؟! قد والله أعذرنا وأعذرت.. إن كنت تريد الأعذار والله لتأذنن لنا في لقاء القوم، أو للنصرفن.

---

(١) سورة البقرة - ٢١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ٩ - ص ١١١.

(٣) أقول: عبد الرحمن بن بكر لم يكن من أصحاب علي (عليه السلام) وعلى تقدير صحة رواية ابن قتيبة التي نقلناها - فيكون - فقال محمد بن أبي بكر. وهو الصحيح.

إلى متى تستهدف نحورنا للقتال والسلاح. . !؟ يقتلوننا رجلاً رجلاً. .

فقال علي: «قد والله أرانا أعذرنا. .».

«أين محمد ابني. .»[1].

فقال محمد: ها أنذا. . .

فقال علي: أي بني، خذ الراية. . .

فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها، فأخرهما عنها. . وكان علي يؤخرهما شفقة عليهما.

فأخذ محمد الراية، ثم قام علي، فركب بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم دعا بدرع رسول الله فلبسها، ثم قال: أحزموني. . فحزم بعمامة أسفل من سرته.

ثم خرج وقال لابنه محمد تقدم. . .

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب (عليه السلام). أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة ـ ولذا كان يطلق عليه اسم محمد ابن الحنفية ـ واختلف في أمرها، فقال قوم: كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ أنها سبية من سبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد في أيام أبي بكر. وأن أبا بكر دفعها إلى علي. وقال قوم منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني: هي سبية في أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالوا: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً إلى اليمن، فأصاب خولة في بني زبيد، وقد ارتدوا مع عمرو بن معدي كرب، وكانت زبيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليها.

فصارت في سهم علي (عليه السلام)، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي، وكنه بكنيتي» فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمداً، فكناه أبا القاسم. ويتابع ابن أبي الحديد قوله: وقال قوم وهم المحققون وقولهم الأظهر: أن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر، فسبوا خولة بنت جعفر، وقدموا بها المدينة، فباعوها من علي (عليه السلام). وبلغ قومها خبرها، فقدموا المدينة على علي (عليه السلام)، فعرفوها، وأخبروه بموضعها منهم. . فاعتقها علي (عليه السلام) ومهرها وتزوجها. فولدت له محمداً. . فكناه أبا القاسم.

وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك[1] . . .

(١) الإمامة والسياسة: لابن قتيبة - ج - ١ - ص ٧٦.

وحمي الوطيس

لما لم يعد من علاج حاسم غير السيف يوقف الخارجين على علي (عليه السلام)، الثائرين عليه بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير. . اضطر الإمام علي لقتالهم، فعبأ أصحابه وواجههم بما أرادوا من الحرب.

في بدء القتال انسحب الزبير من الميدان وفر هارباً عندما حمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح، فقال له الزبير:

أتريد أن تقتلني يا أبا اليقظان؟!

أجابه عمار: لا يا أبا عبدالله، انصرف[1]. .

خرج الزبير من المعركة نحو وادي السباع حيث قُتل هناك، ورمى مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله بسهم في أكحله حيث نزف دمه ومات في خربة من بيوت البصرة كما أسلفنا.

عند ذلك استعرت نار الحرب. . وحمي الوطيس. . .

تلفتت عائشة حولها في جزع وحيرة وساءها خلو الميدان من طلحة والزبير اللذين كانا اعتمادها عليهما في هذه الحرب. . .

اندفعت أم المؤمنين في حميتها المهتاجة، تحرض القوم الذين كانوا

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ٥١٢.

من حولها للاتفاف علـى هودجهـا القائم بينهم كـالقلعة. . وتـطلب منهم التفاني في الدفاع عنه لأنه كان بمثابة الراية عنـد أهل البصرة من اتبـاعها إذ لم يكن لهم راية سوى الجمل ـ عسكر ـ الـذي يحمل الهـودج كما ذكـر المؤرخون.

نفـذ صـبر أصحـاب أمـير المؤمنـين عـلي، وانـدفعـوا نحـو جيش عائشة. . فقد مضى الآن عهدهم بالرفق والـتريث الذي أمـرهم به أمـير المؤمنين وأوصاهم به، لعل القوم يفيؤون إلى رشدهم. . ويـرجعون عن غيهم. . وضلالهم.

يحدثنا التاريخ: أن أصحاب أمير المؤمنـين علي كـانوا يـوم معركـة الجمل يهتفون: . . يا محمد. . كـأنهم بهذا النـداء يُشهدون رسـول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) على أخـوة لهم بالـدين آثروا الانقسـام بعد الوئام. . .

وها هم اليوم قد خرجوا على ابن عمه وخليفته عـلي بن أبي طالب يحاربونه وأصحابه المؤمنين بعدما كانوا بالأمس القريب يخرجون مجتمعـين بقيادة موحدة تحت راية النبي العظيم لحرب المشركين الضالين.

أجل كانوا يخرجون يداً واحدة وصفاً واحـداً تحدوهم كلمـة لا إله إلا الله محمـد رسول الله تجمعهم عقيـدة الإسـلام تحت رايتـه المقـدسـة المؤيدة بنصر الله.

هتف أمـير المؤمنين عـلي بأصحـابه وقـد التحم الفريقـان ـ جيشه (عليـه السـلام) ـ مـع جيش عـائشـة ـ واشتبكت الأسنـة. . . واستمـر القتال. . .

. . السيوف يا أبناء المهاجرين والأنصار ـ على ما رُوي ـ

لأن السيف في ذلك الموقف وفي تلك الآونة له الكلمة الفصل.

أجل. . السيف وحده كان يصول ويجول، فكم من الرؤوس قـد تدحرجت، وأطراف قد قطعت، وأرجل قد بترت. . .

ومع ذلك فقد عز النصر.. ونفذ الصبر.. إذ الناس على ما كانوا فيه من شدة الالتحام.. كلما رميت بالعين أعياك البصر.. أن ترى بينهم ثغرة يمر منها النظر...

وبقيت رحى الحرب دائرة على قدم وساق لا تكف عن الدوران.. ولا تني تطحن الرجال.. وحسبنا أن نروي بعض ما يحدثنا به التاريخ عن تلك الموقعة الرهيبة التي قال فيها بعض الشعراء في ذلك الحين:

شهدت الحروب فشيبنني ... فلم أر يوماً كيوم الجمل
أضر على مؤمن فتنة ... واقتله لشجاع بطل
فليت الظعينة[1] في بيتها ... وليتك عسكر[2] لم ترتحل

ذكر الطبري في تاريخه: حملت ميمنة أمير المؤمنين علي على ميسرة أهل البصرة، فاقتتلوا، ولاذ الناس بعائشة، أكثرهم[3] ضبة[4] والأزد[5]. وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر. ويقال: إلى أن زالت الشمس.

ثم انهزموا.. فنادى رجل من الأزد: كروا.. فضربه محمد بن علي - الملقب بابن الحنفية - فقطع يده، فنادى: يا معشر الأزد فروا...

واستحر القتل بالأزد[6]...

---

(١) الظعينة: جمع ظعائن الزوجة، أو المرأة ما دامت في الهودج - ظعائن الرجل نساؤه.
(٢) عسكر: اسم الجمل الذي كان عليه هودج عائشة. وكان بمثابة الراية لجيش عائشة.
(٣) وفي رواية ابن الأثير: وكان من أكثرهم.
(٤) ضبة: قبيلة عربية. ومن أكبر قبائلها: بنو بكر بن سعد بن ضبة. قُتل منهم سبعمائة بين يدي عائشة يوم الجمل. ومن أشراف من قُتل منهم: عمرو بن يثربي. والحصين بن ضرار.
(٥) الأزد: تجمع قبائل في اليمن: يقال: أزد شنوأة - وزادعمان - وازد السراة وهم من كهلان بن سبأ. لسان العرب لابن منظور.
(٦) تاريخ الطبري: ج - ٤ - ص ٥١٢.

وفي مروج الذهب للمسعودي: كان أصحاب الجمل حملوا على ميمنة علي (عليه السلام) وميسرته، فكشفوها... فأتاه بعض ولد عقيل وعلي يخفق نعاساً على قربوس سرجه، فقال له:

يا عم.. قد بلغت ميمنتك وميسرتك حيث ترى.. وأنت تخفق نعاساً؟

فقال له علي (عليه السلام): أسكت يا ابن أخي.. فإن لعمك يوماً لا يعدوه.

والله ما يبالي عمك وقع على الموت.. أو وقع الموت عليه..

ثم بعث إلى ولده محمد بن الحنفية، وكان صاحب رايته، وقال له: «أحمل على القوم...».

فابطأ محمد بحملته.. وكان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم.. فأتاه علي (عليه السلام) فقال له:

«هلا حملت..».

فقال له ـ محمد ـ: لا أجد متقدَّماً إلا على سهم أو سنان، وإني منتظر نفاد سهامهم.. وأحمل.

فقال له ـ علي (عليه السلام):

«أحمل بين الأسنة.. فإن للموت عليك جُنة»[1].

فحمل محمد.. فشك بين الرماح والنشاب.. فوقف..

«فأتاه علي فضربه بقائم سيفه، وقال له:

«أدركك عرق من أمك..!».

وأخذ علي الراية.. وحمل.. وحمل الناس معه.. فما كان القوم ـ اتباع الجمل ـ إلا كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف...

---

(١) الجنة، بالضم: ما واراك من السلاح واستترت به منه. والجنة: الدرع، وكل ما وقاك جنة. وفي الحديث: الصوم جنة، أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات. لسان العرب لابن منظور.

ويتابع المسعودي: جاء ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت إلى علي، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تنكس اليوم رأس محمد.. وأردد إليه الراية..

فدعا علي (عليه السلام) بولده محمد، ورد عليه الراية، وقال:

أطعنهم طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسرَّد[1]

وفي البداية والنهاية لابن كثير: في يوم الجمل - جعلت الحرب تأخذ وتُعطي فتارة لأهل البصرة.. وتارة لأهل الكوفة. وقُتل خلق كثير، وجم غفير.. ولم تر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة.

وجعلت عائشة تحرض الناس... ونظرت عن يمينها فقالت:

من هؤلاء القوم؟

فقالوا: نحن بكر بن وائل.

فقالت لكم يقول القائل:

وجاؤوا إلينا بالحديد كأنهم من الغرة القعساء بكر بن وائل

ثم لجأ إليها بنو ناجية، ثم بنو ضبة فقُتل منهم خلق كثير.

ويقال: إنه قطعت يد سبعين رجلاً وهي آخذة بخطام الجمل. فلما اثخنوا تقدم بنو عدي بن عبد مناة فقاتلوا قتالاً شديداً، ورفعوا رأس الجمل.

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: عن أبي رجاء قال: لقد رأيت الجمل - الذي كان يحمل هودج عائشة - حينئذٍ وهو كظهر القنفذ من النبل، ورجل من بني ضبة آخذ بخطامه وهو يقول:

---

(١) في ١ «والقنا المسدد. راجع مروج الذهب للمسعودي: ج - ٢ - ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ط. دار التعارف بيروت.

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل الموت أحلى عندنا من العسل
ننعي ابن عفان باطراف الأسل

وفي العقد الفريد أيضاً: عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبدالله بن سلمة، وكان مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم الجمل. والحارث بن سويد، وكان مع طلحة والزبير. . وتذاكرا وقعة الجمل.

فقال الحارث بن سويد: والله ما رأيت مثل يوم الجمل. . لقد أشرعوا رماحهم في صدورنا. . وأشرعنا رماحنا في صدورهم. . ولو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت. يقول هؤلاء: لا إله إلا الله والله أكبر. . ويقول هؤلاء: لا إله إلا الله والله أكبر. . .

فوالله لوددت أني لم أشهد ذلك اليوم، وأني مقطوع اليدين والرجلين.

وقال عبدالله بن سلمة: والله ما يسرني أني غبت عن ذلك اليوم. . ولا عن مشهد شهده علي بن أبي طالب بحمر النعم[1].

أقول: من طبيعة الحال أن الحارث بن سويد، الذي كان في جيش أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير. . جيش الفتنة الظالم المفرق لكلمة المسلمين. . . هو من جملة الذين غرهم نداء أصحاب الجمل، وهو. . لا إله إلا الله والله أكبر. .

هذا النداء المقدس اتخذه المنشقون وسيلة لضرب أصحاب علي بن أبي طالب، المسلمين الأتقياء.

على أن ندم ابن سويد لم يكن لينفعه بعد أن خرج محارباً للإمام علي خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) العقد الفريد لابن ربه الأندلسي: ج ـ ٤ ـ ص ٣٢٧ ـ ط. دار الكتاب العربي بيروت.

وما كان نداء أصحاب الجمل. . . بالتهليل. . والتكبير. . إلا حيلة منهم ومكيدة. .

وما كان هذا النداء المقدس. . إلا كرفع المصاحف يوم صفين، حيلة الداهية الماكر عمرو بن العاص كما سيأتي انشاءُ الله.

وما كان هذا النداء المقدس. . إلا كلمة حق يراد بها باطل.

وأما عبدالله بن سلمة. . فإنه كان مطمئن البال مرتاح الضمير، لأنه مشى مع الحق. . وقاتل لأجل الحق. ولم يكن ليرضى أنه غاب عن ذلك اليوم. بل كان مسروراً بحضوره يوم الجمل مع علي (عليه السلام). ولم يكن ليرضى أن يغيب عن مشهد شهده علي ولو أن له حمر النعم.



ما كان بين عمار بن ياسر.. وابن يثربي يوم الجمل

ذكر ابن الأثير في تاريخه: أنه لما أطافت - بعائشة - بنو ضبة قالت: ويها جمرة الجمرات، فلما رقوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا حولها.

فقالت: من أنتم؟

قالوا: بنو عدي، خالطنا اخوتنا فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضرباً شديداً، حتى إذا كثر ذلك، وظهر في العسكرين جميعاً، راموا الجمل وقالوا أصحاب علي (عليه السلام)... لا يزال القوم أو يصرع الجمل... وصار مجنبيتا علي إلى القلب، وفعل ذلك أهل البصرة، وكره القوم بعضهم بعضاً.

وأخذ عميرة بن يثربي برأس الجمل.. وكان قاضي البصرة قبل كعب بن سور. فشهد الجمل هو وأخوه عبدالله.

فقال علي: من يحمل على الجمل؟

فانتدب له هند بن عمرو الجملي المرادي[1] فاعترضه ابن يثربي، فاختلفا ضربتين، فقتله ابن يثربي.

---

(١) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: هند بن عمرو الجملي المرادي قُتل مع علي (عليه السلام) يوم الجمل بالبصرة سنة ٣٦.

ثم حمل علباء بن الهيثم[1] فاعترضه ابن يثربي، فقتله.

وقتل ابن يثربي سيحان بن صوحان[2] ، وارتث صعصعة بن صوحان وقال ابن يثربي:

أنا لمن ينكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي
وابن لصوحان على دين علي

وقال ابن يثربي أيضاً:

أضربهم ولا أرى أبا حسن كفى بهذا حزناً من الحزن
إنا نمر الأمر إمرار الرسن

فناداه عمار بن ياسر رضي الله عنه: لقد عذت[3] بحريز وما إليك من سبيل، فإن كنت صادقاً فاخرج من هذه الكتيبة إلي.

فترك ـ ابن يثربي ـ الزمام في يد رجل من بني عدي حتى إذا كان بين الصفين ، تقدم عمار بن ياسر إليه . . . وهو ابن تسعين سنة ، وقيل : أكثر من ذلك ، عليه فرو قد شد وسطه بحبل ليف . وهو أضعف من مبارزه .

---

(١) في أعيان الشيعة أيضاً: علباء بن الهيثم السدوسي، قُتل مع علي (عليه السلام) يوم الجمل سنة ٣٦ عندما قال علي من يحمل على الجمل. . الخ.

(٢) وفي أعيان الشيعة أيضاً: سيحان بن صوحان العبدي من بني عبد القيس. أخو صعصة بن صوحان وزيد بن صوحان، قتل يوم الجمل سنة ٣٦ قتله عمارة بن يثربي ـ وفي رواية ابن الأثير: عميرة بن يثربي ـ

كان سيحان بالكوفة لما أرسل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ولده الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر إليها، ليستنفرا أهلها إلى البصرة فجعل أبو موسى يشبطهم، فقال سيحان بن صوحان: أيها الناس لا بد لهذا الأمر من هؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس. وهذا واليكم ـ يعني أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه. وهو المأمون على الأمة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإنا سائرون معه. وكان هؤلاء الأخوة الثلاثة سيحان وزيد، وصعصعة من خيار شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) قُتل زيد وسيحان معه يوم الجمل وارتث صعصعة وقد مر ذكر ترجمة زيد بن صوحان من هذا الكتاب وسنذكر ترجمة أخيه صعصعة عند مقتله يوم صفين رضي الله عنهم.

(٣) وفي تاريخ الطبري: لعمري لذت بحريز، وما إليك سبيل.

فقــال النــاس: إنــا لله وإنــا إليــه راجعــون. . هــذا لاحـق بأصحابه. . .

فضربه ابن يثربي بالسيف. . . فاتقـاه عمار بـدرقته، فنشب سيفـه فيهما. فعالجه فلم يخرج. .

وأسف عمار لرجليه ـ لرجلي ابن يثربي ـ فضربه فقطعهـما. . فوقـع على أسته وأخذ أسيراً.

فأتي بابن يثربي إلى علي (عليه السلام)، فقال: استبقني.

وفي رواية البداية والنهايـة لابن كثير: وأخـذ أسيراً إلى بـين يدي علي فقال: استبقني يا أمير المؤمنين. . .

ويتـابع ابن الأثـير قـولـه: فقـال عـلي لابن يـثربي: أبعـد ثـلاثـة تقتلهم. . ؟!

ثم أمر به فقتل[1].

ولما قُتل ابن يثربي تولى ذلك العدوي الزمام ـ الذي كان ابن يثربي قد ترك الزمام بيده ـ وبرز فخرج إليه ربيعة العقلي يرتجز ويقول[2]:

يــا أمــنــا أعق أم نــعــلــم والأم تغـذو ولدهـا وترحم
أما ترين كم شجاع يكلم وتختــلي منـه يــد ومعصم

ثم اقتتلا. . فاثخن كل واحد منهما صاحبه. فماتا جميعاً.

ولم يزل الأمر كـذلك حتى قُتـل على الخـطام أربعون رجـلًا وأخذ الخطام سبعون رجلًا من قريش كلهم يقتل وهو آخذ بخطام الجمل.

وكان ممن أخذ بزمام الجمل محمد بن طلحـة وقال: يـا أمـاه ـ أي

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ١٣٦ ـ ١٣٧. وقيل أن المقتول عمرو بن يثربي وأن عميرة بقي حتى ولي قضاء والبصرة مع معاوية بن أبي سفيان.

(٢) ربيعة العقيلي: استشهد مع الإمام علي (عليه السلام) يوم الجمل بالبصرة سنة ٣٦.

أم المؤمنين عائشة ـ مريني بأمرك، قالت: آمرك أن تكون خير بني آدم
إن تركت. فجعل لا يحمل أحد إلا حمل عليه واجتمع عليه نفر. .
فقُتل. كما في رواية ابن الأثير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما جرى بين مالك الأشتر وعبدالله بن الزبير

لا يخفى أن عبدالله بن الزبير كان له الأثر الفعال في اثارة المضللين من الناس الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق وتهييجهم للخروج على أمير المؤمنين علي وحربه يوم الجمل، وذلك بقيادة خالته أم المؤمنين عائشة، فهو ربيبها. . هذا علاوة على حقده الكامن في صدره على علي (عليه السلام) وأهله.

هذا الحقد الذي لازمه طول أيام حياته، حيث أن خالته عائشة التي كانت تكره فاطمة الزهراء وزوجها ـ لأن عائشة كانت ترى في فاطمة صورة أمها خديجة.

بالإضافة إلى هذا الحقد كان حرب الزبير وابنه عبدالله للإمام علي طمعها بالخلافة خصوصاً عبدالله ـ ربيب عائشة ـ التي رشحته للصلاة بالناس عند وصولهم إلى البصرة قبل بدء المعركة.

أمرت أم المؤمنين أن يكون ابن أختها عبدالله هو الذي يؤم الناس للصلاة بعد المشاحة التي حصلت بين طلحة والزبير بسبب إمامة الصلاة كما أسلفنا. حيث كانت إمامة الصلاة بمنزلة الرآسة . . .

هذا بالإضافة إلى أن عبدالله بن الزبير ادَّعى أن عثمان بن عفان نص عليه بالخلافة يوم الدار، واحتج في ذلك بأنه استخلفه على

الصلاة، واحتج تارة أخرى بنص صريح زعمه وادّعاه. كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج[1].

كان ابن الزبير يظن أنه إذا استولى أبوه على الخلافة التي خططا لها معاً ستصير إليه من بعد أبيه. . .

وكانت هذه الخطة هي السبب الأقوى في نكث بيعة الزبير للإمام علي (عليه السلام) والتحاقه بعائشة واتباعها.

وعندما استعرت نار الحرب وحمي الوطيس، وظهرت علامات النصر على رايات علي، واضطرب جيش أم المؤمنين عائشة، وأصبح شراذماً من الناس تجتمع حول الجمل للدفاع عن صاحبته عائشة. . وكان كل من يمسك بخطام الجمل كأنه القائد الذي يرفع اللواء. . . وحيث أن الجمل الذي عليه الهودج هو لواء أهل البصرة كما أسلفنا.

لم ير ابن الزبير بداً من الأخذ بخطام الجمل لأنه في مركز القيادة، لعله يفلح في توحيد صفوف جيش خالته المشتت الذي دب الرعب بين مقاتليه.

روى ابن الأثير في تاريخه أنه: جاء عبدالله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل، ولم يتكلم، فقالت عائشة: من أنت؟

فقال: ابنك. . ابن اختك. . .

فقالت ـ عائشة ـ: واثكل أسماء. . .

وانتهى إليه الأشتر، فاقتتلا، فضربه الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً. . وضربه عبدالله ضربة خفيفة، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وسقطا إلى الأرض يعتركان. فقال ابن الزبير:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي[2]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد: ج ـ ٩ ـ ص١١٠.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ١٢٨.

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: قال عبدالله بن الزبير: التقيت مع الأشتر يوم الجمل، فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسة أو ستة، ثم جرّ برجلي فألقاني في الخندق، وقال:

والله لولا قربك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما اجتمع فيك عضو إلى آخر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: أعطت عائشة الذي بشرها بحياة ابن الزبير، إذ التقى مع الأشتر يوم الجمل، أربعة آلاف[1] .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن الواقدي قال: روي أن شعار الإمام علي (عليه السلام) في ذلك اليوم - يوم الجمل - « حَم لا ينصرون . اللهم انصرنا على القوم الناكثين » .

ثم تحاجز الفريقان، والقتل فاش فيهما، إلا أنه في أهل البصرة أكثر، وامارات النصر لائحة لعسكر الكوفة.

ثم تواقفوا في اليوم الثالث فبرز أول الناس عبدالله بن الزبير، ودعا إلى المبارزة . . . فبرز إليه الأشتر - وهو مالك بن الأشتر النخعي -

فقالت عائشة: من برز إلى ابن أختي عبدالله؟

قالوا: الأشتر. . .

فقالت: واثكل أسماء - تعني أختها أسماء أم عبدالله -

فضرب كل واحد منهما صاحبه فجرحه، ثم اعتنقا . . فصرع الأشتر عبدالله . . وقعد على صدره . . .

واختلط الفريقان . . هؤلاء لينقذوا عبدالله . . . وهؤلاء ليعينوا الأشتر.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ج - ٤ - ص ٣٢٦.

وكان الأشتر طاوياً ثلاثة أيام لم يطعم. . . وهـذه كانت عـادته في الحرب.

وكان أيضاً: شيخا عالي السن، فجعل عبدالله ينادي:

اقـتـلوني ومـالـكـاً واقتلوا مـالكـاً معـي

إلا أن أكثر من كان يمر بهما لا يعرفهما، لكـثرة من وقع في المعـركة صرعى بعضهم فوق بعض.

وأفلت ابن الزبير من تحته ولم يكد.

وفي شرح النهج أيضاً عن أبي مخنف عن الأصبغ بن نباته[1] قال: دخل عمار بن ياسر ومالك بن الحارث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل.

فقالت عائشة: يا عمار، من معك؟

قال عمار: الأشتر..

فقـالت عائشـة: يـا مـالـك، أنت الـذي صنعت بـابن اختي مـا صنعت؟

---

(١) الأصبغ بن نباتة: كان من خاصة أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وعمُر بعـده، وهو مشكور، قاله العلامة والشيخ، ونحوه النجاشي، وروى الكشي له مدحاً جليـلاً، وتقدم ذكره فيمن وثقهم الأئمة (عليهم السلام) الوسائل للحر العـاملي ج ـ ٢٠ ـ ص ١٤٣.

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: الأصبغ بن نباتـة التميمي الحنظلي المجـاشعي كان من خواص أصحاب أمير المؤمنـين علي (عليـه السلام) شهـد معه صفـين، وكان على شرطة الخميس وكان شاعراً. وفي أعيان الشيعـة أيضاً قـوله: وفي تكملة الـرجال عن معادن الحكمة عن الكليني في الرسائل عن علي بن ابراهيم في حديث طـويل: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دعا كاتبه عبيد بن أبي رافـع، فقال لـه: ادخل عـلي عشرة من ثقاتي. فقال: سمهم لي يـا أمير المؤمنـين. فقال لـه: ادخل أصبـغ بن نباتـة ـ وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني ـ وزر بن جيش الأسدي ـ وجويرية بن مسهر العبـدي ـ وخنـدف بن زهير الأسـدي ـ وحارثـة بن مصرف الهمداني ـ والحـارث بن عبد الأعـور الهمـداني ـ ومصابـح النخعي علقمـة بن قيس ـ وكميـل بن زيـاد ـ وعمـر بن زرارة. فدخلوا عليه. وسنأتي على ذكره أيضاً عند ذكر وقعة صفين وعند وفاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من هذا الكتاب انشاء الله.

قال الأشتر: نعم، ولـولا أني كنت طاويـاً ثلاثـة أيام لأرحت أمـة محمد منه.

وفي شرح النهج أيضاً: أن الأشتر قال لعائشة:

أعـائش لـولا أنني كنت طـاويـاً ... ثـلاثاً لألفيتِ ابن أختـك هالكـاً
غـداة ينـادي والـرجـال تحـوزه ... بأضعف صوت: اقتلوني ومالكاً
فلم يعـرفـوه إذ دعـاهم وغمـه ... خدب[1] عليه في العجاجة باركاً
فـنـجـاه مـني أكـله وشـبـابـه ... وإني شيـخ لم أكن متـماسكـاً[2]

(١) الخدب: بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء: الشيخ، العظيم الجافي قال الشاعر:
خـدب يـضيـق السرج عنـه كـأنمـا ... يمـد ذراعيـه من الـطوال مـاتـح
لسان العرب.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ١ - ص ٢٦٢ - ٢٦٣.



نهاية القتال في حرب الجمل

ذكر المؤرخون وأصحاب السير معركة الجمل، فمنهم من أطال وأسهب، ومنهم من اختصر وأوجز. . .

ونحن الآن نورد خلاصة ما انتهى إليه القتال في تلك المعركة التي كانت أولى المعارك بين المسلمين. . وكانت أول أسفين دق في جسم الدولة الإسلامية. بمسعى من أم المؤمنين عائشة غفر الله لها، ومساعدة طلحة والزبير.

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد في أخبار يوم الجمل، نقلاً عن المدائني والواقدي أنه: حين ازدحمت الحرب والتف أصحاب عائشة حولها للدفاع عنها كان أكثرهم من بني ضبة والأزد، الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه. ولقد كانت الرؤوس تندر[1] عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقطاب البطن[2] تندلق من الأجواف، وهم حول الجمل كالجراد الثابتة، لا تتحلحل ولا تتزلزل حتى لقد صرخ علي (عليه السلام) بأعلى صوته:

«ويلكم اعقروا الجمل. . فإنه شيطان. . ».

(١) تندر: أي تقطع عن الكواهل.

(٢) أقطاب البطن: الأمعاء.

ثم قال (عليه السلام):

« اعقروه وإلا فنيت العرب... لا يزال السيف قائماً، وراكعاً حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض».

وتناول أحد أصحاب عائشة الشجعان خطام الجمل، وكان كل من أراد الجد في الحرب وقاتل قتال المستميت يتقدم إلى الجمل فيأخذ بخطامه، ثم شد على عسكر علي (عليه السلام) وقال:

أضربهم ولا أرى أبا حسن   ها أن هذا حزن من الحزن

فشد عليه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالرمح فطعنه فقتله، وقال:

«قد رأيت أبا حسن.. فكيف رأيته..» وترك الرمح فيه.

قال المدائني والواقدي: وأخذت عائشة كفاً من حصى، فحصبت به أصحاب علي (عليه السلام)، وصاحت بأعلى صوتها: شاهت الوجوه... كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم حنين:.

فقال لها قائل: وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمى.

وزحف علي (عليه السلام) نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه حسن، وحسين ومحمد (عليهم السلام).

ودفع الراية إلى محمد وقال:

«أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل، ولا تقفن دونه.

فتقدم محمد.. فرشقته السهام، فقال لأصحابه:

رويداً حتى تنفذ سهامهم، فلم يبق لهم إلا رشقة أو رشقتان.

فانفذ إليه علي (عليه السلام) يستحثه.. ويأمره بالمناجزة.

فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه، فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن..

وقال له: «أقدم لا أم لك. . !».

فكان محمد رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بعد يبكي، ويقول: لكأني أجد ريح نفسه في قفاي، والله لا أنسى أبداً.

ثم أدركت علياً (عليه السلام) رقة على ولده محمد، فتناول الراية منه بيده اليسرى، وذو الفقار مشهور في يمنى يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل. . ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته.

فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين.

فلم يجب أحداً منهم، ولا رد إليهم بصره. . وظل ينحطُّ ويزأر زئير الأسد، حتى فرق[1] من حوله. . .

وتبادروه. . وأنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة، لا يبصر من حوله، ولا يرد حواراً.

ثم دفع الراية إلى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده، فدخل وسطهم، فضربهم بالسيف قُدُماً قُدُماً، والرجال تفر من بين يديه، وتنحاز عنه يمنة ويسرة، حتى خضب الأرض بدماء القتلى.

ثم رجع (عليه السلام)، وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته، فاعصوصب[2] به أصحابه وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام. . وقالوا:

إنك إن تصب يذهب الدين. . فامسك ونحن نكفيك. .

فقال (عليه السلام): «والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة. . .».

ثم قال لمحمد ابنه: «هكذا تصنع يا بن الحنفية. . .».

فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين!

---

(١) فرق من حوله: أي خاف.

(٢) اعصوصب به: أي استجمعوا والتفوا حوله.

وفي شرح النهج أيضاً عن أبي مخنف قال: خرج عبدالله بن خلف الخزاعي، وهو رئيس البصرة، وأكثر أهلها مالاً.. وضياعاً، فطلب البراز، وسأل ألا يخرج إليه إلا علي (عليه السلام)، وارتجز فقال:

أبا تراب أدن مني فتراً ... فإنني دانٍ إليك شبراً

وإن في صدري عليك غمراً[1]

فخرج إليه علي (عليه السلام)، فلم يمهله أن ضربه، ففلق هامته.

وعن أبي مخنف كما في شرح النهج: قال: لما رأى علي (عليه السلام) أن الموت عند الجمل، وأنه ما دام قائماً، فالحرب لا تطفأ.. وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه، وأمر أصحابه بذلك...

ومشى (عليه السلام) نحو الجمل والخطام مع بني ضبة، فاقتتلوا قتالاً شديداً.. واستمر القتل في بني ضبة، فقتل منهم مقتلة عظيمة.

وخلص علي (عليه السلام) في جماعة من النخع.. وهمدان.. إلى الجمل، فقال لرجل من النخع[2] اسمه بجير:

«دونك الجمل يا بجير...».

فضرب بجير عجز الجمل بسيفه.. فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض، وعجَّ عجيجاً لم يسمع بأشد منه..

فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرَّت الرجال، كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب...

واحتملت عائشة بهودجها، فحُملت إلى دار عبدالله بن خلف.

وأمر علي (عليه السلام) بالجمل أن يحرق ثم يذرَّى في الريح...

---

(١) الغمر: الحقد والعداوة.

(٢) النخع: قبيلة من قبائل العرب ـ منها مالك بن الحارث الأشتر النخعي (رضي الله عنه).

ثم قال علي (عليه السلام): «لعنه الله من دابة.. فما أشبهه بعجل بني إسرائيل».

ثم قرأ (عليه السلام):

﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرِّقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً..﴾[1].

وفي شرح النهج: نادت الأزد وضبة: يا لثارات عثمان.. فاتخذوها شعاراً ونادى أصحاب علي (عليه السلام): يا محمد.. فاتخذوها شعاراً.

ونادى علي (عليه السلام) بشعار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا منصور أمت[2] وهذا في اليوم الثاني من أيام الجمل. فلما دعا بها تزلزلت أقدام القوم، وذلك وقت العصر بعد أن كانت الحرب من وقت الفجر.

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي عن قتادة، قال: قُتل يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً، منهم ثمانمائة من بني ضبة.

وقُتل من أصحاب علي (عليه السلام) خمسمائة رجل، لم يعرف منهم إلا علباء بن الهيثم، وهند الجملي، قتلهما ابن اليثربي[3] كما أسلفنا.

وفي تاريخ اليعقوبي: أنه قُتل في ذلك اليوم - يوم الجمل - نيف وثلاثون ألفاً.

وفي البداية والنهاية لابن كثير: كان جميع القتلى يوم الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي، ونصفهم من أصحاب عائشة. وقُتل

---

(١) سورة طه - آية - ٩٧.
(٢) يا منصور أمت: هو أمر بالموت، والمراد به التفاؤل بالنصر - والله العالم.
(٣) العقد الفريد لابن عبد لابه الأندلسي: ج - ٤ - ص ٣٢٦.

من ضبة ألف رجل، وقَتل من بني عدي حول الجمل سبعون رجلاً.

وفي تاريخ الطبري: كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي، ونصفهم من أصحاب عائشة. وقيل: قُتل من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف. وقُتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف. فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة. وقُتل من أهل الكوفة خمسة آلاف.

واختلف المؤرخون في مدة هذه الحرب: فمنهم من قال دامت حرب الجمل سبعة أيام. ومنهم من قال ثلاثة أيام. ومنهم من قال يوماً، ومنهم من قال ساعات.

ففي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: أن حرب الجمل دامت سبعة أيام.

وأما الطبري فروى: أن الوقعة كانت يوم الخميس، وأن القتال استمر ثلاثة أيام. كما ذكر ذلك في تاريخه.

وأما المسعودي فذكر في مروجه أن الوقعة كانت يوم الخميس في الموضع المعروف بالخريبة لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ٣٦ للهجرة.

وأما اليعقوبي فذكر في تاريخه: كانت الحرب يوم الجمل أربع ساعات من النهار.

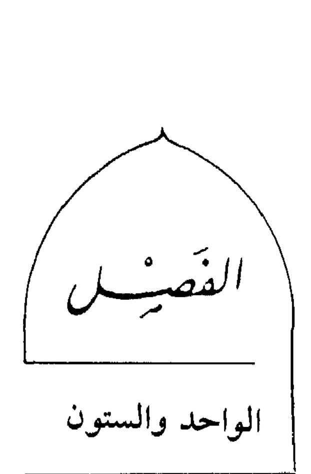
وهذا ارباك في المدة التي استمر فيها القتال يوم الجمل. والظاهر أن المعركة الحقيقية - أي الفصل - كانت عبارة عن يوم واحد.. أو ساعات من نهار، وبقية الأيام.. جولات.. ومناوشات.. ومبارزة.

وخلاصة القول: أن معركة الجمل كانت فريدة من نوعها في ذلك الزمن. حيث أن القتال كان بين الأخوة المسلمين، إذ انشقت على نفسها القبائل العربية المسلمة.. التي كانت بالأمس القريب قد توحدت بفضل الإسلام. فتشعبت أهدافها وميولها..

ففـريق بقي على ولائـه وبيعته لأمـير المؤمنين عـلي. . وفريق ثـان انحاز إلى عائشة وأتباعها. وراحت هذه القبائل تضرب بعضها بعضاً. . حيث كانت مضر الكوفة، تحارب مضر البصرة. . وربيعة الكوفة تحارب ربيعـة البصرة. . وهكـذا بقيـة القبـائـل. . ويـدلنـا عـلى هـذا مـا رواه المؤرخون من أنه عندما اشتـد القتال في البصرة يـوم الجمل، ورأى أمـير المؤمنين علي أن المـوت قد فغـر فاه وراح يحصـد الرجـال حول الجمـل، صـاح بأعـلى صوتـه: «السيوف يـا أبناء المهـاجرين. . الـخ» وتـزاحف الناس، وظهرت يمن البصرة على يمن الكوفـة فهزمتهم. وربيعـة البصرة على ربيعة الكوفة فهزمتهم. . وهكذا. .

نهد أمير المؤمنين عـلي بمضر الكوفـة إلى مضر البصرة، وقال: «أن الموت ليس منه فوت. . يدرك الهارب، ولا يترك المقيم. .» وكانت نهاية المعـركة بـذلك الحـين بعقر الجمـل الذي كـان يحمل هـودج أم المؤمنـين عائشة. . وانتهى القتال بانتصار الحق على الباطل.




الفَصْل
الواحد والستون



أم المؤمنين عائشة بعد الهزيمة

انتهت معركة الجمل بعقره وفرار من حوله من الرجال مولين الأدبار . .

وما أن همدت نار الحرب . . وخبت جمرة القتال التي استعر نارها قبل وقت قصير . . وما أن حل رماد الهزيمة بجيش عائشة حتى سكتت تجتر آلامها في هودجها واجمة ذاهلة . .

أجل . . نتصور أم المؤمنين في هودجها الذي أصبح كالقنفذ مما وقع عليه من السهام ساكتة لا تريم . . فلا تثير حرباً . . ولا تستنهض الهمم . . ولا تحرض الرجال على القتال . . ولم يعد لها أي حول أو طول . . حيث ولى جميع من كان قد بقي معها من المقاتلين ولاذوا بالفرار، يجرجرون أذيال الهزيمة والخزي والعار، وراحوا يبحثون عن مخبأ يتوارون فيه خوفاً على أرواحهم .

أجل . . نتصور أم المؤمنين عائشة في هودجها تدير طرفها يمنة ويسرة فلم تجد أحداً ممن كان معها . . بل ذهب الجميع وتركوها إلى مصيرها الذي يغشاه الظلام . . وحيدة في هودجها . .

أنها تكاد تختنق لما لحقها من هول الهزيمة وقد أظلمت الدنيا في عينيها لكن بارقة الرجاء سطعت في داخلها وبصيص الأمل بحلم

علي بن أبي طالب وعفوه خفف عنها بعض ما تكابده من ألم الهزيمة ومرارة الفشل . .

إن عائشة تعلم حق العلم بما يتحلى به أمير المؤمنين علي من خلق رفيع، وخصال حميدة، وحلم، وكرم، وعفو عن المسيء . .

عائشة تعلم أن علياً سوف يعاملها برفق واحسان بما جُبل عليه من كرم الأخلاق .

صحيح أنّ علياً هو الخصم الشديد حين البأس . . الذي لا تأخذه في الله لومة لائم . . لكنه (عليه السلام) السيد الشريف . . المترفق باخصامه . . فالعفو عند المقدرة من شيمه وخصائص طباعه .

لذلك نجده (عليه السلام) بعد انتهاء المعركة يوم الجمل استدعى محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وأمرهما أن يحملوا الهودج من بين القتلى ويضعوه جانباً .

ذكر ابن الأثير في تاريخه أنه لما انهزم الناس أمر علي نفراً أن يحملوا هودج عائشة من بين القتلى . وأمر أخاها محمد بن أبي بكر أن يضرب عليها قبة، وقال له : انظر هل وصل إليها شيء من جراحة؟

فادخل محمد رأسه في هودجها .
فقالت عائشة : من أنت؟
فقال محمد : أبغض أهلك إليك . .
قالت ـ عائشة ـ : ابن الخثعمية[1] ؟

---

(١) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : أسماء بنت عميس هي أخت ميمونة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس عم النبي، وأخت سلمى زوج حمزة سيد الشهداء، أمهم هند بنت عوف الذي قيل فيها أنها أكرم الناس أصهاراً فمن أصهارها النبي، وحمزة والعباس وجعفر، وأبي بكر وعلي . وذكر الشيخ في رجاله : أسماء بنت عميس في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي أصحاب علي (عليه السلام) وأسماء (رضوان الله عليها) من المهاجرات السابقات إلى الإسلام . روى محمد بن سعد في الطبقات الكبير أنها أسلمت قبل دخول رسول الله

قال ـ محمد ـ : نعم . .

وفي تاريخ الطبري : أمر علي نفراً بحمل الهودج من بين القتلى، وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث انزلاه عن ظهر البعير، فوضعاه إلى جنب البعير.

فأقبل محمد بن أبي بكر، ومعه نفر فادخل يده في الهودج.

فقالت عائشة : من هذا؟

قال محمد : أخوك البر. .

قالت : عقوق.

فأقبل عمار بن ياسر فقال : كيف رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه؟

قالت عائشة : من أنت؟

قال عمار : أنا ابنك البار عمار. .

قالت عائشة : لست لك بأم.

قال ـ عمار ـ : بلى. . وإن كرهت.

وابرزوها بهودجها من بين القتلى ووضعوها ليس قربها أحد ـ وكأن هودجها فرخ مقصب مما فيه من النبل.

وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : جاء محمد بن أبي بكر ومعه عمار بن ياسر فقطعا الانساع عن الهودج واحتملاه، فلما وضعاه ادخل محمد يده .

(صلى الله عليه وآله وسلم) دار الأرقم بمكة، وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له هناك، عبدالله ومحمداً وعوناً وقدم بها جعفر المدينة عام خيبر ثم قتل عنها بمؤتة شهيداً في جمادي الأولى سنة ثمان من الهجرة وفي الطبقات أيضاً : أنها لما قدمت من أرض الحبشة قال لها عمر : يا حبشية، سبقناكم بالهجرة، فقالت : أي لعمري. . كنتم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم. وكنا البعداء الطرداء أما والله لآتين رسول الله فلاذكرن له ذلك. فأتت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكرت له ذلك، فقال : للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان. وعن ابن سعد أيضاً : أن أبا بكر تزوج أسماء بعد جعفر بن أبي طالب فولدت له محمداً. ثم توفي عنها أبو بكر فتزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوناً.

فقالت ـ عائشة ـ : من هذا؟

قال: أخوك محمد. .

فقالت: مذمم. .

قال محمد: يا أخية هل أصابك شيء؟

قالت ـ عائشة ـ : ما أنت من ذاك؟!

قال ـ محمد ـ فمن إذاً؟! الضُّلال. .

فقالت ـ عائشة ـ : بل الهداة.

وقيل أن عائشة لما سألته قال: أخوك البر. قالت: عقوق. .

وأمر علي (عليه السلام) نفراً أن يحملوا الهودج من بين القتلى وأنه كالقنفذ لما فيه من السهام.

وأمر علي أيضاً: محمد بن أبي بكر أن يضرب على أخته عائشة قبة. فلما كان الليل أدخلها البصرة فانزلها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي وهي أعظم دار في البصرة.

وفي تاريخ الطبري: لما كان من آخر الليل، خرج محمد بن أبي بكر باخته عائشة حتى أدخلها البصرة، فانزلها في دار عبدالله بن خلف الخزاعي، على صفية ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وهي أم طلحة الطلحات بن عبدالله بن خلف.

وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين في قول الواقدي.

وفي مروج الذهب للمسعودي: لما سقط الجمل ووقع الهودج، جاء محمد بن أبي بكر، فادخل يده، فقالت عائشة: من أنت؟

قال محمد: أقرب الناس منكِ قرابة، وابغضهم إليكِ، أنا محمد أخوك. . يقول لك أمير المؤمنين. . هل أصابك شيء؟

قالت عائشة: ما أصابني إلا سهم لم يضرني.

فجاء علي (عليه السلام) حتى وقف عليها، فضرب الهودج بقضيب، وقال:

يا حميراء.. رسول الله أمرك بهذا؟ ألم يأمركِ أن تقري في بيتك؟ والله ما انصفك الذين أخرجوك.. إذ صانوا عقائلهم وابرزوكِ!

وأمر أخاها محمداً فانزلها في دار صفية بنت الحارث بن طلحة العبدي، وهي أم طلحة الطلحات.

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير: أنه لما عُقر الجمل، احتمل محمد بن أبي بكر عائشة، فانزلها وضرب عليها قبة. فوقف علي (عليه السلام)، وقال لها: «استنفرت الناس وقد فروا.. وألبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً.. في كلام كثير.

فقالت عائشة: ملكت فاسجع.. نعم ما ابتليت قومك اليوم.



العفـو العـام

سقط الجمـل الذي كـان يحمل هـودج أم المؤمنـين عـائشـة يعـج عجيجاً مذهلاً، حتى سمعه جميـع من في الميدان من المتحـاربين، فكـان سقوطه أشبه بعاصفة هوجاء مجنونـة دارت دورتها بعنف ثم استقـرت كما تستقـر الصخـرة إذا وقعت من قمـة الجبـل لـترقـد تحت قـدميـه ذليلة محطمة . .

فر الذين كانوا يحيطون بالجمل ويدافعون عن راكبته حمية كحمية عرب الجاهلية . . لا ديانة كمسلمين . .

لذلك نجدهم قد تفرقوا وتركوها عندمـا سقط الجمل، وفـروا كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب . . وما ذاك إلا لأن القتـال لم يكن بين المسلمين وأعداءهم من المشركين أو المـرتدين . . وإنمـا كانت عمليـة انشقاق خرج بهـا ثلة من المسلمين انشقـوا على أمـير المؤمنين عـلي (عليه السلام) . . فما كان منه إلا أن اضـطر إلى الخروج إليهم ومحـاربتهم بعد أن أعيته الحيلة ولم يترك وسيلة من وعـظهم وتنبيههم إلى ما ستؤول إليـه هذه الحرب من تفرقة بين المسلمين وما ستعود عليهم من ضرر.

أجل أنها كانت عملية تأديب لجـماعة خـارجة منشقـة على إمـامها وخليفتهـا علي بن أبي طـالب . . بعدمـا بايعـه فريق منهم ونكثـوا بيعته .

وغرروا بمسلمي البصرة وغيرهم من السذج حتى استمالوهم فحاربوا بهم إمام الحق وشقوا عصا الطاعة فكانت حرب الجمل.. فتنة عمياء.. وأول اسفين دُق في جسم الدولة الإسلامية كما أسلفنا.

لذلك نجده (عليه السلام) لما لم يكن من همه الجاه والسلطان بل كان من همه اخماد نار الفتنة التي أججها أعداؤه.. فما أن ألقت الحرب أوزارها وفر من فر ممن بقي من محاربيه حتى أصدر كلمة الأمان.. والعفو العام عن أعدائه ومن انشق عنه وشهر السيف في وجهه، فأمر مناديه فنادى كما جاء في تاريخ اليعقوبي.

نادى منادي علي (عليه السلام): ألا لا يجهز على جريح.. ولا يتبع مول.. ولا يطعن في وجه مدبر.. ومن ألقى السلام فهو آمن.. ومن أغلق بابه فهو آمن.. ثم آمن الأسود والأحمر[1].

وفي تاريخ الطبري عن محمد بن راشد عن أبيه قال: كان من سيرة علي ألا يقتل مدبراً.. ولا يذفف - أي يجهز - على جريح.. ولا يكشف ستراً.. ولا يؤخذ مالاً[2].

وفي مروج الذهب للمسعودي: لا تجهزوا على جريح.. ولا تقتلوا أسيراً.. ولا تتبعوا مولياً.. ولا تطلبوا مدبراً.. ولا تكشفوا عورة.. ولا تمثلوا بقتيل.. ولا تهتكوا ستراً.. ولا تقربوا شيئاً من أموالهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبد أو أمة.. وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم[3].. الخ.

وبذلك يكون أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قد حذا حذو ابن عمه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلك مسلكه في جميع مواقفه.

---

(١) تاريخ اليعوقبي: ج - ٢ - ص ١٧٢.
(٢) تاريخ الطبري: ج - ٤ - ص ٥٤١.
(٣) مروج الذهب للمسعود: ج - ٢ - ص ٣٧١.

ولذلك أيضاً نجده (عليه السلام) ما إن أظفره الله بأعدائه حتى أمر مناديه أن يجوب الصفوف رافعاً صوته يعطي الأمان للذين كانوا قبل قليل شاهرين سيوفهم لحربه ظامئين لدمه ودماء أصحابه . . .

عفا عن محاربيه عند قدرته عليهم فسجل بذلك أروع عفو عرفه التاريخ صدر عن غالب منتصر . . بعد عفو رسول الله عن أهل مكة .

وما أن سمع الناس كلمة الأمان ، والعفو العام الذي صدر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) . . وكان المساء قد أخذ يضرب خباءه على الجموع المتحشدة في الميدان . . المنتصر منهم الظافر . . والمنهزم المخذول . . حتى أخذ الجرحى يتسللون من بين القتلى . . تحت جنح الظلام . فدخلوا البصرة .

لكن أمير المؤمنين علي لم يدخل البصرة التي مدت أكفها إليه بالترحيب في ذلك الوقت ، بل آثر أن يبقى بساحة القتال حتى يشرف بنفسه على تصريف الأمور بعد المعركة . وحتى يفرغ الناس من دفن موتاهم واستنقاذ جرحاهم .

وكانت المعركة يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ٣٦ للهجرة في قول الواقدي والمسعودي . وذكر الطبري أن الوقعة كانت يوم الخميس وأن القتال ثلاثة أيام كما ذكرنا سابقاً وهكذا .

وقيل : أن أهل المدينة علموا بالوقعة يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس ، وذلك من نسر مر بماء حول المدينة ، سقط منه كف فيه خاتم نقشه . . عبد الرحمن بن عتاب . . وعلم من كان بين مكة . . والمدينة . . والبصرة ، بالوقعة بما ينقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام .



طواف علي (عليه السلام) على القتلى بعد انتهاء معركة الجمل

يحدثنا التاريخ أن أمير المؤمنين علي طاف أرض المعركة يستعرض القتلى يوم الجمل، متوجعاً. . ومتألماً. . لما لاقاه من أخصامه.

أنه (عليه السلام) لم يكن ليريد أن يقاتل قومه ومن تبعهم من المرتزقة أو يقاتل المسلمون بعضهم بعضاً. لكنه الجىء إلى الحرب إذ فرضت عليه.

لذلك نجده(عليه السلام) حين خرج يستعرض القتلى وقف مؤنباً لهم ومذكراً إياهم بما صنعوه من أفعال سيئة، وبما ارتكبوه من العناد الذي جره عليهم حقدهم الدفين عليه، وكرههم له. . ومطامعهم الدنيوية. . فما كان أغناهم عن هذا المصير الأسود الذي أغضب الله ورسوله.

وقف (عليه السلام) يستعرض القتلى واحداً بعد واحد، والأسى يعصر نفسه لقتل أناس كان الأولى بهم أن يقتلوا في سبيل الله، وفي نصرة الإسلام. . لا أن يقتلوا في إحداث حرب أو فتنة تستنزف قدرات المسلمين، هذه القدرات التي كان المفروض فيها أن تصرف في سبيل الدين واعلاء شأن المسلمين لا أن تصرف في حرب جرت عليهم وبالاً. . .

وقف (عليه السلام) متأوهاً.. متألماً عندما رأى القتلى من المسلمين.. من أخصامه الذين كانوا بالأمس القريب يحاربون تحت راية الإسلام أعداء الدين من اليهود والمشركين وغيرهم..

لكنهم اليوم وبعد معركة الجمل ها هم قتلى تسفو عليهم الرياح قد خسروا الدنيا والآخرة لنكثهم بيعة إمامهم وحربهم له.

لقد قُتل الكثير ممن له صحبة.. ومن له المقام المرموق في مجتمعه وعشيرته في هذه المعركة المشؤمة ـ معركة الجمل ـ فكان علي (عليه السلام) يود أن يلقى بهم أعداء المسلمين ويكون مصرعهم استشهاداً وجهاداً في خدمة الدين..

لكنه (عليه السلام) ماذا يصنع.. مع قوم لم يستسيغوا الحق الذي انتهجه ومشى عليه فلم يحبوه ولا أحبوا نهجه ومسلكه بعد أن أعماهم الطمع وحب الذات. وقد أعيته الحيلة فلم يترك سبيلاً من السبل في وعظهم وارشادهم فلم يتعظوا.. فقد عميت منهم البصائر.. فاطعموه من أحقادهم صابها وعلقمها. وقد وصفهم ذات مرة بقوله:

«لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني.. ولو صببت الدنيا بجساتها[1] على المنافق على أن يحبني ما أحبني.. ذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: «يا علي لا يبغضك مؤمن.. ولا يحبك منافق».

وها هم اليوم.. الأخصام والمنافقون قد أجلبوا لحربه وقاتلوه حقداً وكرهاً له لا خدمة للإسلام.. بل طعناً وتفرقة بين المسلمين.. فجزاهم الله بغدرهم الخزي والعار.. بما لاقوه من الهزيمة والخسران. وألحقهم دار البوار.

---

(١) الجسم جماعة البدن: والجمع أجسام، وجسوم والجُسم الأمور العظام ولعل المراد يقول (عليه السلام): لو صببت الدنيا.. الخ أنه لو جمع لهم الدنيا بعظمتها لما أحبوه.. والله العالم.

وقف أمير المؤمنين علي بين القتلى يجيل بطرفه متأملاً يستعرضهم وهو يقول: كما جاء في الارشاد للشيخ المفيد[1]: ومن كلامه (عليه السلام) عند تطوافه على القتلى: «هذه قريش، جدعت أنفي . . وشفيت نفسي، لقد تقدمت إليكم أحذركم عض السيف، وكنتم أحداثاً لا علم لكم فيما ترون، ولكنه الحين وسوء المصرع، وأعوذ بالله من سوء المصرع».

ثم مر عليه السلام على معبد بن المقداد، فقال:

«رحم الله أبا هذا. . لو كان حياً لكان رأيه أحسن من رأي هذا. .».

فقال عمار بن ياسر: الحمد لله الذي أوقعه وجعل خده الأسفل. إنا والله يا أمير المؤمنين لا نبالي من عُند ـ أي مال ـ عن الحق من والد وولد. . .

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رحمك الله وجزاك عن الحق خيراً».

---

(١) جاء في وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٠ ـ ص ٣٤١ محمد بن محمد بن النعمان المفيد أبو عبدالله، ويعرف بابن المعلم، أجل مشايخ الشيعة، ورئيسهم، وأستاذهم، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام، والرواية. أوثق أهل زمانه، وأعلمهم. انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه، وكان حسن الخاطر دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له قريب من مائتي مصنف. قاله العلامة. ونحوه الشيخ. وقال النجاشي: أنه شيخنا وأستاذنا. فضله أشهر من أن يوصف في الفقه، والكلام، والرواية، والثقة والعلم، له كتب. انتهى. ولد رحمه الله في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ٣٣٨ هجرية في قرية تعرف بسويقة ابن البصري من عكبراء، تبعد عن بغداد عشرة فراسخ إلى ناصية الدجيل. وتُوفي في ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هجرية عن عمر ناهض ٧٦ عاماً وصلى عليه تلميذه السيد المرتضى علم الهدى، ودفن بداره سنين، ثم نقل إلى مقابر قريش ودفن مما يلي الرجلين ـ في مقام الإمامين الجواد والكاظم (عليهما السلام) في الرواق بقرب قبر شيخه جعفر بن قولويه، وحضر تشييع جنازته ثمانون ألفاً وكان يوماً مشهوداً عظيماً.

ومـر بعبد الله بن ربيعـة بن دراج، وهو في القتـلى، فقال: «هـذا البائس[1] ما كـان أخرجـه.. أدين أخرجـه، أم نصر لعثمان؟! والله مـا كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن».

ثم مر بمعبد بن زهير بن أبي أمية، فقال (عليه السلام):

«لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، والله ما كان فيها بذي نحيزة[2]. ولقد أخبرني من أدركه وأنه ليولول فرقاً من السيف.

ثم مر بمسلم بن قرضة فقال:

«البر أخرج هـذا، والله لقد كلمني أن أكلم عثمان في شيء كـان يدعيه قبله بمكة، فأعطاه عثمان وقال: لولا أنت ما أعطيته، أن هذا مـا علمت، بئس أخو العشيرة. ثم جاء المشوم للحين ينصر عثمان».

ثم مر بعبدالله بن حميد بن زهير فقال:

«هذا أيضاً ممن أوضـع في قتالنـا، زعم يطلب الله بـذلك، ولقـد كتب إلي كتباً يوذي عثمان فيها، فأعطاه شيئاً فرضي عنه».

ثم مر بعبدالله بن حكيم بن حزام، فقال:

«هذا خالف أباه في الخروج، وأبـوه حين لم ينصرنـا قد أحسن في بيعته لنا، وإن كان قد كف وجلس حين شك في القتال.. ما ألوم اليوم من كف عنا وعن غيرنا، ولكن المليم الذي يقاتلنا».

ثم مر بعبدالله بن المغيرة بن الأخنس فقال:

«وأما هذا فقُتل أبوه يوم قُتل عثمان في الدار، فخرج مغضباً لقتـل أبيه وهو غلام حدث جبن لقتله».

ثم مر بعبد الله بن عثمان بن الأخنس بن شريـف، فقال:

---

(١) وفي بعض النسخ اليائس: والله أعلم.

(٢) النحيزة: الطبيعة ونحيزة الرجل طبيعته.. لسان العرب لابن منظور. والـظاهر المـراد بقوله: ما كان فيها بذي نحيزة أي ليس من طبيعته الحرب ولكنه غرر به والله العالم.

«أما هذا فكأني أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف هارباً يعدو من الصف، إلى أن يقول (عليه السلام) وكان هذا مما خفي على فتيان قريش.. أغمار لا علم لهم بالحرب، خُدعوا واستنزلوا فلما قفوا لحجوا فقُتلوا.

ثم مشى قليلاً فمر بكعب بن سور فقال:

«هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمه ـ عائشة ـ يدعو الناس إلى ما فيه، وهو لا يعلم ما فيه.. ثم استفتح، فخاب كل جبار عنيد.

أما أنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله...

ـ ثم قال (عليه السلام): ـ اجلسوا كعب بن سور...

فأجلسوه...

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يا كعب لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً..؟.

ثم قال: «اضجعوا كعباً».

ومر على طلحة بن عبيدالله، فقال:

«هذا الناكث بيعتي، والمنشيء الفتنة في الأمة، والمجلب علي، والداعي إلى قتلي وقتل عترتي.. اجلسوا طلحة بن عبيدالله..

فاجلسوه...

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً.. فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً..؟!

ثم قال: اضجعوا طلحة..

فاضجعوه...

ثم سار أمير المؤمنين ـ علي ـ بين القتلى فقال له: بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين اتكلم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟!

فقال له (عليه السلام):

«أمَ والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر[1].

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: عن الأصبغ بن نباتة[2] أنه قال: لما انهزم أهل البصرة ركب علي (عليه السلام) بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الشهباء.. وكانت باقية عنده. وسار في القتلى يستعرضهم، فمر بكعب بن سور القاضي.. قاضي البصرة.. وهو قتيل.

فقال (عليه السلام): أجلسوه..
فأجلس...

فقال له أمير المؤمنين علي: «ويلمك كعب ابن سور!.. لقد كان لك علم لو نفعك..! ولكن الشيطان أضلك فأزلك.. فعجلك إلى النار...

ثم قال: أرسلوه...
ثم مرَّ بطلحة بن عبيدالله قتيلاً...

فقال: أجلسوه..

فأجلس..

فقال ـ يخاطبه ـ: ويملك طلحة..! لقد كان لك قدم لو نفعك..! ولكن الشيطان أضلك فأزلك.. فعجلك إلى النار.

ويتابع صاحب شرح النهج روايته: فيقول:

ثم مرَّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بعبدالله بن خلف

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٢) الأصبغ بن نباتة: هو من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وقد تقدمت ترجمته.

الخـزاعي، وكان (عليـه السلام) قتله بيـده مبـارزة. وكـان عبـدالله بن خلف الخزاعي رئيس أهل البصرة.

فقال أمير المؤمنين علي:

أجلسوه. . .

فأجلس. . .

فقال له (عليه السلام): الويل لك يا بن خلف!. . . لقد عانيت أمراً عظيماً.

وفي شرح النهـج أيضاً عن أبي عثـمان الجاحظ: ومـرَّ عـلي (عليـه السلام) بعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد، فقال:

أجلسوه. . .

فأجلس. . .

فقال (عليه السلام) هذا يعسوب قريش، هذا اللباب المحض من بني عبد مناف.

ثم قـال: شفيت نفسي، وقتلت معشري، إلى الله أشكو عجـري وبجري[1].

وفي رواية أن أمير المؤمنـين علي (عليـه السلام) كـان يردد ويقـول بعـد انتهاء القتـال: واستعراض القتـلى الذين سقـطوا في المعـركـة يـوم الجمل:

إليـك أشكو عجـري وبجـري[2] ومـعـشـراً أغـشـوا عـلي بصري

قـتـلت مـنهـم مضري بمضري شـفيـت نـفسي وقـتـلت مـعشري

وفي أعيـان الشيعـة للسيـد محسن الأمـين: أنـه أقـام عـلي (عليـه

(١) شرح نهج البـلاغـة لابن أبي الحـديـد: ج ـ ١ ـ ص ٢٤٩ ـ ط ـ بـيروت دار احيـاء التراث العربي.

(٢) عجري وبجري: معناه همـومي واحزاني، وقيل: ما أبدي وأخفي.

السلام) بظاهر البصرة ثلاثاً، وأذن للناس في دفن موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم[1].

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ـ ج ـ ١ ص ٤٥٩ ـ ط ـ دار التعارف بيروت
الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ـ ٣ ـ ص ١٣٠.

نظـرة وتأمل

ذكـر أكثر المؤرخـين وأصحاب السـير أن أمير المؤمنين عـلي بن أبي طالب (عليه السلام) طاف عـلى القتلى من أصحـاب الجمل بعـد انتهاء الحرب. . وأنه كان (عليه السـلام) يتوقف عنـد كل واحـد ممن كان لهم الشأن في اضرام نار الفتنة التي اكتوى بها المسلمون فيما بعد. . وجعلتهم شيعاً واحزاباً متنافرين. . .

كان (عليه السلام) يتوقف عنـد كل قتيـل ممن له المكـان المرمـوق والكلمة المسموعة بين أصحابه، فيخاطبهم واحداً بعد واحد، ويذكرهم بما ارتكبوه من أخطاء. . وبالعمى الذي أصيبوا بـه في بصائـرهم فمالـوا عن الحق واتبعوا الهوى حتى أوردهم الهلاك. . فخسروا دينهم ودنياهم.

ومن جملة من خـاطبهم بعـد قتلهم طلحـة بن عبيـدالله التميمي حين مر عليه وهو قتيل فقال (عليه السلام):

«هـذا النـاكث بيعتي. . والمجلب عـلي. . والـداعي إلى قتـلي. . الخ».

ثم قال يخاطبه: «يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربي حقاً. . فهـل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟. . الخ».

كذلك خاطب كعب بن سور وغيره. . .

فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين أتكلم كعباً وطلحة بعد قتلهما ـ بعد أن أصبحا من الأموات ـ؟!

فأجابه (عليه السلام): «أمَ والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم بدر».

أقول: الذي ذكرناه آنفاً عن أكثر المؤرخين والرواة الموثوقين من كلام علي (عليه السلام) لأصحاب الجمل عند طوافه عليهم، وتأنيبه لهم على خلافه ونكث بيعته وحربه. هو الصحيح والمعقول لأنهم خرجوا عليه وحاربوه ونكثوا بيعته وشقوا عصا المسلمين، وكانوا بمساعدة أم المؤمنين عائشة العامل الأكبر في تفتيت كلمة المسلمين. وهم السبب أيضاً بعد ذلك في الحروب التي أعقبت وقعة الجمل ـ صفين وغيرها.

وهم السبب أيضاً.. في تمهيد السبيل لاستغلال معاوية بن أبي سفيان الأموي لهذه الحرب وتطلعه إلى مركز الخلافة. وبعد ذلك تنمره وتسلطه عليها.. ثم جعلها من بعد ذلك لولده الطاغية يزيد... إلى آخر ما هنالك من المآسي والمخازي التي واجهت المسلمين نتيجة حرب الجمل...

وأما ما قاله بعض المؤرخين الذين مال بهم الهوى، وباعوا ضمائرهم لأصحاب الحكم والسلطان من أمويين، وعباسيين، وغيرهم.. فاختلقوا الروايات والأحاديث عن لسان أمير المؤمنين علي من أنه قال عندما مر بطلحة بن عبيدالله التيمي وهو صريع بين القتلى فوقف عليه متأوهاً متألماً: «أعزز علي أبا محمد أن أراك معفراً تحت نجوم السماء، وفي بطن هذا الوادي... أبعد جهادك في الله... ودفعك عن رسول الله... أمَ والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب... الخ».

فقال له قائل: لقد بايعني طلحة لك يا أمير المؤمنين عندما مررت عليه وهو يجود بنفسه. كما في طبقات ابن سعد.

فقال علي: أبى الله أن يدخل الجنة طلحة إلا وبيعتي في عنقه.

وفي الطبقات أيضاً: عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال: دخل عمران بن طلحة على علي، بعدما فرغ من أصحاب الجمل، فرحب به علي وقال:

أني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله: إخواناً على سرر متقابلين.

قال أبو حبيبة: وكان رجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا: الله أعدل من ذلك أتقتلهم بالأمس.. وتكونون على سرر متقابلين في الجنة؟!

فقال علي: قوما أبعدَ أرض واسحقها.. فمن هو إذاً إن لم أكن أنا وطلحة.. الخ.

وفي الطبقات أيضاً: أنه جاء عمران بن طلحة إلى علي (عليه السلام)، فقال له علي: تعال ها هنا يا ابن أخي.. فاجلسه على طنفسته[1] فقال:

والله أني لأرجو أن أكون أنا وأبو هذا ممن قال الله: ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين[2].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي عن سفيان الثوري أنه

---

(١) في اللسان لابن منظور: الطنفسة، النمرقة، وجمعها طنافس.. وقيل هي البساط الذي له خمل رقيق، أقول: أن أكثر الروايات التي لا تلائم طبيعة علي (عليه السلام) وزهده وتقشفه موضوعة ومختلفة، فمثلاً: قول علي لابن طلحة تعال ها هنا يا ابن أخي وأجلسه على طنفسته.. الخ هذا غير صحيح لأنه من المعلوم لدى جميع الناس أن الإمام علي (عليه السلام) كان من الزهد والتقشف على حد لم يبلغه أحد، طعامه خبز الشعير، وإدامه الملح، ولباسه الخشن من الثياب وجلوسه على التراب حتى لقبه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأبي تراب. فمن أين جاء الراوي بالطنفسة الناعمة؟! ولعل هذا الراوي شط به الخيال فتصور علياً (عليه السلام) الفاتح المنتصر، وتمثله كغيره من أهل الدنيا.

(٢) الطبقات الكبير لابن سعد: ج ـ ٣ ـ ص ١٦٠.

قال: لما انقضى يوم الجمل، خرج علي بن أبي طالب في ليلة ذلك اليوم، ومعه مولاه، وبيده شمعة، يتصفح وجوه القتلى، حتى وقف على طلحة بن عبيدالله في بطن وادٍ متعفراً.. فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول: أعزز علي يا أبا محمد أن أراك متعفراً تحت نجوم السماء وفي بطون الأودية.. إنا لله وإنا إليه راجعون. شقيت وقتلت معشري إلى الله أشكو عجري وبجري.

ثم قال (عليه السلام): والله أني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين**﴾[1].

وإذا لم نكن نحن فمن هم؟

وفي العقد أيضاً عن ليث بن طلحة عن مطرف: أن علي بن أبي طالب أجلس طلحة يوم الجمل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه[2].

إلى غير ذلك من الروايات الملفقة والموضوعة التي لا يقبلها العقل، ولا يقرها الوجدان.. فلا يعقل أن يكون من حارب علياً خليفة الحق ومن نكث بيعته بعد أن بايعه المسلمون... أو من كان السبب والمحرض في شق صفوف المسلمين واشعال نار الفتنة بينهم... ومن كان السبب أيضاً بسفك دمائهم يوم حرب الجمل وما تلاها من حروب وويلات ومنازعات... ومن كان السبب في تسلط الظالمين والطغاة والمنافقين على رقاب المسلمين، كالأمويين وغيرهم من العصر الإسلامي الأول حتى يومنا هذا.. فهل يعقل أن يكونوا مع علي في الجنة على سرر متقابلين!؟

أجل لا يعقل أن يكون الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو المعصوم عن الخطأ وربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقول: هؤلاء في الجنة.

(١) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ج ـ ٤ ـ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

وكيف يعقل أن يقول (عليه السلام) أن طلحة والزبير وغيرهما في الجنة وهم أساس كل شر وويل وفتنة جرت بين المسلمين. . .

وهل يعقل أن يقول علي بن أبي طالب أنه هو وطلحة والزبير الناكثان للبيعة المضرمان نار الفتنة ـ إخواناً على سرر متقابلين في الجنة.

ـ لكن من أعجب الأعاجيب أن يأتي بعض العلماء من المؤرخين والكتاب من أهل السير، فينقلون الأحاديث من دون روية أو تحقيق، أو التفات وتثبت من صدق الرواية أو عدم معقوليتها غير ملتفتين لوثاقة الرواة أو صحة السند فيقعون في الخطأ وتشط أقلامهم فينقلون أحاديث وروايات موضوعة ومختلقة في زمن خاص لارضاء الحكام والمتسلطين فليتأمل المتأمل.



عبدالله بن سبأ الأسطوري

لقد أغرق الرواة أيما أغراق عندما وضعوا الروايات الكثيرة بحق عبدالله بن سبأ، هذا الرجل الذي اختلقوه إذ جعلوه من اليهود الذين جاءوا من اليمن . . .

لقد زعم بعض الرواة من أن ابن سبأ جاء من اليمن وتنقل في بعض الحواضر الإسلامية كالشام، ومصر، والكوفة، والبصرة. مظهراً الإسلام ومبطناً الكفر. . وذلك في زمن خلافة عثمان بن عفان.

لقد جعل المؤرخون من ابن سبأ ـ هذا الرجل الخرافي ـ رجلاً حقيقياً اندس في أصحاب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، واستطاع أن يحصل من أصحاب علي الأجلاء غطاء له ليجيش الجيوش لقتل عثمان وزرع بذور الفتنة بين المسلمين.

أجل لقد أسرف هؤلاء الرواة وشطح بهم الخيال فجعلوا من ابن سبأ رجلاً عظيماً ذا كيد ودهاء، يخفي تحت اظهار إسلامه الحقد والبغضاء للإسلام وأهله، في حين أن أصابعه تلعب في الخفاء لتحيك الفتن لتكون ناراً تحرق مصالح المسلمين وتمزق وحدتهم.

ويتراآى لنا من الروايات الموضوعة أن ابن سبأ هو الذي أشعل نار الحرب يوم الجمل في البصرة، بعدما ظن أن الوفاق والصلح سوف

يتم بين أصحاب علي بن أبي طالب، واتباع عائشة.

لقد أضفى الرواة على ابن سبأ روعة الأساطير، وأبرزوه رجلاً ذا شخصية كبيرة كما ذكرنا وشط القلم حتى جعلوا له مكانة مرموقة من حيث الدهاء والسياسة.. وأنه الوحيد الذي استطاع بوسعه أن يؤلب على الخليفة.. وأنه كان من الجماعة التي كانت لها اليد الطولى في فتنة الدار.. ومقتل عثمان.

ويسرف بعض الرواة من المضللين في شطحة الخيال.. فيذكرون أن ابن سبأ اجتمع مع جماعة من أصحاب علي بن أبي طالب (عليه السلام).. أسروا الغدر، وما علم أحد سواهم بما بيتوه.. فتآمروا على قتل علي (عليه السلام) أمير المؤمنين خوفاً على أنفسهم من القتل إذا تم الصلح بين أصحاب علي بن أبي طالب... واتباع عائشة... لأن هذا سيجعلهم أكبش القصاص.. لأنهم ممن اشتركوا في الثورة الدامية.. وأكفهم أمام الناس ـ كما يزعم الرواة ـ ملطخة بدم الشيخ المقتول عثمان...

عبدالله بن سبأ هذا الرجل الخرافي الملقب بابن السوداء حيناً، وحيناً بيهودي اليمن ما هو إلا اسطورة اختلقها أعداء علي، وأعداء الشيعة، بل أعداء الإسلام، لم يكن له أي وجود بالحقيقة.. وما هو إلا قصة خيالية وضعها الوضاعون للتشنيع والتشويش على الشيعة. الفئة الصالحة من المسلمين..

اسطورة ابن سبأ.. والسبيئة، قد وضعها أخصام الشيعة بعد معركة الجمل في البصرة بحوالى مائة عام تقريباً.. وانطلقوا منها إلى أمور الصقوها بالتاريخ. فأخذها المتأخرون أخذ المسلمات، وحملوا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) تبعة حرب الجمل.. حيث آوى إليه عبدالله بن سبأ ـ المزعوم ـ وأنصاره القتلة من السبيئة الحاقدين على الإسلام ـ كما يزعمون ـ وكما ذكر ذلك الطبري في تاريخه وابن الأثير أيضاً وغيرهما من المؤرخين الذين أخذوا رواية عبدالله بن سبأ عن

سيف بن عمر ـ قبل سنة مائة وسبعين للهجرة.

وعن سيف بن عمر أخذ جميع المؤرخين... ثم اشتهرت هذه الرواية، وانتشرت في كتب التاريخ مدى القرون، فأخذها الخلف عن السلف.. حتى يومنا هذا.. وحتى أصبحت أسطورة ابن سبأ حقيقة تاريخية التي لا يتطرق إليها الشك لكثرة من تناقلها من الكتاب، والمؤرخين، على اختلاف أديانهم، وأوطانهم، ومذاهبهم، من شرقيين وغربيين، ومستشرقين...

ومن المؤسف أنه لم يلتفت أحد من هؤلاء الكتاب إلى أن أسطورة ابن سبأ ما هي إلا خرافة موضوعة، ورواية مختلقة، وضعها راو واحد، بزمن خاص وظروف خاصة. وأن هذا الراوي ـ وهو سيف بن عمر ـ معروف ومشهور عند القدامى من علماء الحديث، بالوضع.. ومتهم بالزندقة.

وعلى كل حال.. والحقيقة تقال أن كل من تتبع التاريخ الصحيح، وأمعن وتبصر، يرى أن علياً (عليه السلام) وأصحابه المخلصين براء من جميع المفتريات والأساطير كأسطورة ابن سبأ وغيره..

فهل يعقل أن يجعل علي بن أبي طالب من بطانته يهودياً خائناً..؟! ويأوي إليه من يزرع بذور الفتنة بين المسلمين.. ويكيد للإسلام؟!

فالإمام أمير المؤمنين علي يشهد له القاصي والداني وكل من له ضمير حي، وايمان صادق، بأنه لم يكن يريد الحرب للحرب أو التسلط كغيره من الحكام بل كان حربه يوم الجمل وغيره لخدمة الإسلام وصالح المسلمين. والإمام أمير المؤمنين علي هو أعظم رجل في الإسلام بعد ابن عمه صاحب الرسالة ـ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ عمل على تثبيت قواعد الإسلام والمحافظة عليه.



دخول أمير المؤمنين علي البصرة

بعدما هدأ النقع، وانقشع غبار الحرب يوم الجمل.. وهمدت نار الفتنة بانتصار الحق على الباطل.. بانتصار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي لا يغشى الظلام دربه.. فعلي مع الحق والحق معه يدور حيثما دار..

انتصر علي على جيش الفتنة الذي حوى الناكثين.. والمارقين.. وكل من له عداوة لأمير المؤمنين علي وأهل بيته الميامين.

بقي الإمام علي بظاهر البصرة ثلاثة أيام على ما رواه المؤرخون في ميدان المعركة.. يتفقد فيها أمور الجند، بعدما أعطى الأمان للجميع ونادى مناديه بعدم تتبع المنهزمين الذين ولو مدبرين.. وعدم الإجهاز على أي جريح من أعدائه.. وأمر أعوانه أيضاً: بالاعتناء بالجرحى.. ودفن القتلى.. وجمع ما وجد في أرض المعركة من الكراع والسلاح. كما أسلفنا.

وبعد ثلاثة أيام من انتهاء المعركة دخل أمير المؤمنين علي البصرة.. البلدة التي كانت مأوى أخصامه وأعدائه الذين عملوا جهدهم لقتاله وقتله.

البصرة.. البلدة التي جعلها أخصامه وأعداؤه بالأمس القريب، المركز والمنطلق لحربه.

البصرة.. البلدة التي استباحت دم أنصاره وأصحابه وقتلهم في مسجدها غير مبالين بحرمة دم المسلمين.. وحرمة المسجد...

دخل الإمام أمير المؤمنين علي البصرة منتصراً، فاجتمع عليه أهلها يتهافتون على ارضائه.. باسطين أكفهم بالبيعة له. بعد أن كانت هذه الأكف شاهرة السيف بوجهه..

فأعجب بالنصر كيف يغير النفوس المتقلبة التي كانت من عهد قريب ضامئة لحرب علي، متعطشة لاراقة دمه ودم أصحابه.. كيف انقلبت من حال إلى حال.. وبسرعة مذهلة من مناوئة مقاتلة.. إلى وادعة مستأمنة متزاحمة على تقديم الطاعة له.. وابتغاء رضاه.!

إنها سنة المغلوب من البشر من ضعفاء الإيمان.. والعقيدة.. مرضى النفوس.. وهم في كل زمن ومكان.. بطانة الغالب.. وخصم المغلوب.

يحدثنا التاريخ أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دخل البصرة يوم الاثنين بعد الوقعة بثلاثة أيام، فانتهى إلى المسجد فصلى فيه...

وذكر المفيد في ارشاده: من كلام علي بالبصرة حين ظهر على القوم: بعد حمد الله تعالى والثناء عليه. فقال:

«أما بعد: فإن الله ذو رحمة واسعة، ومغفرة دائمة، وعفو جم، وعقاب أليم، قضى أن رحمته ومغفرته، وعفوه لأهل طاعته من خلقه. وبرحمته اهتدى المهتدون...

وقضى أن نقمته وسطواته، وعقابه، على أهل معصيته من خلقه.. وبعد الهدى والبينات.. ما ضل الضالون...

فما ظنكم يا أهل البصرة.. وقد نكثتم بيعتي.. وظاهرتم علي عدوي؟!

فقام إليه رجل فقال: نظن خيراً.. ونراك قد ظهرت،

وقدرت . . فإن عاقبت، فقد اجتر منا ذلك . . وإن عفوت . . فالعفو أحب إلى الله تعالى . . .

فقال (عليه السلام): «قد عفوت عنكم . . فاياكم والفتنة . . فإنكم أول الرعية نكث البيعة، وشق عصا هذه الأمة».

ثم جلس للناس فبايعوه[1].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: عن ابن عباس قال: لما انقضى أمر الجمل، دعا علي بن أبي طالب باجرتين فعلاهما، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا أنصار المرأة، وأصحاب البهيمة، رغا فجئتم، وعُقر فهزمتم، نزلتم شر بلاد، أبعدها من السماء، بها مغيض كل ماء، ولها شر أسماء، هي البصرة، والبصيرة، والمؤتفكة، وتدمر[2].

وفي نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده: ومن خطبة له (عليه السلام) لما أظفره الله بأصحاب الجمل:

«كنتم جند المرأة، واتباع البهيمة[3]، رغا فأجبتم، وعقر فهربتم، أخلاقكم دقاق[4]، عهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زعاف[5].

المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه . . كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة[6] قد بعث الله عليها العذاب من فوقها، ومن تحتها، وغرق من في ضمنها»[7].

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص ١٣٧.
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ج ـ ٤ ـ ص ٣٢٨.
(٣) يريد الجمل الذي كان عليه هودج عائشة ويسمى عسكر.
(٤) دقاق: دقة الاخلاق: دناءتها.
(٥) ماء زعاق: مالح.
(٦) الجوجؤ: الصدر.
(٧) وقد وقع ما أوعد به أمير المؤمنين (عليه السلام) أهل البصرة، فقد غرقت البصرة بعد ذلك، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام. ولم يبق ظاهر منها إلا مسجدها الجامع. =

وفي روايــة: «وايم الله لتغــرقن بـلدتكـم حتى كـأني أنــظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة، أو نعامة جاثمة».

وفي رواية كجؤجؤ طير في لجة بحر.

وفي رواية أخرى: «بـلادكم أنتن بلاد الله تـربة. أقـربها من المـاء وأبعـدهـا من السـماء. وبهـا تسعـة أعشـار الشر. المحتبس فيهـا بـذنبـه والخارج بعفو الله.

كأني أنظر إلى قـريتكم هذه قـد طبقها المـاء حتى ما يـرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر».

ومن كـلام له (عليـه السلام) في مثـل ذلك: «أرضكم قـريبة من المـاء. بعيـدة من السـماء[1] خفّت عقـولكم، وسفهت حلومكم، فـأنتم غرض لنابل[2]. وأكلة لآكل. وفريسة لصائل»[3].

وذكر الطبري في تاريخه: بايع الأحنف ـ بن قيس ـ من العشي لأنه كان خارجـاً هو وبنـو سعد، ثم دخلوا جميعـاً البصرة فبايـع أهل البصرة على راياتهم.

وبايع علياً أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة[4].

= وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: أن البصرة غرقت مرتين، مرة في أيام القـادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله ـ أيام العباسيين ـ غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها بارز بعضه كجوجؤ الطائر.

(١) معنى قـوله (عليـه السلام): أبعـدها من السـماء: أنها في أرض منخفضة، والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع.

(٢) الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهام. والنابل الضارب بالنبل.

(٣) نهج البلاغة شرح الأستاذ الشيخ محمـد عبده: ج ـ ١ ـ ص ٤٥ ـ ٤٦ مـطبعة كـرم ـ دمشق.

(٤) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ٥٤١.

أمير المؤمنين علي في بيت المال

دخل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) البصرة وتوجه إلى المسجد فصلى فيه وخطب خطبته المشهورة التي مرَّ ذكرها.. وبعد أن أصدر عفوه العام عن جميع من حاربه وأساء إليه إذ كان في عمله هذا غاية الحلم ونهاية الصفح ومكارم الأخلاق التي لم يسبقه إليها أحد إلا ابن عمه الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

توجه نحو بيت المال لينظر فيه، ويعطي الناس أعطياتهم كما ذكر ذلك المؤرخون وأصحاب السير.

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن أبي الأسود الدؤلي أنه قال:

لما ظهر علي (عليه السلام) يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار، وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال:

«غُرّي غيري..» مراراً...

ثم نظر إلى المال، وصعّد فيه بصره، وصوب، وقال: «أقسموه بين أصحابي، خمسمائة.. خمسمائة..».

فقسم المال بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً، ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً. - وستة آلاف ألف درهم - أي ستة ملايين.

وفي شرح النهج أيضاً عن حبة العرني[1] قسم علي (عليه السلام) بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة، خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة، فقال: يا أمير المؤمنين، كنت شاهداً معك بقلبي، وإن غاب عنك جسمي، فاعطني من الفيء شيئاً..

فدفع إليه أمير المؤمنين الذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة درهم، ولم يصب من الفيء شيئاً[2].

---

(١) حبة بن جوين العرني أبو قدامة الكوفي التابعي توفي سنة ٧٦ - أو - ٧٧ ذكره صاحب أسد الغابة وتاريخ بغداد للخطيب وحكى العلامة في الخلاصة عن رجال البرقي أنه ذكر في أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) من اليمن حبة بن جوين العرني. وقال الشيخ في رجاله في أصحاب علي، حبة بن جوين العرني كوفي وكنية حبة أبو واقد، وقيل: ابن جويا العرني. وفي طبقات ابن سعد: حبة بن جوين العرني من بجيلة توفي سنة ٧٦ في أول خلافة عبد الملك بن مروان. وفي تاريخ بغداد حبة أبو قدامة العرني الكوفي التابعي ورد المدائن في حياة حذيفة بن اليمان، وشهد بعد ذلك مع علي يوم النهروان ثم روى بسنده عن سلمة بن كهيل ما رأيت حبة العرني قط إلا يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إلا أن يكون يصلي أو يحدث.
وحكى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن الشيخ أبي القاسم البلخي - من شيوخ المعتزلة - أنه قال: روى حبة العرني عن علي (عليه السلام) أنه قال: أن الله عز وجل أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي، وميثاق كل منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبني.
وعن حبة العرني أيضاً: قال علي (عليه السلام) من أحبني كان معي أما أنك لو صمت الدهر كله وقمت الليل كله ثم قُتلت بين الصفا والمروة، أو قال: بين الركن والمقام لما بعثك الله إلا مع هواك بالغاً ما بلغ إن في جنة ففي جنة وإن في نار ففي نار.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ١ - ص ٢٥٠.

وفي تاريخ اليعقوبي: أعطى علي (عليه السلام) الناس بالسوية ـ عندما فرق المال الموجود في بيت مال البصرة ـ أعطى الناس بالسوية، لم يفضل أحد على أحد، وأعطى الموالي كما أعطى الصلبية، وقيل له في ذلك، فقال: «قرأت ما بين الدفتين، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا من هذا . .» وأخذ عودا من الأرض فوضعه بين أصبعيه[1] .

وفي تاريخ الطبري: لما فرغ علي من بيعة أهل البصرة، نظر في بيت المال، فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة، قسمها على من شهد معه الوقعة، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة وقال: لكم أن أظفركم الله عز وجل بالشام مثلها إلى أعطياتكم[2] .

وفي تاريخ الطبري أيضاً: جمع علي بن أبي طالب ما كان في العسكر من شيء، ثم بعث به إلى مسجد البصرة، أن من عرف شيئاً فليأخذه، إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان، فإنه مما بقي ما لم يعرف. خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عز وجل، لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفي شيء، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفل من السلطان[3] .

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: اتفقت الرواة كلها على أنه (عليه السلام)، قبض ما وجد في عسكر الجمل، من سلاح، ودابة، ومملوك، ومتاع، وعروض، فقسمه بين أصحابه، وأنهم قالوا له:

أقسم بيننا أهل البصرة، فاجعلهم رقيقاً . . ؟

فقال ـ علي ـ (عليه السلام): لا . .

فقالوا: فكيف تُحل لنا دماءهم . . !؟ وتُحرم علينا سبيهم . . ؟!

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ـ ٢ ـ ص ١٧٣ .

(٢) تاريخ الطبري: ج ـ ٤ ـ ص ٥٤١ .

(٣) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣ طبعة بيروت مؤسسة الأعلمي .

فقال (عليه السلام): «كيف يحل لكم ذرية ضعيفة، في دار هجرة وإسلام! أما ما أجلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأما ما وارت الدور، وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولا نصيب لكم في شيء منه».

فلما أكثروا ـ أي لجوا ـ عليه قال: «فأقرعوا على عائشة، لادفعها إلى من تصيبه القرعة».

فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين.. ثم انصرفوا[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ـ ١ ـ ص ٢٥٠.

دخول علي على عائشة في البصرة

ذكر الطبري في تاريخه أنه: دخل علي (عليه السلام) يوم الاثنين البصرة، فانتهى إلى المسجد، فصلى فيه، ثم راح إلى عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار عبدالله بن الخلف، وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف - وكان عبدالله قُتل مع عائشة، وعثمان قُتل مع علي - وصفية ابنة الحارث مختمرة[1] تبكي.

فلما رأته (عليه السلام) قالت:

يا علي، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبدالله منه...

فلم يرد عليها شيئاً.. ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها، وقعد عندها..

وفي رواية: أنه لم يسمع أحد من قول علي (عليه السلام) شيئاً.. إلا أن عائشة كانت امرأة عالية الصوت.. فقيل: فسمعنا كهيئة المعاذير - من عائشة - إني لم أفعل.. إني لم أفعل..

ويتابع الطبري: قال علي لعائشة: جبهتنا صفية، أما أني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم.

---

(١) مختمرة: أي وضعت الخمار على وجهها وهو الستر.

فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكف بغلته وقال: **أما لهممت . . . وأشار إلى الأبواب من الدار . . . أن افتح هذا الباب وأقتل من فيه . . . ثم هذا فأقتل من فيه . . . ثم هذا فأقتل من فيه . . .**

وكان أناس من الجرحى قد لجؤا إلى عائشة، فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم . . . فسكتت.

فخرج علي ـ من عند عائشة ـ فقال رجل من الأزد:

والله لا تفلتنا هذه المرأة . . .

فغضب علي، وقال: صه[1] ! لا تهتكن ستراً . . ولا تدخلن داراً . . ولا تهيجن امرأة بأذى . . وإن شتمن أعراضكم . . وسفهن أمراءكم . . وصلحاءكم . . فإنهن ضعاف . . ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وأنهن لمشركات . .

وإن الرجل ليكافىء في المرأة ويتناولها بالضرب، فيعير بها عقبه من بعده . .

ثم قال (عليه السلام): فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة، فانكل به شرار الناس. ثم مضى[2] . . .

أقول: وفعل علي (عليه السلام) هذا هو غاية الحلم ونهاية الصفح، والعفو عند المقدرة.

وفي مروج الذهب للمسعودي: دخل علي (عليه السلام) على عائشة في اليوم الثاني ـ من دخوله البصرة ـ ومعه الحسن والحسين، وباقي أولاده، وأولاد أخوته، وفتيان أهله من بني هاشم، وغيرهم من شيعته من همدان.

فلما بصرت به النسوان صحن في وجهه وقلن: يا قاتل الأحبة . . .

---

(١) وفي ابن الأثير ـ والنويري: «مه».

(٢) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ٥٣٩ ـ ٥٤٤ بيروت مؤسسة الأعلمي.

فقال (عليه السلام): لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت. . . وأشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان بن الحكم. . وعبدالله بن الزبير. . وعبدالله بن عامر، وغيرهم.

فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم، لما علموا من في البيت، مخافة أن يخرجوا منه فيغتالوه. . .

فقالت له عائشة: بعد خطب طويل كان بينهما: إني أحب أن أقيم معك فأسير إلى قتال عدوك عند سيرك.

فقال (عليه السلام): بل ارجعي إلى البيت الذي تركك فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). .

وسألته عائشة: أن يؤمن ابن اختها عبدالله بن الزبير. . فأمنه. .

وتكلم الحسن والحسين (عليه السلام) في مروان. . فأمنه. .

وأمن الوليد بن عقبة. . وولد عثمان. . وغيرهم من بني أمية. . وأمن الناس جميعاً.

وقد كان (عليه السلام) نادى يوم الوقعة: من ألقى سلاحه فهو آمن. . ومن دخل داره فهو آمن.

وفي مروج الذهب للمسعودي أيضاً عن المدائني أنه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأذن[1] فسأله عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه، وهو يقول:

لقد أوردتنا حومة الموت أمنا ... فلم تنصرف إلا ونحن رواء
أطعنا بني تيم لشقوة جدنا[2] ... وما تيم إلّا أعبد وإماء

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت؟ قل لا إله إلا الله. .

---

(١) مصطلم الأذن: أي مقطوع الأذن.

(٢) مراره: عائشة وطلحة لأنهما من بني تيم. لشقوة جدنا: معناه لسوء حظنا وتعاسته.

فقال يا ابن اللخناء إياي تأمر بالجزع عند الموت!؟ فوليت عنه متعجباً منه . .

فصاح بي: أدن مني ولقني الشهادة. فصرت إليه، فلما قربت منه استدناني، ثم التقم أذني فذهب بها . . فجعلت ألعنه وأدعو عليه . .

فقال لي: إذا صرت إلى أمك فقالت من فعل بك هذا؟! فقل لها: عمير بن الأهلب الضبي . . مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أمير المؤمنين[1] .

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج - ٢ - ص ٣٧٩.

أم المؤمنين عائشة بعد الهزيمة وحوارها مع ابن عباس

جلست أم المؤمنين عائشة بعد هزيمتها بـالبصرة في دار عبدالله بن خلف الخـزاعي التي أنزلهـا بها أمـير المؤمنين عـلي (عليه السـلام) لتكون مقراً لها ريثما يرجعها إلى المدينـة، إلى البيت الذي خـرجت منه بعـد أن كان قد حملها حماسها وحقدها الدفين وبغضها لعلي على ركـوب الأخطار وقيادة الجيوش، ناكبة عن الصراط.

جلست عائشة بالبصرة بعد هزيمتها تجتر ذكرياتها، ومـا مرَّ بهـا من أحـداث، وما قـامت به في حـربها الضروس التي ذهب ضحيتهـا آلاف القتلى من المسلمين.

جلست عـائشة بعـد المعركـة حائـرة مضـطربـة، لم تكن لتعـرف سفينتها.. إلى اين ستسير.. وعلى أي شاطىء سترسو...

جلست عائشة تفكر وجلة لما سيؤول إليه مصيرها المجهول، بعـد أن وجدت نفسها مهيضة الجناح.. وكانت قبل ذلك تأمر فتطاع.. بتمام الاحترام والاكبار.. تحوطها الهيبة التي أضفاهـا عليها زواجهـا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).. هذه الهيبـة التي استغلتها لحـرب علي بن أبي طـالب، بذكـائها وفـطنتها.. بـأنها أم المؤمنين.. وزوجـة الرسـول الأعظم.

وها هي بعدما خاضت معركة الجمل وباءت بالفشل، وضاقت طعم الهزيمة.. وصابها المر.. أصبحت كسيرة الفؤاد ذليلة.. لا يسمع لها قول.. ولا يطاع لها أمر.. ولا يعتدلها برأي خاصة بعد مقتل ابن عمها التيمي طلحة التي كانت قد أعدته لتسلم منصب الخلافة إذا تمكنت من اخضاع علي وقتله.

كذلك فتَّ في عضدها مقتل الزبير - زوج أختها أسماء - الذي كان أيضاً ركيزة كبيرة لهذه الحرب الظالمة - فالزبير لم يخرج لحرب علي يوم الجمل إلا طمعاً في الخلافة.

أصبحت عائشة بعد هزيمتها بالبصرة. وذكرها تلوكه الألسن، بأنها خرجت عن طورها، لم تصغ لناصح، ولم ترع حرمة لرسول الله.. حيث أمرها أن تقر في بيتها فتناست وخرجت تقطع الفيافي لتقود جيش الفتنة وتخوض حرب الجمل مع أعداء علي، تلك الحرب التي لم يجنوا من ورائها سوى القتل والعار وغضب الجبار...

أصبحت عائشة بعد هزيمتها وشأنها في غاية الازدراء، إذ كانت اللهجة العامة في وقتها: ما للنساء وللحرب؟!

ولولا حلم علي بن أبي طالب، ومكارم أخلاقه، لكانت عائشة لقيت مصيراً مجهولاً قاتماً...

بل كان يمكن أن يكون أكثر من ذلك.. أن تتمزق أشلاؤها، وتتناثر أعضاؤها، بعد أن ركبت مركبها الخشن، وتعرضت لسهام المعركة وسيوفها، وحرابها، كبقية المقاتلين.

فأي شناعة.. وأي هول بعد هذا..!؟

ولقد جُرحت أم المؤمنين عائشة فعلاً فأصابها سهم طائش لم يضرها على ما تقول بعض الروايات.

أما وقد تبدد شملها، وقُتل رؤساء اتباعها طلحة والزبير وهما من ترجو أحدهما للخلافة والآخر ليكون بعده كما أسلفنا..

وبعد أن حاقت الهزيمة بجيشها. . وبعد أن أنزلها أمير المؤمنين علي بيتاً من بيوت البصرة معززة مكرمة، أرسل إليها ابن عمه عبدالله بن العباس ليكلمها بأن أصبح لزاماً عليها أن تسدل الحجاب الذي كان مضروباً عليها. . وأن ترجع إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقر فيه (وقرن في بيوتكن)[1].

ذكر المسعودي في تاريخه أنه: بعث علي بن أبي طالب بعبدالله بن عباس إلى عائشة، يأمرها بالخروج إلى المدينة، فدخل عليها بغير أذنها، واجتذب وسادة فجلس عليها فقالت له: يا ابن عباس أخطأت السنة المأمور بها، دخلت إلينا بغير إذننا، وجلست على رحلنا بغير أمرنا.

فقال لها: لو كنت في البيت الذي خلفك فيه رسول الله ما دخلنا إلا بإذنك، ولا جلسنا على رحلك إلا بأمرك، وأن أمير المؤمنين يأمرك بسرعة الأوبة، والتأهب للخروج إلى المدينة.

فقالت: أبيتُ ما قلت، وخالفتُ ما وصفتَ. فمضى إلى علي فخبره بامتناعها، فرده إليها، وقال: أن أمير المؤمنين يعزم عليك أن ترجعي. .

فأنعمت، وأجابت إلى الخروج[2].

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي عن ابن عباس أنه قال: لما انقضى أمر الجمل دعا علي بن أبي طالب فقال أين ابن عباس؟

قال ابن عباس: فدُعيت له من كل ناحية، فأقبلت إليه. .

فقال ـ علي ـ : أئت هذه المرأة ـ عائشة ـ فلترجع إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقر فيه.

قال ابن عباس: فجئت ـ إليها ـ فاستأذنت عليها، فلم تأذن لي،

---

(١) سورة الأحزاب: آية ـ ٣٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج ـ ٢ ـ ص ٣٧٧.

فدخلت بلا إذن.. ومددت يدي إلى وسادة في البيت، فجلست عليها.

فقالت ـ عائشة ـ: تالله يا بن عباس ما رأيت مثلك..!

تدخل بيتنا بلا إذننا.. وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا؟!

فقلت: والله ما هو بيتك.. ولا بيتك إلا الذي أمرك الله أن تقري فيه.. فلم تفعلي...

ثم قال لها: أن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه..

قالت: رحم الله أمير المؤمنين.. ذاك عمر بن الخطاب..

قلت: نعم.. وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب..

قالت: أبيتُ.. أبيتُ..

قلت: ما كان آباؤك إلا فواق ناقة بكيئة[1].. ثم صرت ما تحلين ولا تمرين[2].. ولا تأمرين، ولا تنهين..

قال ابن عباس: فبكت عائشة حتى علا نشيجها.

ثم قالت: نعم.. ارجع فإن أبغض البلدان إلي بلد أنتم فيه.

قلت: أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أما.. وجعلنا أباك لهم صديقاً..!

قالت عائشة: أتمن علي برسول الله يا بن عباس؟!

قلت: نعم.. نمن عليك بمن لو كان منك بمنزلته منا.. لمننت به علينا..!

وفي رواية أن ابن عباس قال لها بعد هذا الحديث: ونحن لحمه ودمه، ومنه واليه، وما أنت إلا حشية ـ أي زوجة ـ من تسع حشايا،

---

(١) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت لأن الناقة تحلب ثم تترك لتدر، ثم تحلب ثانياً.. والبكيئة: الناقة القليلة اللبن.

(٢) يقال: فلان ما يمر ومايحل: أي ما يتكلم بحلو ولا مر. ولا يفعل فعلاً حلواً ولا مراً.

فصرت تأمرين فتطاعين.. وتدعين فتجابين.. الخ.

قال ابن عباس: فأتيت علياً فأخبرته ـ بمقالتها وما رددت عليها ـ فقبل بين عيني وقال: بأبي ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم[1].

وروى الكشي في رجاله بسنده، والمفيد في الرسالة الكافية بسندين أحدهما من طريق العامة والآخر من طريق الخاصة، وابن أبي الحديد في شرح النهج، والسيد محسن الأمين في أعيانه، حوار ابن عباس مع عائشة كما ذكرناه آنفاً، مع اختلاف بسيط بألفاظ متقاربة، وزادوا عليه، أن ابن عباس قال لعائشة: أما والله إن كان إباؤك فيه إلا قصير المدة، عظيم التبعة، ظاهر الشؤم، بين النكد، وما كان إباؤك فيه إلا حلب نشاة، حتى صرتِ، ما تأمرين ولا تنهين، ولا ترفعين ولا تضعين، وما كنت إلا كما قال أخو بني أسد:

ما زال إهداء القصائد بيننا ... شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تُركتِ كأن صوتك بينهم ... في كل مجمعة طنين ذباب

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ج ـ ٤ ـ ص ٣٢٩ وقد ذكر هذا الحوار أكثر المؤرخين.



تجهيز عائشة وعودتها إلى المدينة

انتهت معركة الجمل...
وأغلقت البصرة دورها على الحزن والأسى...
وآب الناس فيها إلى نفوسهم بعد طول اضطراب...
ومسح أهلها أدمع المآسي التي أعقبت القتال...

ففي دروبها انزوى المنهزمون الذين أبقت الحرب على حياتهم يجترون الحزن والندم على قتالهم خليفة الحق وأخوة لهم في الدين... خاصة بعد ما أولاهم الإمام أمير المؤمنين على (عليه السلام) من كرم أخلاقه.. العفو العام.. متناسياً إساءتهم إليه وتمردهم عليه...

بهذا كانت سيرته فيهم ـ كسيرة ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة في قريش ـ إذ اتسع حلم علي (عليه السلام) فشمل الجميع ممن حاربه.. من قادة وأفراد وعلى رأسهم أم المؤمنين عائشة التي غالت في عدائه.. والتي أججت نار حرب الجمل واصلت أمة محمد.. بها.. فقد أغضى علي بن أبي طالب عن عائشة وعما فعلته في ماضيها وحاضرها المليء بالضغينة والحقد عليه، وأرسل إليها يأمرها بالتعجل بالرحيل من البصرة.. وقلة العرجة.. والرجوع إلى المدينة المنورة، إلى البيت الذي خلفها فيه رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجهز لها مركباً محاطاً بالاعزاز والاكرام.

ذكر الطبري في تاريخه: جهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها، من مركب أو زاد أو متاع.

وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها ـ لحربه وقتاله ـ إلا من أحب المقام.

واختار علي بن أبي طالب لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات.

وقال علي لأخيها محمد بن أبي بكر: تجهز يا محمد.. فبلّغها.

فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها، حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم، وقالت:

يا بَني، تعتّب بعضنا على بعض استبطاءً واستزادة، فلا يعتدَّنَّ أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك. إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وأنه عندي على معتبتي من الأخيار...

وخرجت عائشة يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها يوماً[1].

وذكر المسعودي في مروجه: خرجت عائشة من البصرة، وقد بعث معها علي بن أبي طالب أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر، وثلاثين رجلاً، وعشرين امرأة من ذوات الدين من عبد القيس، وهمدان وغيرهما، ألبسهن العمائم، وقلدهن السيوف...

وقال لهن: لا تعلمن عائشة أنكن نسوة... وتلثمن كأنكن رجال، وكنَّ اللاتي تلين خدمتها وحملها.

فلما أتت المدينة قيل لها: كيف رأيتِ مسيركِ؟

---

(١) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ٥٤٧ طبعة بيروت مؤسسة الأعلمي.

قالت: كنت بخير والله، لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر، ولكن بعث معي رجالاً ... أنكرتهم ... فعرفها النسوة أمرهن ...

فسجدت عائشة وقالت: ما ازددت والله يا ابن أبي طالب إلا كرماً..!

وودت أني لم أخرج وإن أصابتني كيت وكيت من أمور ذكرتها شاقة[1].

وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة: أنه بعدما انتهت معركة الجمل..

- أتي محمد بن أبي بكر، فدخل على أخته عائشة (رض)، فقال لها: أما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «علي مع الحق.. والحق مع علي..»

ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان؟!

ثم دخل عليهما علي، فسلم وقال: - موجهاً كلامه (عليه السلام) إلى عائشة -

يا صاحبة الهودج، قد أمرك الله أن تقعدي في بيتك، ثم خرجت تقاتلين..! أترتحلين؟

قالت - عائشة - أرتحل.

فبعث معها علي (عليه السلام) أربعين امرأة، وأمرهن أن يلبسن العمائم، ويتقلدن السيوف، وأن يكن من اللذين يلينها، ولا تطلع على أنهن نسوة.

فجعلت عائشة تقول في الطريق:

فعل الله في ابن أبي طالب.. وفعل.. بعث معي الرجال!..

فلما قدمن المدينة، وضعن العمائم والسيوف. ودخلن عليها..

---

(١) مروج الذهب للمسعودي - ج - ص ٣٧٩.

فقالت : جزى الله ابن أبي طالب الجنة[1] .

وذكر الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه الإمام علي بن أبي طالب:

أنه عندما أرادت عائشة الارتحال من البصرة إلى المدينة، جهزها الإمام علي وأعد لها قافلة طويلة فلقد أرسل معها حرساً ضخماً من عبد القيس فيهن أربعين فرداً من النساء وأمرهن بالقيام على شأنها وخدمتها كالعبيد والإماء، ثم منحها إثني عشر ألفاً من المال تستعين بها على الزمان. وكانت هبة سخية حقاً، ومنة أخرى من مننه (عليه السلام) الكثيرة التي طوق بها جيد عائشة على كره منها.

على أنها ـ أي عائشة ـ مع ما أكرمها به الإمام علي، لم تنس أن تناله بمقذع اللفظ وهي ببعض الطريق وظلت كلما وقعت عينها على فرد من حرسها تهتف برمة تظهر سخطها: وتقول: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي. !

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج ـ ١ ـ ص ٧٨.

حال أم المؤمنين عائشة بعد عودتها من البصرة

وأخيرا . . أن أم المؤمنين السيدة عائشة بعد أن لم تفلح بانتفاضتها على خصمها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) باقصائه عن الخلافة . . أو قتله . . .

وبعد الحرب الطاحنة يوم الجمل في البصرة التي أضرمتها ـ وإن سكن ضرام هذه الحرب لكن دخانها عم المسلمين ـ .

وبعد أن أرجعها علي إلى المدينة معززة مكرمة ولم يكن لديها من طاقة تحاربه فيها . . . بقيت في المدينة منطوية على نفسها تتربص الدوائر للايقاع به . . . وتتحين الفرص للنيل منه ومن أهل بيته الكرام .

ولما بلغها قتل علي (عليه السلام) لم تتمالك من اخفاء حقدها الدفين عليه بل سجدت لله شكراً .

جاء في مقاتل الطالبيين لِأبي الفرج الأصفهاني بعد سلسلة من الإسناد :

لما أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين (عليه السلام) تمثلت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟

فقيل لها: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أم سلمة[1]: ألعلي تقولين هذا؟!

فقالت: إذا نسيت فذكروني.. ثم تمثلت:

ما زال اهداء القصائد بيننا باسم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركت كأن قولك فيهم في كل مجتمع طنين ذباب

وكان الذي جاءها بنعيه سفيان بن أبي أمية بن عبد شمس.

وفي مقاتل الطالبين أيضاً: عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري قال:

لما أن جاء عائشة خبر قتل علي (عليه السلام)، سجدت[2].

أقول: ليت شعري.. هل انتهت خصومة أم المؤمنين وعداوتها لعلي بن أبي طالب.. بقتله..؟ كما تمثلت بقولها: فألقت عصاها.. الخ أم لا...

كلا.. إنما نجد أن آفة الحقد والكراهية لعلي وأهل بيته الكرام بقيت كامنة في حنايا صدرها يخفيها العجز وتظهرها القوة.

فقد أظهرت بعض هذا الحقد وتلك الكراهية عند وفاة الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) بالسم الذي دسه إليه معاوية بن أبي سفيان بواسطة جعدة بنت الأشعث الكندي زوجة الحسن. كما سيأتي ذلك في باب لاحق من هذا الكتاب انشاء الله.

وجاء في تاريخ اليعقوبي: أنه لما حضرت الوفاة الحسن بن علي قال لأخيه الحسين بن علي (عليهما السلام): يا أخي أن هذه آخر ثلاث مرات سُقيت فيها السم ولم أسقه مثل مرتي هذه، وأنا ميت من يومي

---

(١) زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد القرشية المخزومية ربيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمها أم سلمة أم المؤمنين.

(٢) مقاتل الطالبين: ص ٤٢ ـ ٤٣.

هذا، فإذا أنا مت فادفني مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فما أحد أولى بقربه مني.. إلا أن تمنع من ذلـك.. فلا تسفـك فيه محجمـة دم.

ثم يتابع اليعقوبي: ثم أخرج نعش الحسن يُـراد به قـبر رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم). فـركب مــروان بن الحكم، وسعيـد بن العاص فمنعا من ذلك، حتى كادت تقع فتنة...

وركبت عائشة بغلة شهباء، وقالت: بيتي لا آذن فيه لأحد..

فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقال لها: يا عمة، مـا غسلنا رؤوسنــا من يـوم الجمـــل الأحمـر، أتــريـدين أن يقــال: يــوم البغلة الشهباء..؟! فرجعت[1].

وفي مقاتل الطالبين عن يحيى بن الحسن أنه قال: سمعت علي بن طاهر بن زيـد يقول: لما أرادوا دفن الحسن بن علي ركبت عـائشة بغـلاً واستنفـرت بني أميـة، مـروان بن الحكم، ومن كـان هنـاك منهم، ومن حشمهم، وهو القائل:

فيوماً على بغل ويوماً على جمل[2]

وفي الإرشـاد للشيخ المفيـد: لما مضى الحسن لسبيله غسله أخـوه الحسين (عليهما السلام)، وكفنه وحمله على سريره. ولم يشك مروان ومن معـه من بني أمية أنهم سيـدفنونـه عند رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم).. فتجمعوا له ولبسوا السلاح..

فلما توجه به الحسين (عليه السلام) إلى قبر جده رسول الله ليجدد به عهداً، أقبلوا إليهم في جمعهم..

ولحقتهم عائشة على بغل، وهي تقول: ما لي ولكم..!؟ تريدون

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ـ ٢ ـ ص ٢١٤.
(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ٧٥.

أن تدخلوا بيتي من لا أحب..؟[1].

إلى آخر ما هنالك من الروايات الدالة على أن السيدة عائشة بقيت طيلة حياتها تضمر العداء والبغض لعلي بن أبي طالب وذريته الأطهار.. ولم تقعدها هزيمتها في حرب الجمل.. وما جرت من ويلات. بل بقيت على ما هي عليه غفر الله لها.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص ١٩٣.

خلفيات معركة الجمل

تـركت معركـة الجمل خلفيـات كان لهـا الأثـر الفعـال في مسـيرة التاريخ الإسلامي، وآثار لا تمحى مهما تطاولت الأيـام، ومرت الشهـور والأعوام.

معركة الجمل كان لها نتائج عديدة سيئة.. منها مباشرة على المدى القريب.. ومنها غـير مباشرة، استمـرت.. واستمرت إلى يـومنا هـذا، تكوي المسلمين الصالحين بنارها، وتطعمهم من صاب علقمها...

من آثار معركة الجمل المبـاشرة... تمكين معـاوية بن أبي سفيـان من أن يـطل برأسـه إلى ساحـة الخـلافـة، ويـطالب بـأن يكـون خليفـة للمسلمين...

فمعاوية بن أبي سفيان قبل حرب الجمل ما كان يستطيع أن يبدي ذلك إذ ليس له سابقة في الإسلام، ولا جهاد في أيـام رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم)....

بـل بالعكس تمـاماً فـإنه حـارب رسـول الله إلى أن فتـح الله عـلى رسـوله محمـد (صلوات الله عليه وآلـه وسلم) مكة المكـرمـة سنـة ثـمان للهجـرة.. وعفا الـرسول عن جميـع أهلها وسـماهم الطلقـاء... فكان معاوية وأبوه من جملة الطلقاء.

هـذا أولاً . . . وثانيـاً . . . أن خصم معـاويـة بن أبي سفيـان هـو علي بن أبي طالب (عليه السلام) . . العـظيم في الإسـلام . . صـاحب السابقة التي لا ينازع فيها . . وأول من جـاهد في سبيـل الله، وذب عن رسول الله، فكان معه (صلوات الله عليه وآلـه وسلم) جنباً إلى جنب في جميع حروبه ومغازيه لارساء قواعد الرسالة . . على أن علي بن أبي طالب صهر النبي محمد رسول الله وابن عمه ووصيه وخليفته من بعده . . .

فكيف يمكن لمعاوية أن يـطلب من الناس تنحيـة علي عن الخـلافة وتنصيبه هو خليفة للمسلمين!

هذا حال معاوية قبل معركة الجمل . . لكن بعـد معركـة الجمل، وخروج ثلة ممن كان لها ثقل في الإسلام . . أمثال: الـزبير بن العـوام . . وطلحة بن عبيدالله . . وعائشة بنت أبي بكـر أم المؤمنين . . عـلى علي بن أبي طالب ومحاربته . . صار بإمكان معاوية أن يدلي بدلوه في معارضة علي والتمرد عليه .

لقد كان معاوية من المحـرضين للزبـير وطلحة عـلى حرب عـلي، والخروج عليه، فتظاهر بأنه يدعو لهما بالخلافة . . ويشهد بذلـك رسالتـه إلى الزبير بن العوام كما جاء في شرح النهج :

بعث معاوية رجلاً من بني عميس ، وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام، وفيه:

بسم الله الـرحمن الرحيم. لعبـدالله الـزبـير أمـير المؤمنـين . . من معاوية بن أبي سفيان:

سلام عليك، أما بعد، فإني قد بايعت لك أهل الشام، فـأجابـوا واستوسقوا[1] كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقـك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصريين . .

---

(١) استوسقوا: استجمعوا، وانضموا.

وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك، فاظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير. أظفركما الله، وخذل مناوئكما.

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سُر به، وأعلم به طلحة وأقرأه إياه، فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي (عليه السلام)[1].

لقد كان معاوية في واقعه لا يريد الخلافة للزبير ومن بعده لطلحة، بل كان يريد جر النار إلى قرصه، وتمهيد السبيل أمامه ليتمكن من نيل الخلافة.

وما كان تحريض معاوية للزبير على حرب علي والمطالبة بالخلافة إلا تمهيداً لنفسه كما أسلفنا.

ومن نتائج حرب الجمل أيضاً: التشجيع على الباطل، والتمرد على الحق ومناصرة الضلال، وأول جرأة اجترأها مسلم ضد أخيه المسلم...

وكان فيما سبق المسلم عضد لأخيه، ودرع له، يقي عنه الشر ونكبات الأعداء والسيف القاطع ضد الظلم والطغيان.

لكن بعد معركة الجمل انقلبت المقاييس الاجتماعية والخلقية.. فسهل بعد هذه المعركة أن يحارب المسلمون بعضهم بعضاً وأن يسفك المسلم دم أخيه، ويرفع السيف في وجهه بعد أن كان قبلاً لا يرفع سيفه إلا إعزازاً لدين الله، وانتصاراً لرسول الله ورسالته المقدسة ضد الملحدين والمشركين والمارقين أعداء أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولكن بكل أسف نقول: أنه بعد هذه المعركة أفرزت الأيام

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج - ١ - ص ٢٣١.

إفرازات عديدة سيئة جرت الويل على المسلمين الصالحين. . إذ جعلت طلاب الدنيا هم القادة والسادة. . والمسلمين المجاهدين أصحاب رسول الله يذوقون الأمرين ممن كانت آفة الشر مقيمة في نفوسهم، أمثال معاوية. . ومروان بن الحكم وغيرهما.

وقد اضطر الصحابة الأخيار إلى النزول إلى الحرب مجدداً، لارجاع الحق إلى أهله، وانكار المنكر، والثورة على الظلم والطغيان. فما كان من هؤلاء الصحابة أمثال عمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، وأخيه عثمان بن حنيف، وهاشم المرقال، وغيرهم الكثير إلا إن اضطروا إلى النزول لحرب الناكثين والمتمردين على خليفة رسول الله أمير المؤمنين علي، وذلك لتثبيت وصايا الرسول لما سمعوه من قوله في علي «علي مع الحق والحق مع علي».

لم يكن في وسع هؤلاء الصحابة الصالحين إلا رفع الصوت بالحق عالياً في وجه الطغيان وانكار المنكر، وضرب الفئآت الباغية مهما تقلبت الظروف وتكاثرت الحوادث، فعملوا جهدهم (رضوان الله عليهم) حتى قضوا في مرضاة الله راضين مرضيين.

ومن خلفيات معركة الجمل التي استمرت إلى أمد بعيد. . هو تغيير مفاهيم الخلافة الإسلامية ـ التي هي مركز ديني إسلامي شأنه النظر في مصالح المسلمين ورعايتها، وتطبيق شريعة الله في الأرض ـ إلى جعلها سلطنة دنيوية شبيهة بقيصرية الروم، أو كسروية الفرس، حتى لا تمت للإسلام بصلة، حتى أصبحت الخلافة الإسلامية. . امبراطورية خالية من أي روحانية حقيقية، سوى ما يظهره السلاطين من الطقوس الإسلامية، ويمارسونها لأجل تثبيت سلطانهم.

هذا ما كان من ملوك بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي حارب الحق. . وقتل الصالحين، ومن بعده ولده يزيد الفاسق الكافر الفاجر ـ الذي جلس على كرسي الخلافة الإسلامية مع أنه لم يدخل الإيمان قلبه لقوله بعد معركة كربلاء، وقتل الصلحاء. .

لعبت هـاشم بـالملك فـلا خـبر جـاء ولا وحي نـزل

كـذلك بقيـة ملوك بني أمية كمـروان بن الحكم طريـد رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وأولاد مـروان وذريتهم المستهـترة بـالـدين وقيمه باستثناء عمر بن عبـد العزيـز الذي اتسم بـالصلاح اجمـالاً عكس منبته الخبيث كما ذكره بذلك الشريف الرضي بقوله من قصيدة.

غير أني أقول أنك قد طبت وإن لم يطب ولم يزك بيتك .

ومن خلفيـات معركـة الجمل البعيـدة المدى أيضـاً: مـا كـان من استشراء الفسـاد، والخلاعـة، والفجور في زمن بني أميـة. . حتى جعلوا من المدينة المنورة ـ المدينة المقدسة التي هي حاضرة الإسلام ومقر هجـرة الرسول الأعظم ومثوى رفاته ـ مركزاً للغنـاء والمغنين. . حتى أنـه اشتهر مغنيوا المدينة بذلك.

بعد أن كانت محط أنظار العالم، ومهوى أفئدة المسلمـين من حيث القداسة والروحانية الدينية.

وكـان ذلك من بني أميـة حتى لا يناهضهم أحـد، أو ينـازعهم في سلطانهم منـازع لأن أهل المـدينة في الأصـل هم أهل الحـل والـربط في ترشيح الخليفة. . ومبايعته.

ولأجـل هذا عمـل بنو أميـة على افسـاد مجتمـع الحجـاز، لينحـل خلقيـاً، وتذهب عنـه الروعـة الدينيـة التي أضفاهـا الإسلام وبخـاصـة المجتمع المكي. . والمدني. . الـذي فسد جله وانحـل في العصر الأموي وما بعده.

وقـد اشتهر المجتمـع الحجازي بمجـالس الغناء والـطرب والمجون فـظهر فيهم من المغنـين الكثيرأمثـال: ابن سريـج، والغـريض، ومعبـد الحجازيين. . على ما رواه صاحب الأغاني.

وهذا الانحلال نتيجة سياسة الأمويين التي أبعدت الصـالحين من المسلمـين، وعزلت الأشراف من الحجـازيين عن مهـام الملك والسلطان

وشؤون السياسة، وادارة الحكم، وحبست الأكثرية في فراغ مميت، أفسد أكثرية الشباب. . .

والعامل الأكبر في انحلال الغالبية من الشباب في ذلك العصر هي الأموال التي أغدقها حكام بني أمية في سخاء مسرف على هؤلاء الشباب في المجتمعين ـ المكي. . والمدني ـ . وبُذلت عليهم هذه الأموال من دون أن يلتفت أحد من أبناء هاتين المدينتين الذين غرقوا في اللهو والترف حتى سلكوا طريق الضلال وهم لا يشعرون.

وبذلك قضى بنو أمية على تلك الروعة الدينية الهائلة والتراث العظيم. . وعلى نفسية الشباب المسلم فكان من نتيجة ذلك أن اكتفت غالبية المجتمع الحجازي في اللهو والترف والعبث. . وراحوا يقضون أيامهم في الغناء والمجون، بدلاً من النظر في الأمور الدينية والقضايا السياسية التي تهم المجتمع وترفع من مستواه.

ولا يمكننا في هذا المجال الضيق، الذي لسنا نحن بصدده الآن إلا القول من أن تشجيع حياة المجون في العاصمتين الدينتين ـ مكة والمدينة ـ إنما قصد به الأمويون القضاء على ما لهاتين المدينتين من نفوذ ديني كبير، وسيطرة روحية نافذة في العالم الإسلامي أجمع.

وقد أشار إلى هذا المعنى العلامة الشيخ عبدالله العلايلي في كتابه ـ أشعة من حياة الحسين ـ على ما ذكرته الدكتورة بنت الشاطىء: «أن الأمويين قد استأجروا طوائف من الشعراء، والمغنين، والمخنثين، من بينهم عمر بن أبي ربيعة، لأجل أن يمسحوا عاصمتي الدين ـ مكة والمدينة ـ بمسحة لا تليق بهما، ولا تجعلهما صالحتين للزعامة الدينية» وساق هنا حادثة الأخطل الشاعر النصراني[1] «الذي استخدموه ـ منذ

---

(١) الأخطل: الشاعر النصراني المشهور، استخدمه معاوية بن أبي سفيان لمصالحه الشخصية في هجاء الأنصار ـ أهل مدينة الرسول ـ فقال الأخطل قصيدة طويلة منها:

خلوا المكارم لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النجار
ذهبت قريش بالسماحة والندى ... واللؤم تحت عمائم الأنصار

عهد معاوية ـ في الحرب الكلامية التي أرادوا بها أن يخضدوا من شوكة المدينة، ويقضوا على الطبقة الدينية المحترمة، ليخلصوا من سيطرتها»[1] .

وبعد هذه الجولة القصيرة في أفق التاريخ، والنظر في خلفيات معركة الجمل وما أعقبته من مساوىء مباشرة وغير مباشرة بعيدة المدى.

لا يمكننا إلا القول: صحيح أن المجتمع الحجازي بغالبيته انصرف في العصر الأموي عن الإشتغال بالأمور العامة من سياسية وادارية التي أبعد عنها عمداً.. وعكف على حياته الخاصة يقضيها بالعبث والمجون في ظل طائفة خاصة من الشباب المترفين كما أسلفنا..

لكن بقيت إلى جانبهم في ذلك المجتمع بقية صالحة، لم يجرفها تيار الخلاعة والفساد، ولم تبع ضمائرها بالأموال.. بل بقيت تناضل، وتشارك في الحياة العامة.. رغم مناوئيها.. فكرياً، وسياسياً، وعسكرياً دفاعاً عن بيضة الإسلام، مشاركة فعالة وعاها التاريخ.

فكان الحجاز لمدة طويلة مركز المعارضة القوية التي دوخت الأمويين وكلفتهم أثماناً باهظة..

وما ذلك إلا بفضل هذه البقية الصالحة التي أشرنا إليها، والتي جاهدت الظلم والطغيان جهاداً عنيفاً في سبيل الاحتفاظ بالمنزلة الروحية والخلقية والتراث العظيم الذي خلفه لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولا يمكننا أيضاً: إلا القول: أنه وإن لم توفق هذه الفئة المؤمنة في جهادها وانتفاضاتها عسكرياً ـ لقوة الخصم باستيلائه على الحكم ـ لكنها والحق يقال: أنها استطاعت أن تزعزع أركان دولة بني أمية الفاسدة الظالمة بتقصير مدة ملكها.

---

(١) راجع كتاب أشعة من حياة الحسين: ص ٤٧ للعلامة الشيخ عبدالله العلايلي. وتراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطىء: ص ٩٦٣.

ومن انتفاضات البقية الصالحة التي ذكرناها ضد الظلم والطغيان وحفاظاً على الإسلام ثورة الحسين بن علي (عليهما السلام)، ومعركة كربلاء الشهيرة سنة ٦١ للهجرة عندما تمادى الأمويون في غيهم وفسادهم، وأصبح الدين لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه...

كذلك انتفاضة أهل المدينة ووقعة الحرة سنة ٦٣ هجرية التي قُتل فيها خلق كثير من أهل مدينة الرسول، واستباح الجيش الأموي اليزيدي أموال أهل المدينة، وأعراضها، ولم يراعوا حرمة لقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورفاته المقدسة، بل استباحوا فيها من الحرمات ما استباحوا حتى سُميت وقعة الحرة... إلى آخر ما هنالك من الانتفاضات التي كان يقوم بها الأحرار من الحجازيين وغيرهم من المسلمين التي لا مجال لذكرها الآن والتاريخ شاهد على ذلك.

كتاب أمير المؤمنين علي إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة

انتهت حرب الجمل ودخل علي (عليه السلام) إلى البصرة مع أصحابه ظافراً بعد معركة طاحنة قُتل فيها الكثير من المسلمين وعلى رأسهم طلحة والزبير الذين قادا جيش الفتنة بأمرة عائشة أم المؤمنين. . التي أعادها الإمام علي إلى المدينة معززة مكرمة.

وبعد أن دخل (عليه السلام) إلى البصرة وفرق ما كان في بيت المال على المستحقين. . وأصدر عفوه العام. . واستتب الأمر له فيها، كتب إلى أهل الكوفة كتاباً يخبرهم بأن الله فتح عليه البصرة. . ويشرح لهم حال من حاربه من الناكثين وأهل الردة من قريش وغيرهم. . وأنه عليه السلام أقام عليهم الحجة . . فأبوا إلّا القتال، والتمادي في الغي. . وأنه كان داعية حق يهدي إلى الصراط المستقيم. . وأنه متوجه إليهم بعد أن استعمل على البصرة ابن عمه عبدالله بن العباس (رضي الله) عنه.

ذكر الشيخ المفيد في ارشاده كتاب أمير المؤمنين علي إلى أهل الكوفة وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، إلى أهل الكوفة.

سلام عليكم.. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو...

أما بعد.. فإن الله حكم عدل.. لا يغير ما بقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال..

أخبركم عنا.. وعمن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن تأشب[1] إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير، ونكثهم صفقة إيمانهم، فنهضت من المدينة حين انتهى إلي خبر من سار إليها - إلى البصرة - وجماعتهم، وفعلوا بعاملي عثمان بن حنيف، حتى قدمت ذا قار. فبعثت الحسن بن علي، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد.. فاستنفرتكم بحق الله، وحق رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحقي.. فأقبل إلي إخوانكم سراعاً حتى قدموا علي، فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة.. فاعذرت بالدعاء.. وقمت بالحجة.. وأقلت العثرة والزلة من أهل الردة من قريش وغيرهم.. واستتبتهم من نكثهم بيعتي، وعهد الله عليهم... فأبوا إلا قتالي، وقتال من معي، والتمادي في الغي.

فناهضتهم بالجهاد، وقتل الله من قتل منهم، ناكثاً، وولى من ولى إلى مصرهم...

وقُتل طلحة والزبير على نكثهما، وشقاقهما...
وكانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر...
فخذلوا... وادبروا... وتقطعت بهم الأسباب...

فلما رأوا ما حل بهم، سألوني العفو عنهم، فقبلت منهم، وغمدت السيف عنهم.. وأجريت الحق والسنة فيهم. واستعملت عبدالله بن العباس على البصرة. وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

---

(١) التأشب: التجمع من هنا وهنا.. يقال: جاء فلان فيمن تأشب إليه: أي انضم إليه والتف عليه. لسان العرب لابن منظور.

وقد بعثت إليكم زفر بن قيس الجعفي لتسألوه، فيخبركم عنا.. وعنهم.. ويردهم الحق علينا[1] ورد الله لهم وهم كارهون. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي تاريخ الطبري عن محمد وطلحة، قالا: كتب علي بن أبي طالب بالفتح إلى عامله بالكوفة حين استتب له الأمر في البصرة وهو:

من عبدالله علي أمير المؤمنين..

أما بعد، فإنا التقينا في النصف من جمادى الآخرة، بالخريبة، وهي فناء من أفنية البصرة...

وقُتل منا، ومنهم قتلى كثيرة... وأصيب ممن أصيب منا.. ثمامة بن المثنى، وهند بن عمرو، وعلباء بن الهيثم، وسيحان وزيد ابنا صوحان ومحدوج...

وكان الرسول زفر بن قيس إلى الكوفة بالبشارة في جمادي الآخرة سنة ٣٦.





الفصل

الثاني والستون



توجه أمير المؤمنين علي من البصرة إلى الكوفة

ذكر الطبري في تاريخه: أنه لما انتهت الحرب بالبصرة واستتب الأمر فيها لأمير المؤمنين علي، وأراد التوجه نحو الكوفة... أمرَّ عبدالله بن عباس على البصرة، وولى زياداً الخراج وبيت المال[1].

وفي أعيان الشيعة أيضاً: واستخلف أمير المؤمنين (عليه السلام) على البصرة ابن عباس، وولى زياداً الخراج وبيت المال، وتوجه إلى الكوفة.

ثم أن ابن عباس كتب إليه يذكر اختلاف أهل البصرة...
فأجابه أمير المؤمنين (عليه السلام): سأخبرك عن القوم:
«هم من بين مقيم لرغبة يرجوها... أو عقوبة يخشاها...

فارغب راغبهم بالعدل عليه.. والانصاف له.. والاحسان إليه..

وحل عقدة الخوف عن قلوبهم.. وأحسن إلى هذا الحي من ربيعة.. وكل من قبلك فأحسن إليهم ما استطعت انشاء الله.. والسلام. وكتب عبدالله بن أبي رافع في ذي القعدة سنة ٣٦.

---

(١) تاريخ الطبري: ج - ٤ - ص ٥٤٣.

وكتب (عليه السلام) إلى ابن عباس أيضاً:

أما بعد فانظر ما اجتمع عندك من غلات المسلمين، وفيئهم.. فاقسمه على من قبلك حتى تغنيهم، وابعث إلينا بما فضل نقسمه فيمن قبلنا والسلام.

وكتب (عليه السلام) إلى أمراء الجنود:

إن لكم عندي، أن لا احتجز دونكم سراً إلا في حرب.. ولا أطوي عنكم أمراً إلا في حكم.. ولا أؤخر حقاً لكم عن محله.. ولا أرزأكم شيئاً.. وأن تكونوا عندي في الحق سواء...

فإن أبيتم أن تستقيموا لي على ذلك، لم يكن أهون علي ممن فعل ذلك منكم.. ثم أعاقبه عقوبة لا يجد عندي فيها هوادة.

وكتب عليه السلام إلى أمراء الخراج:

ارحموا ترحموا... ولا تعذبوا خلق الله.. ولا تكلفوهم فوق طاقتهم.. وانصفوا الناس من أنفسكم.. واصبروا لحوائجهم.. فإنكم خزان الرعية.

لا تتخذن حجاباً.. ولا تحجبن أحداً عن حاجة. حتى ينهيها إليكم..

لا تأخذوا أحداً بأحد.. إلا كفيلاً عمن كفل عنه...

وإياكم وتأخير العمل، ودفع الخير. فإن في ذلك الندم.. والسلام[1].

---

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج - ١ - ص ٤٦٣ - ط دار التعارف للمطبوعات بيروت.

وصول أمير المؤمنين علي الكوفة

بعد أن خمدت نار الفتنة في البصرة.. تلك النار التي أججتها عائشة وأذكاها طلحة والزبير. وأمدها مروان بن الحكم بالوقود بمساعدة الطغمة الفاسدة من الأمويين الموتورين.

وبعد أن عفا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عمن عفا.. وارجع عائشة إلى المدينة.. ترك البصرة مع أصحابه متوجهاً إلى الكوفة.

وأنه (عليه السلام) ليدخل الكوفة بعدما أظفره الله باعدائه، ونصره على مناوئيه، يدخلها بكل تواضع.. فلا زهو الانتصار غيّر من مثله العليا وأخلاقه الفاضلة المستقاة من ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل نجده (عليه السلام) أصبح بعد الظفر والانتصار أشد تأبياً وأدنى تواضعاً وشكراً لله تعالى، كما عرفه الناس من ذي قبل داعية حق يهدي إلى سبيل الرشاد، والعدل والمساواة، وعدم التكبر والغرور.

ذكر المؤرخون وأصحاب السير: أن علياً (عليه السلام) عندما دخل الكوفة أقبل عليه أهلها مرحبين وقد هيأوا له دار الامارة لينزل بها. وأتوه بكل احترام وإجلال يسألونه عن رأيه في النزول.. حيث قالوا له:

يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ . . أتنزل القصر؟ ـ أي قصر الامارة ـ
فيجيبهم (عليه السلام) بكل تواضع مبتسماً كما عرفوه:
«قصر الخبال لا تنزلونيه».

لأن الدنيا كانت تافهة بنظره، بغيضة عنده.. وطالما سمعوا منه هذه الكلمات وهو يخاطب الدنيا بقوله:

«هيهات.. هيهات.. غري غيري.. لا حاجة لي فيك.. فعيشك قصير.. وخطرك يسير.. وأملك حقير».

لم يتغير (عليه السلام) عند النصر، بل راح يلقن الناس درساً كيف يكون كفاح النفس، وجهاد شهواتها.

ويأبى (عليه السلام) أن ينزل قصر الإمارة بل يأمر فيتوجه بركبه نحو الرحبة ـ وهي موضع بالكوفة ـ وينزل فيها. لأنه أراد تجنيب نفسه منازل الأبهة والإختيال.

فقصر الامارة كان قبل قدومه مقام فرقة من الطغاة ينزله أصحاب الجور والفساد.. ولهذا قال (عليه السلام): «قصر الخبال لا تنزلونيه».

والمشهور.. والذي عليه المعول أنه (عليه السلام) نزل بالكوفة في دار جعدة بن هبيرة المخزومي وهو ابن أخته أم هاني بنت أبي طالب.

ذكر السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة كيفية دخول أمير المؤمنين الكوفة:

«روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين بسنده أنه لما قدم أمير المؤمنين (عليه السلام) من البصرة إلى الكوفة، يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين ـ من الهجرة ـ وقد أعز الله نصره وأظهره على عدوه. ومعه أشراف الناس، وأهل البصرة، استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم، وأشرافهم، فدعوا له بالبركة، وقالوا:

يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ أتنزل القصر؟ ـ قصر الامارة ـ.
قال: «لا.. ولكني أنزل الرحبة وهي محله بالكوفة.

وفي طبقات ابن سعد: نزل علي الكوفة في الرحبة التي يقـال لها: رحبة علي. . في أخصاص كانت فيها، ولم ينزل القصر الذي كانت تنزله الولاة قبله».



أول خطبة خطبها أمير المؤمنين علي بالكوفة

روى المؤرخـون وأصحـاب السـير أن أمـير المؤمنـين عـلي (عليـه السـلام) بعد وصـوله الكـوفة تـوجه نحـو المسجـد الأعـظم فصـلى فيـه ركعتين، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليـه وصلى عـلى رسولـه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال:

«أما بعد يا أهل الكـوفة فـإن لكم في الإسلام فضـلاً ما لم تبـدلوا وتغيروا..

دعـوتكم إلى الحق فأجبتم.. وبـدأتم بـالمنكـر فغـيرتم.. إلا أن فضلكم فيما بينكم وبين الله.. فأما في الأحكام والقسم فأنتم أسـوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه.

إلا أن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمـل.. فأمـا اتباع الهوى فيصد عن الحق.. وأما طول الأمل فينسي الآخرة...

إلا أن الدنيا قـد ترحلت مـدبرة.. والآخـرة قد تـرحلت مقبلة، ولكـل واحدة منهن بنـون، فكونـوا من أبناء الآخـرة.. اليوم عمـل ولا حساب.. وغداً حساب ولا عمل.

الحمد لله الذي نصر وليه.. وخذل عدوه.. وأعز أنصار الحق.. وأذل الناكث المبطل..

عليكم بتقوى الله، وطاعة من أطاع الله، من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المتحلين المدعين المقبلين لنا. . يتفضلون بفضلنا، ويجاحدوننا أمرنا. . وينازعوننا حقنا. . ويدافعوا بنا عنه فقد ضاقوا وبال ما اجترحوا، فسوف يلقون غياً.

إلا أنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زار، فاهجروهم واسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا، ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي، وكان صاحب شرطته، فقال:

يا أمير المؤمنين والله أني لأرى الهجر وسماع المكروه لهم قليلاً، والله لإن أمرتنا لنقتلنهم. . .

فقال علي (عليه السلام): سبحان الله يا مال. .؟ جزت المدى وعدوت الحد، وأغرقت في النزع.

فقال ـ مالك ـ : يا أمير المؤمنين:

لبعض الغشم أبلغ في أمور تنوبك من مهادنة الأعادي

فقال علي (عليه السلام): هكذا قضى الله يا مال قال النفس بالنفس فما بال الغشم وقال تعالى: **﴿ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل أنه كان منصورا﴾**[1] والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه وذلك هو الغشم[2].

وعلى كل حال وإن لم يرضى مالك اليربوعي صاحب شرطته (عليه السلام) من أميره هذا العفو وهذا الإغضاء عمن قعد عن نصرته.

---

(١) سورة الإسراء: آية ـ ٣٣.
(٢) راجع أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين. والإرشاد للشيخ المفيد. والإمام علي بن أبي طالب للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود وغيرهم.

لكن أمير المؤمنين لم يكن ليستجيب لصاحب شرطته الذي أخذته الحمية فيسرف في القتل ويقتل غير القاتل.. فكيف يقتل من تقاعس عن نصرته!.

صحيح أنه (عليه السلام) كان قليل الاحتفال بالدنيا وبهارجها لا يبطره نصر ولا جاه.. لكنه كان لا ينام على هضم فيدع حق الأمة نهباً مضيعاً بين نوازع الهوى..

كان (عليه السلام) يصفح عند ما يجار على حقوقه الخاصة شأنه فيما مضى بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).. لكنه (عليه السلام) في حق الله ليس بالصافح ولا المتسامح. فإن الناكثين بيعته إنما اجترؤا على حق الأمة وفرقوا كلمة المسلمين بعد الاجتماع وثلموا في دين الله ثلمة غدت صعبة الالتئام فألقمهم (عليه السلام) بظلمهم السيف وأنالهم ما يستحقون.



لماذا اتخذ أمير المؤمنين علي الكوفة مقراً لخلافته

فازت مدينة الكوفة بالرئاسة.. وأصبحت الوارثة لمدينة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تأخرت عن مكان الصدارة بعد أن كانت المقر السياسي الهام والمركز الديني العظيم لجميع الأقطار الإسلامية.

أصبحت الكوفة عاصمة الديار الإسلامية بعدما اتخذها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) مقراً لخلافته ومركزاً لجنده...

قد يتساءل البعض.. لماذا اتخذ علي بن أبي طالب الكوفة بديلاً عن المدينة؟! مدينة الرسول التي احتضنت النبوة في مهدها.. وآوت المهاجرين من المسلمين، وأمنتهم من الخوف.. ثم شهدت من بعد ذلك انبعاث المستضعفين من المؤمنين المهاجرين والأنصار الذين انبعثوا في كتائب يحدوها الإيمان بالله والعقيدة الإسلامية الصحيحة متكاتفين متعاضدين لحرب المشركين.. والكفار من اليهود وغيرهم أعداء الإسلام.

ويتساءل البعض أيضاً عن الدوافع التي حدت علياً (عليه السلام) بأن يتخذ الكوفة مقراً له ومركزاً لخلافته.. وأبرزها من بين البلدان.. وسلط عليها الأضواء.. وسلمها قيادة المسلمين.. وجعلها الوارثة لمدينة الرسول الأعظم.. ولماذا.. ولماذا؟!

ويأتي الجواب بكل وضوح.. بأن هناك عوامل كثيرة حملت أمير المؤمنين علي بعد انقضاء فتنة الجمل، وتوقف النزاع المسلح والحرب الضروس التي حصدت الكثير من المسلمين الذين أبلوا بلاء حسناً في تركيز دعائم الإسلام، إلى اتخاذ الكوفة مقراً له ومركزاً للخلافة دون غيرها من البلدان الإسلامية.

فمن جملة العوامل أو الدوافع أن الكوفة كانت موئلاً عزيزاً لأصحابه.

ـ ومنها: أن الكوفة لتوسط موقعها الجغرافي ضمن البقاع الإسلامية، فهي أدنى بلدة في الأمصار الإسلامية إلى الشام كي لا يخفى عليه خافية مما يبيت له معاوية بن أبي سفيان المتربص بالشام الذي يحيك المكائد مع زمرته فيها للقضاء على المسلمين الصالحين.

ـ ومنها: أن الذين نصروه (عليه السلام) في حرب الجمل في البصرة هم من كبار زعماء العراق، ووجهاء الكوفة، وهم جنده وخاصته، وبهم كان يحارب كل من تسول نفسه تشتيت المسلمين وتفريق كلمتهم.

ـ ومنها: أن التطورات التي حصلت بعد البيعة له بالخلافة وما تلاها من نكث الناكثين لبيعته كطلحة والزبير وذهابهم إلى البصرة بقيادة أم المؤمنين عائشة لاستنهاض الناس لحربه جعلته يتخذ الكوفة مقراً له .

ـ ومنها: ما كان من دسائس الأمويين الذين هم ألد الأعداء لبني هاشم قاطبة ولعلي (عليه السلام) خاصة الموتورين بسيفه الذي قضى على أسيادهم يوم بدر، وعلى رأس الأمويين المتمردين بالشام معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وغيرهما من الضالين المضلين.

ـ ومنها: خوف أمير المؤمنين علي من انشقاق المسلمين على أنفسهم ومحاربة بعضهم بعضاً كما حدث يوم الجمل.

وعلى كل حال.. وبعد هذه الجولة القصيرة في نواحي التاريخ مع الأحداث التي حدثت في حينها يتضح لنا من خلالها أن أمير المؤمنين علي

لم يكن في أول أمره بعد البيعة له بالخلافة يفكر في نقل مقر الخلافة ـ من المدينة إلى الكوفة ـ واقامته فيها. . .

لكن التطورات التي حصلت فيما بعد حملته على التوجه لاخماد نار الفتنة التي شبت بالبصرة ونتج عنها حرب الجمل بعد أن كان يعد العدة للتوجه إلى الشام لتأديب معاوية بن أبي سفيان الذي أعلن العصيان وأصبح موئلاً للمتمردين الضالين.

ومن المعلوم أن معاوية كما ذكرنا مراراً كان يطمع بالخلافة بعد أن استتبت له الإمارة بالشام بمساعدة من تقدم من الخلفاء وعلى الأخص عثمان بن عفان الأموي فكان يطمع بضم العراق إليه باذلاً جهده في ذلك لإغراء الناس بالمال والاقطاع والهبات تارة. . وبالتهديد تارة أخرى.

وقد ذكرنا أنه في مثل هذه الحال لا بد وأن علياً (عليه السلام) رأى من مصلحة المسلمين أن يتخذ العراق مقراً له وعلى الأخص مدينة الكوفة لأن جل أهلها كانوا معه، وقد حاربوا معه جنباً إلى جنب الناكثين، والطامعين، والمتجاهرين بالعداوة لأهل بيت الرسول.

كما أنه من المعلوم أيضاً أن جل أهل الكوفة إن لم نقل كلهم جنده (عليه السلام) وبهم كان يحارب، وبالكوفة أنصاره ومحبوه كمالك الأشتر وغيره من المخلصين الأوفياء من الصحابة والتابعين.

بالاضافة إلى كل ما ذكرنا من العوامل التي ربما تكون قد حملت أمير المؤمنين علي لنقل مقر الخلافة من المدينة إلى الكوفة. . نجد أن المدينة المنورة لم تكن بعد صالحة أن تكون مقراً للخلافة ومركزاً للجند. . .

وذلك لأن جل أهلها المجاهدين، والمقاتلين كانوا خارجين عنها، منتشرين في الأقطار التي فتحوها من جزيرة العرب وغيرها من الأمصار.

وأما البقية الباقية في المدينة من الرجال لم يكونوا بالقادرين على حمايتها فضلاً عن أن يخرج منها جيش لقتال الناكثين والمنشقين.



لمحة موجزة عن تأسيس الكوفة

لما كنا في صدد سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان لا بد لنا من التطرق ولو إجمالاً إلى التعرف على مدينة الكوفة التي اتخذها (عليه السلام) مقراً لخلافته وعاصمة للمسلمين .

مدينة الكوفة مشهورة في تاريخ المسلمين لأنه في سنة ١٧ للهجرة النبوية الشريفة، وبعد انتصار المسلمين في موقعة القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب اختار سعد مكان الكوفة ليتخذه معسكراً لجنده. لذلك كان يطلق على الكوفة ـ كوفة الجند ـ .

ذكر أصحاب المعاجم في معنى كلمة الكوفة: أن كل رملة مستديرة تخالطها حصباء ـ كوفة ـ ومعنى التكوف: التجمع .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي: إنما سميت الكوفة بهذا الاسم لاستدارتها أخذاً بقول العرب: رأيت كوفانا، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة، وقيل: سميت الكوفة لاجتماع الناس بها لأن التكوف معناه التجمع .

وأما موقعها الجغرافي. . فإنها تقع على ضفاف نهر الفرات، وأرض الكوفة سهلة عالية، فوق مستوى الفيضان، ترتفع عن سطح البحر ـ ٢٢ م ـ وأنها بعيدة عن مناطق الأهوار والمستنقعات. فقد ترك

المسلمون صحراءهم العربية إلى جـانبهم عند اختيـارهم الكوفـة. فكان الفرات إلى شرق المدينة، والصحراء من جهتها الغربية، وتقع الحيرة إلى جهتها الجنوبية الغربية، وبلدة الكفل من جهتها الشمالية الشرقية...

وأما تمصيرهـا فكان في أيـام الخليفة عمـر بن الخطاب، في السنـة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ للهجرة.

وقيل: مصرت الكوفة بعد البصرة بعـامين، وكـان تمصيرهـا ـ أي تعميرها ـ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب.

وفي تـاريـخ الـطبري: كتب عمـر بن الخـطاب إلى سعـد بن أبي وقاص: انبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟!

فكتب إليـه سعـد: أن العـرب خـددهم وكفى ألـوانهم وخـومـة المدائن، ودجلة.

فكتب إليـه عمر: أن العـرب لا يـوافقهـا إلا مـا وافق أبلهـا من البلدان، فـابعث سلمان ـ الفارسي ـ رائـداً، وحذيفـة بن اليمان ـ وكـانـا رائدي الجيش.. فيرتادا منزلاً برياً، بحرياً، ليس بيني وبينكم فيـه بحر ولا جسر...

فبعث سعـد حذيفـة وسلمان ـ ليرتـادا منزلاً صـالحاً لهم ـ فخـرج سلمان حتى أتى الأنبار ـ مدينة الرمادي ـ فسار في غربي الفرات لا يـرضى شيئاً حتى أتى الكوفة...

وخــرج حـذيفــة في شرقي الفــرات لا يــرضى شيئــاً حتى أتى الكوفة...

فـأتيا عليهـا، وفيها ديـرات ثلاثـة... ديـر حـرقـة[1] وديـر أم

---

(١) وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق أتى هند إلى ديـرها، فخـرجت إليه فـأكرمهـا وعرض عليهـا نفسه في حوائجها. =

عمرو[1] ودير سلسلة وخصاص خلال ذلك . فأعجبتهما البقعة . . . . فنزلا فصليا ، وقال كل واحد منهما :

اللهم رب السماء وما أظلت، ورب الأرض وما أقلت، والريح وما ذرت، والنجوم وما هوت، والبحار وما جرت، والشياطين وما أضلت، والخصاص وما أجنت بارك لنا في هذه الكوفة، واجعله منزل ثبات[2] .

ويذكر ياقوت الحموي في معجمه عن ابن عباس: أنه كانت منازل الكوفة قبل أن تبنى أخصاصاً من قصب، إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها، وإذا عادوا بنوها، فكانوا يغزون ونساؤهم معهم.

وفي تاريخ اليعقوبي الجزء الثاني أنه في سنة ١٧ للهجرة نزل المسلمون الكوفة، واختطوا بها الخطط، وبنوا المنازل، وكان ذلك في أوائل سنة ١٨ ونزل بها من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانون رجلاً.

= ثم جاء المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الكوفة فقالت له: ما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً. قالت: لو جئتني لجمال أو حال، لاجبتك. . ولكن أردت أن تتشرف بي في محافل العرب فتقول: نكحت بنت النعمان بن المنذر. . وإلا فأي خمر في اجتماع أعور وعمياء؟! . فبعث إليها فقال: كيف كان أمركم؟ قالت: سأختصر لك الجواب: أمسينا وليس في الأرض عربي إلا وهو يرغب إلينا ويرهبنا، ثم أصبحنا وليس أحد إلا ونحن نرغب إليه ونرهبه. وهند هي التي دخل عليها خالد بن الوليد لما فتح الحيرة وكان بينهما حديث طويل فقال لها : أخبريني بشيء أدركت قالت : ما طلعت الشمس بين الخورنق والسدير الأعلى ما هو تحت حكمنا فما أمسى المساء حتى صرنا خولاً لغيرنا ثم انشأت تقول:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

إلى آخر الأبيات.

(١) دير أم عمرو هو دير هند الكبرى بنته هند أم عمرو بن هند بنت الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي. راجع معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) تاريخ الطبري: ج ـ ٣ ـ ص ١٤٦ .



لمحة موجزة عن بعض معالم الكوفة وفضل مساجدها

ذكرنا فيما سبق أن مدينة الكوفة شيدت على ضفاف نهر الفرات، في أرض سهلة عالية، بعيدة عن مناطق الأهوار..

وعلى ما أظن أن المسلمين لم يتخذوا المدن الآهلة بالسكان من البلاد التي احتلوها حرصاً منهم على المجتمع الإسلامي من أن يتأثر بعادات أهالي تلك البلاد وتقاليدها.. وحتى يبقى الجندي المسلم بعيداً عن كل ما تحوى تلك المدن من لهو ومفاسد وما يحمله سكانها من مشاغل نفسية، وشواذات فكرية وحتى يظل دائماً تحت مراقبة القادة من المسلمين، كي يؤدي واجبه الجهادي على الوجه الصحيح من دون أن تتسمم أفكاره وتتسرب عدوى الفساد إليه.

لذلك كان القادة يحرصون على الابتعاد عن المدن التي احتلوها قدر الامكان وعدم الاختلاط بالسكان الأصليين.

والمعروف تاريخياً أن من أهم معالم مدينة الكوفة، هو مسجدها العظيم، ومسجد السهلة الذي يأتي بالمرتبة الثانية بعد مسجد الكوفة، ويقع بالجهة الشمالية الغربية على نحو كيلو مترين منه في أرض خالية من العمران والسكن فعلاً.

وفي الكوفة مساجد لها مكانة كريمة عند المسلمين بالاضافة إلى

مسجد الكوفة ومسجد السهلة. . مسجد غني. . ومسجد بني صفر. . ومسجد الحمراء. . ومسجد جعفي. . وغيرها.

ومن معالم مدينة الكوفة أيضاً: قصر الامارة، فإنه شيد بمحاذات الضلع الجنوبي لمسجد الكوفة، وإلى جهة المسجد الجنوبية بناية صغيرة تعرف بين الناس باسم بيت الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام). ويذكرون أن الإمام كان يسكنه وأنه كان قد غسل فيه بعد استشهاده كما ذكر ذلك الخليلي في موسوعته ـ وهناك خبر آخر يشير إلى أن هذا البيت كان بيت عبدالله بن هبيرة المخزومي، وقد نزل الإمام علي فيه كضيف عند أول دخوله الكوفة، فعرف البيت باسمه[1].

وفي مكان ملاصق لجدار مسجد الكوفة الشرقي مقام مسلم بن عقيل بن أبي طالب (رضي الله) عنهما ومقام هاني بن عروة رحمه الله.

وبجانب مقام مسلم بن عقيل وفي مكان قريب منه يقوم قبر المختار بن أبي عبيد الثقفي زعيم التوابين في وقته.

وفي خارج مسجد الكوفة وبالقرب من بيت أمير المؤمنين علي مقام ميثم التمار وهو من أنصار أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي عن حبة العرني أنه قال: «كنت جالساً عند علي (عليه السلام)، فأتاه رجل فقال:

يا أمير المؤمنين هذه راحلتي، وزادي، أريد هذا البيت، أعني بيت المقدس.

فقال علي (عليه السلام)، كل زادك، وبع راحلتك، وعليك بهذا المسجد. . يعني مسجد الكوفة. . فإنه أحد المساجد الأربعة، ركعتان فيه تعدلان عشراً فيما سواه من المساجد. والبركة منه إلى اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته، وهي نازلة من كذا ألف ذراع. وفي زاويته فار

---

(١) راجع موسوعة القبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي.

التنور. . وعند الاسطوانة الخامسه صلى إبراهيم (عليه السلام).

وقد صلى فيه ألف نبي، وألف وصي، وفيه عصا موسى، والشجرة اليقطين. . وفيه هلك يغوث. . ويعوق. . وهو الفاروق.

وفيه مسير لجبل الأهواز. وفيه مصلى نوح (عليه السلام). ويحشر منه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب.

ووسطه على روضة من رياض الجنة. وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهر المؤمنين. لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبوا»[1].

وفي بحار الأنوار للمجلسي عن أمير المؤمنين علي أنه قال: «أول بقعة عبدالله عليها، ظهر الكوفة. لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم. . سجدوا على ظهر الكوفة[2].

وفي عمدة الزائر[3] عن أبي حمزة الثمالي رحمه الله قال: بينما أنا قاعد في المسجد ـ مسجد الكوفة ـ عند ـ الاسطوانة السابعة ـ فإذا برجل مما يلي أبواب كندة قد دخل. فنظرت إلى أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، وأنظفهم ثوباً، ودراعة معمم بلا طيلسان، ولا أزار، عليه قميص ودراعة وعمامة، وفي رجليه نعلان عربيان، فخلع نعليه ثم قام عند الاسطوانة السابعة فصلى أربع ركعات أحسن ركوعهن وسجودهن وقال:

إلهي إن كنت قد عصيتك فقد أطعتك في أحب الأشياء إليك، الإيمان بك مناً منك به علي لا مناً مني به عليك، لم اتخذ لك ولداً، ولم ادع لك شريكاً، وقد عصيتك على غير وجه المكابرة، ولا الخروج من عبوديتك، ولا الجحود لربوبيتك، ولكن اتبعت هواي وازلني الشيطان،

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي: ج ـ ٤ ـ ص ٤٩٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ـ ٢٢ ـ ص ٣٧ وموسوعة العتبات القبات المقدسة للخليلي.

(٣) عمدة الزائر ـ للعلامة السيد حيدر الحسن الكاظمي المتوفى سنة ١٢٦٥ هجرية.

بعد الحجة علي والبيان، فإن تعذبني فبذنوبي غير ظالم لي، وأن تعف عني فبجودك وكرمك يا كريم . . .

ثم خر ساجداً يقولها حتى انقطع نفسه.

وقال أيضاً: في سجوده: يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ضمير الصامتين، يا من لا يحتاج إلى تفسير، يا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يا من أنزل العذاب على قوم يونس وهو يريد أن يعذبهم فدعوه وتضرعوا إليه، فكشف عنهم العذاب، ومتعهم إلى حين. قد ترى مكاني، وتسمع كلامي، وتعلم حاجتي، فاكفني ما أهمني من أمر ديني ودنياي، وآخرتي يا سيدي يا سيدي سبعين مرة.

ثم رفع رأسه فتأملته فإذا هو مولاي زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام). فانكببت على يديه أقبلهما . . .

فنزع يده وأومأ إلي بالسكوت . . .

فقلت: يا مولاي . . أنا من عرفته في ولائكم، فما الذي أقدمك إلى هنا؟

فقال: هو ما رأيت . . يعني الذي أقدمني هو الصلاة في مسجد الكوفة .

وفي مسجد الكوفة أماكن متعددة للصلاة . . والدعاء، وفضائله كثيرة لا مجال لذكرها الآن.

لكننا نكتفي بهذه اللمحة الخاطفة عن ذكر الكوفة وتأسيسها، وأهم معالمها وفضل مساجدها . . .

ونختتم كلامنا بالقول أن الكوفة على ما يرويه المؤرخون عاشت إلى القرن الثامن للهجرة وازدهرت في هذه المدة حضارياً . . وفكرياً . . وعلمياً حتى تفوقت مدرسة الكوفة على جميع من عداها من المدن الإسلامية بالثقافة العلمية والأدبية وأصبحت محطة لرواد العلم والمعرفة . . .

فكان الابداع في الكوفة شاملاً لكافة أدوار الثقافة من الفلسفة والنحو والفقه وعلم الأصول خصوصاً في عصر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

وبعد القرن الثامن للهجرة ابتدأ الخراب في الكوفة واستمر فيها حتى أصبحت خراباً عدا المسجد وبعض المعالم البسيطة...

لكن بعد القرن الثالث عشر للهجرة دب العمران بالكوفة مجدداً وأخذت تستعيد نموها حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة حيث أصبحت أهم ميناء للفرات الأوسط تنحدر منها السفن التجارية إلى البصرة حاملة الصادرات من المنتوجات. وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر أخذ العمران يعود إليها حتى أوشك أن يتصل بعمران مدينة النجف الأشرف التي امتد عمرانها نحو الكوفة وهذا واضح لمن زار تلك الأماكن. وقد شاهدت بنفسي السفن التجارية في ميناء الكوفة محملة بالبضائع، وذلك من حوالي ستين سنة - ١٣٤٨ - عندما كنت طفلاً بصحبة والدي العلامة السيد محمد حسن فضل الله الذي كان يدرس العلوم الدينية في النجف الأشرف في ذلك الوقت.



بعض أعمال أمير المؤمنين علي بعد دخوله الكوفة

ذكرنا فيما مضى من هذا الكتاب أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) دخل الكوفة ولقي من أهلها ترحيباً ومودة.. خاصة بعد أن علموا بأنه (عليه السلام) قد اختار مدينتهم.لتكون مقراً لخلافته، ومركزاً لحكمه، ترجع إليها بقية الأمصار الإسلامية، وتفوز بالزعامة الدينية والقيادة الزمنية وتكون محلاً لنشر شعائر الله.

وقد روى المؤرخون وأصحاب السير من أن علياً (عليه السلام) أتم الصلاة يوم دخل الكوفة.. حيث اتخذها محلاً لاقامته وأنه لما كانت الجمعة وحضر وقت الصلاة، صلى بالناس وخطب بهم خطبته المشهورة التي حثهم فيها على تقوى الله والعمل بطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم... الخ.

وبعد أن استقر بأمير المؤمنين (عليه السلام) المقام بالكوفة استعمل العمال وأرسلهم إلى الأمصار. بعد أن زودهم بتوجيهاته، وارشاداته، ونصائحه، وأوصاهم باقامة العدل والمساواة بين الناس...

ـ فبعث: يزيد بن قيس الأرحبي على المدائن جوخى كلها[1].

---

(١) في الوسائل للحر العاملي: يزيد بن قيس الأرحبي كان عامل علي (عليه السلام) على الري، وهمدان، واصبهان والظاهر أن أمير المؤمنين علي أسند ولايتي همدان واصبهان =

ـ وبعث: مخنف بن سليم على أصبهان وهمدان. فهرب بالمال فاسند علي أعمالهما إلى يزيد بن قيس.

ـ وبعث: قرظة بن كعب على البهقباذات[1].

ـ وبعث: قدامة بن مضعون الأزدي على كسكر[2].

ـ وبعث: عدي بن الحارث على مدينة بهرسير واستانها[3].

ـ وبعث: أبا حسان البكري على إستان العالي[4].

ـ وبعث: سعد بن مسعود الثقفي على استان الزوابي.

ـ وبعث: ربعي بن كاس[5] على سجستان[6].

ـ وبعث: خليد بن طريف إلى خراسان. فلما دنا من نيسابور بلغه أن أهل خراسان[7] قد كفروا، ونزعوا أيديهم من الطاعة، وقدم عليهم عمال كسرى من كابل.

= إلى يزيد بن قيس وذلك بعد أن هرب مخنف بن سليم بالمال وبعد أن كان علي أرسله إليهما.

(١) إسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات، منسوبة إلى قباذ ابن فيروز والد أنوشروان بن قباذ العادل. معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) كسكر: كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية لأنها تكثر بها جداً. معجم البلدان لياقوت.

(٣) بهرسير من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. معجم البلدان لياقوت.

(٤) استان العالي: كورة في غربي بغداد من السواد. قال العسكري: الاستان، مثل الرستاق. ـ معجم البلدان لياقوت. ـ وفي لسان العرب الرستاق واحد، فارسي معرب، والجمع الرساتيق وهي السواد.

(٥) كاس: اسم امه، يعرف بها وهو من بني تميم.

(٦) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة جنوبي هراة، قال الاصطخري: أرض سجستان سبخة ورمال حارة بها نخيل، ولا يقع بها الثلج وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل. معجم البلدان.

(٧) في معجم البلدان لياقوت الحموي: خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة، ومرو.

فقاتل خليد[1] أهل نيسابور[2] فهزمهم، وحصرأهلها، وبعث إلى علي (عليه السلام) بالفتح.

ـ وبعث: الأشتر[3] على الموصل، ونصيبين، ودارا، وسنجار، وآمد، وهيت، وعانات، وما غلب عليه من أرض الجزيرة.

(١) خليد بن طريف: من أصحاب علي أمير المؤمنين (عليه السلام) بعثه إلى خراسان بعد وقعة الجمل وكانوا قد ارتدوا وعصوا. ففتحها. وقيل أنه بعث خليد بن قرة اليربوعي. كما روى الطبري في تاريخه بسنده عن الأصبغ بن نباته المجاشعي قال: «بعث علي خليد بن قرة اليربوعي، ويقال خليد بن طريف إلى خراسان» وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين: أن علياً (عليه السلام) حين قدم الكوفة من البصرة بعد حرب الجمل، أقام بها، واستعمل العمال، وذكر فيمن استعمله خليداً ـ ولم ينسبه ـ فقال: وبعث خليداً إلى خراسان فسار خليد حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أنّ أهل خراسان قد كفروا ونزعوا يدهم من الطاعة، وقدم عليهم عمال كسرى من كابل. فقاتل أهل نيسابور فهزمهم، وحصر أهلها، وبعث إلى علي بالفتح والسبي.

(٢) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، وقيل أنها فتحت في أيام عمر بن الخطاب على يد الأحنف بن قيس.. الخ معجم البلدان لياقوت.

(٣) في وسائل الشيعة للحر العاملي: مالك بن الحارث الأشتر قدس الله روحه ورضي عنه، جليل القدر، عظيم المنزلة، كان اختصاصه بعلي (عليه السلام) أظهر من أن يخفى، وتأسف أمير المؤمنين (عليه السلام) بموته فقال: لقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). قاله العلامة. وروى الكشي مدحه. وفي حاشية الوسائل: قال الكشي: ذكر أنه لما نعي الأشتر مالك بن الحارث النخعي إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) تأوه حزناً وقال: رحم الله مالكاً، وما مالك عزَّ عليّ به هالكاً، لو كان صخراً لكان صلداً ولو كان جبلاً لكان فنداً وكأنه قُدَّمني قداً.

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: فأما ثناء أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ على الأشترـ في هذا الفصل، فقد بلغ مع اختصاره ما لا يبلغ بالكلام الطويل. ولعمري لقد كان الأشتر أهلاً لذلك، كان شديد البأس، جواداً، رئيساً، حليماً، فصيحاً، شاعراً.. وكان يجمع بين اللين والعنف، فيسطو في موضع للسطوة، ويرفق في موضع الرفق. وسيأتي ذكر وفاته في باب لاحق من هذا الكتاب انشاء الله.



دخول زعماء الكوفة على أمير المؤمنين علي

يحدثنا التاريخ أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لقي من الكوفيين استقبالاً حاراً يفيض بالحب والولاء والاحترام بعدما أظهره الله على أعدائه بالبصرة باستثناء قلة من الكوفيين الذين هم عثمانيو الهوى والذين كانوا يتحينون الفرص بعد أن غُلبوا على أمرهم.

وبعدما انتهى (عليه السلام) من خطبته المشهورة التي ألقاها في المسجد.. وبعدما استقر به المقام بالكوفة.. بادر زعماؤها يستأذنون للدخول عليه وتهنئته بالنصر، والتماس رضاه.

روي عن نصر بن مزاحم في كتاب صفين بسنده: أنه دخل على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) سليمان بن صرد الخزاعي[1]، فعاتبه،

---

(١) في الاستيعاب لابن عبد البر: سليمان بن صرد الخزاعي يكنى أبا المطرف كان رضي الله عنه خيراً فاضلاً، له دين وعبادة. كان اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سليمان. سكن الكوفة وابتنى بها داراً في خزاعة وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون، وكان له سن عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه. شهد مع علي (عليه السلام) صفين، وهو الذي قتل حوشب ذا ظليم الألهاني بصفين مبارزة ثم اختلط الناس يومئذٍ.

وكان فيمن كتب إلى الحسين (عليه السلام) يسأله القدوم إلى الكوفة، فلما قدمها=

وعذله، وقال له: «ارتبت.. وراوغت.. وقد كنت من أوثق الناس في نفسي.. وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتي.. فما قعد بك عن أهل بيت نبيك.. وما زهدك في نصرهم؟!

فقال سليمان ـ: يا أمير المؤمنين لا تردن الأمور على أعقابها، ولا تؤنبني بما مضى فيها، واستبق مودتي، تخلص لك نصيحتي، وقد بقيت أمور تعرف بها وليك من عدوك...

فسكت عنه.

وجلس سليمان قليلاً، ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علي (عليهما السلام) وهو قاعد في المسجد فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين.. وما لقيت منه من التبكيت.. والتوبيخ..!

فقال له الحسن: إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته.

فقال سليمان: أنه بقيت أمور يستوسق فيها القنا، وينتضى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى أشباهي فلا تستشبعوا غيبتي، ولا تتهموا نصيحتي.

فقال له الحسن: رحمك الله ما أنت عندنا بالظنين.

= ترك القتال معه.. فلما قُتل الحسين (عليه السلام) ندم ـ سليمان ـ هو والمسيب بن نجبة الفزاري وجميع من خذله إذ لم يقاتل معه، ثم قالوا: ما لنا من توبة مما فعلنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه. فخرجوا فعسكروا بالنخيلة ـ موضع قرب الكوفة ـ وذلك مستهل ربيع الآخر سنة خمس وستين وولوا أمرهم سليمان بن صرد وسموه أمير التوابين. ثم سار إلى عبيد الله بن زياد، فلقوا مقدمته في أربعة آلاف عليها شرحبيل ابن ذي الكلاع. فاقتتلوا فقتل سليمان بن صرد، والمسيب بموضع يقال له عين الوردة. وقيل أنهم خرجوا إلى الشام في الطلب بدم الحسين (عليه السلام) فسموا التوابين. وكانوا أربعة آلاف فقتل سليمان بن صرد، رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله. وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم أدهم ابن محيريز الباهلي. وكان سليمان بن صرد الخزاعي يوم قُتل ابن ثلاث وتسعين سنة. والمسيب بن نجبة كما في الوسائل للحر العاملي أنه عده الفضل بن شاذان من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم نقله الكشي.

ودخل على أمير المؤمنين علي (عليه السلام) سعد بن قيس[1] فسلم عليه. . .

فقال له علي: وعليك السلام، وإن كنت من المتربصين.

فقال سعد: حاش الله يا أمير المؤمنين. . لست من أولئك. .

فقال علي (عليه السلام): فعل الله ذلك.

ودخل على أمير المؤمنين بالكوفة أيضاً مخنف بن سليم[2] فإذا بين يديه رجال يؤنبهم وهم عبدالله بن المعتم العبسي، وحنظلة بن الربيع التميمي، وكانت لهما صحبة وأبو برد بن عوف الأزدي. وغريب بن شرحبيل الهمداني، وهو يقول لهم: ما أبطأ بكم عني. . وأنتم أشراف قومكم؟! والله لئن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة، أنكم لبور. . وإن كان من شك في فضلي، ومظاهرة علي. . أنكم لعدو.

قالوا: حاش الله يا أمير المؤمنين. . نحن سلمك. . وحرب عدوك. . ثم اعتذروا بمرض، أو غيبة، أو عذر آخر.

ونظر علي (عليه السلام) إلى مخنف ، فقال لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلفوا . . . ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى :

---

(١) سعد بن قيس الهمداني الكوفي ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب علي (عليه السلام). وفي منهج المقال الأصح أنه سعيد بالياء. وفي الوسائل للحر العاملي: سعيد بن قيس الهمداني، من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم قاله الكشي عن الفضل بن شاذان، ونقله العلامة.

(٢) وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني: مخنف بن سليم هو من الأزد بالكوفة والبصرة وقال ابن الكلبي له صحبة، وحديثه في كتب السنن الأربعة. وفي الوسائل للحر العاملي: مخنف بن سليم الأزدي، من خواص علي (عليه السلام) نقله ابن داود عن الشيخ، ونحوه العلامة عن البرقي، وذكر بعض العامة أن علياً (عليه السلام) ولاه أصفهان. وفي أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين استعمله أمير المؤمنين علي على أصبهان فهمدان، فلما أراد المسير إلى حرب صفين كتب إليه: إذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك واقبل إلينا. فاستعمل مخنف على أصبهان وهمذان رجلين من قومه، واقبل حتى شهد مع علي صفين.

﴿ وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً ـ ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾[1] .

ثم توالت الجموع والوفود تقبل عليه خافضة جناحها لسلطانه خاضعة له مطيعة لأوامره.

فكان (عليه السلام) يلقاهم بصدره الرحب، وأسلوبه الواضح المستقيم، فيعتب على السادة منهم الذين اعتزلوه في صراحة مكشوفة غير باغ ولا عاد، ملتزماً حدود الشريعة العادلة السمحاء.

كانت صراحته (عليه السلام) على شدتها وعنفها أفعل في النفوس من المكر والمراوغة والمداهنة التي كان يتخذها أعداؤه. . لأنه على الحق.

ويأتي أهالي السواد بالكوفة ليقدموا الولاء والطاعة له (عليه السلام)، فيقول لهم: أسندوا أمركم إلى أرضاكم في أنفسكم، وأعمه نصيحة لكم.

قالوا: ـ نرسا ـ قد اخترناه، ما رضي فقد رضينا، وما سخط فقط سخطناه فتقدم ـ نرسا ـ فجلس إليه.

فقال: أخبرني عن ملوك فارس كم كانوا؟

قال: كانت ملوكهم في هذه المملكة الآخرة اثنين وثلاثين ملكاً.

قال (عليه السلام): كيف كانت سيرتهم؟

قال نرسا: ما زالت سيرتهم في عظم أمرهم واحدة حتى ملكنا كسرى بن هرمز فاستأثر بالمال والأعمال، فخالف أولينا، وأخرب الذي للناس، وعمر الذي له، واستخف بالناس، فاوغر نفوس فارس حتى ثاروا إليه فقتلوه.

فقال (عليه السلام): يا نرسا أن الله عز وجل خلق الخلق بالحق،

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٢ ـ ٧٣.

ولا يرضى من أحد إلا بالحق، وفي سلطان الله تذكرة مما خـول الله وأنها لا تقـوم مملكة إلا بتـدبير ولا بـد من امارة. ثم أمـر عـلى أهـل السـواد أمراءهم.



كتاب أمير المؤمنين علي إلى جرير البجلي

لما استقر المقام بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالكوفة واتخذها منزلاً لاقامته ومقراً لحكومته، بعث البعوث ـ الولاة ـ إلى الأقطار الإسلامية كما أسلفنا، وكتب إلى الولاة في الآفاق فمن جملة من كتب إليهم جرير بن عبدالله البجلي[1].

عن نصر بن مزاحم في كتاب صفين لما بويع علي (عليه السلام)، وكتب إلى العمال في الآفاق كتب إلى جرير بن عبدالله البجلي. وكان جرير عاملاً لعثمان على ثغر همدان، فكتب إليه مع زحر بن قيس الجعفي.

فلما قرأ ـ جرير ـ الكتاب قام، فقال:

---

(١) في الاستيعاب لابن عبد البر: جرير بن عبدالله البجلي سيد قبيلته، يعني بجيلة وكان إسلامه في العام الذي توفي فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال جرير أسلمت قبل موت رسول الله بأربعين يوماً. ونزل جرير الكوفة، وسكنها، وكان له بها دار، ثم تحول إلى قرقيسياء ومات بها سنة أربع وخمسين. وقد قيل أن جريراً توفي سنة احدى وخمسين. وقيل مات بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة لمعاوية ـ وفي الإستيعاب أيضاً: وكان جرير رسول علي (عليه السلام) إلى معاوية، فحبسه ـ معاوية مدة طويلة ـ ابقاه عنده ـ ثم رده برق مطبوع غير مكتوب، وبعث معه من يخبر بمنابذته له في خبر طويل.

أيها الناس . . هـذا كتاب أمـير المؤمنين عـلي بن أبي طالب، وهـو المأمون على الدين والدنيا . وقد كان من أمره، وأمر عـدوه ما نحمـد الله عليه . وقد بايعه السابقون الأولـون من المهاجـرين والأنصار، والتـابعين باحسان . . .

ولو جعل هذا الأمر شـورى بين المسلمـين، كان أحقهم بهـا . ألا وأن البقاء في الجماعة . . والفناء في الفـرقة، وعـلي حاملكم عـلى الحق ما استقمتم . . فإن ملتم أقام ميلكم . . .

فقال الناس : سمعاً وطاعةً . . رضينا . .

فأجاب جرير وكتب جواب كتابه بالطاعة .

قال نصر : ثم أقبل جرير سائراً من ثغر همدان حتى ورد عـلى علي (عليه السلام) بالكوفة، فبايعه، ودخل فيـما دخل فيـه الناس من طـاعة علي واللزوم لأمره .

كتاب أمير المؤمنين علي إلى الأشعث بن قيس

في كتاب صفين لنصر بن مزاحم: أنه لما بويع علي (عليه السلام) كتب إلى العمال ـ الولاة في الأمصار ـ كتب إلى الأشعث بن قيس الكندي[1] مع زياد بن مرحب الهمداني، والأشعث على اذربيجان عامل لعثمان.

(١) في أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: الأشعث بن قيس الكندي شهد صفين مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وجعله على الميمنة. ولما استولى أهل الشام على شريعة الماء بصفين حاربهم الأشعث ومعه كندة، وحاربهم الأشتر حتى غلبوا على الشريعة، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): هذا يوم نصرنا فيه الأشعث بالحمية.. مشيراً إلى أن حربه لم يكن عن بصيرة، وإنما حارب حمية. وهو الذي ألزم علياً عليه السلام بالتحكيم. والأشعث بن قيس كان عدواً لأمير المؤمنين (عليه السلام). روى ابن أبي الحديد في شرح النهج : أنّ علياً (عليه السلام) كان يخطب على منبر الكوفة ويذكر أمر الحكمين، فقام إليه رجل من أصحابه، فقال له: نهيتنا عن الحكومة، ثم أمرتنا بها! فما ندري أي الأمرين أرشد؟ فصفق (عليه السلام) بإحدى يديه على الأخرى وقال: «هذا جزاء من ترك العقدة» فاعترضه الأشعث، فقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك، فخفض إليه بصره ثم قال: «ما يدريك ما علي مما لي، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين.. حائك ابن حائك، منافق ابن كافر.. والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى، فما فداك من واحدة منهما مالك، ولا حسبك وإن امرءاً دل على قومه السيف ، وساق إليهم الحتف ، لحري أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد ». وكان الأشعث من المنافقين في خلافة علي (عليه السلام)، وهو في أصحابه كما كان عبدالله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل واحد =

وقد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة الأشعث بن قيس قبل ذلك.

فكتب إليه علي (عليه السلام):

أما بعد. . . لولا هنات كن فيك كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس. ولعل أمرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله.

ثم أنه كان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك، وكان طلحة والزبير ممن بايعاني، ثم نقضا بيعتي، على غير حدث. . . وأخرجا أم المؤمنين، وسارا إلى البصرة. .

فسرت إليهما. . . فالتقينا. . .

فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه. . . فأبوا. . .

= منها رأس النفاق في زمانه. وقد اعان الأشعث على قتل علي (عليه السلام) ابن ملجم وشبث بن بحيرة، ومروان بن مجالد كما ذكره المفيد في الإرشاد وغيره. كمن هؤلاء الثلاثة لعنهم الله لقتل أمير المؤمنين وجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج (عليه السلام) منها، وقد كانوا قبل ذلك ألقوا إلى الأشعث بن قيس ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وواطاهم على ذلك. وحضر الأشعث بن قيس في تلك الليلة لمعونتهم على ما اجتمعوا عليه. وكان حجر بن عدي (رض) بائتاً في المسجد فسمع الأشعث يقول: يا بن ملجم، النجاء، النجاء، لحاجتك فقد فضحك الصبح. فأحس حجر بما أراد الأشعث فقال: قتلته يا أعورا. . وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين فيخبره الخبر ويحذره من القوم. وخالفه أمير المؤمنين في الطريق فدخل المسجد فسبقه ابن ملجم فضربه بالسيف. وأقبل حجر والناس يقولون قتل أمير المؤمنين. .

كما كاتب الأشعث معاوية في خلافة الحسن (عليه السلام). وابنة الأشعث جعدة سمت زوجها الحسن (عليه السلام). وابن الأشعث محمد أعان على قتل مسلم وهاني، وحضر قتل الحسين (عليه السلام) مع ابن سعد وكان له المقام المذموم والمشهد السوء. . مات الأشعث آخر سنة ٤٠ وقيل سنة ٤٢ وهو ابن ثلاث وستين سنة. ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: سكن الكوفة وارتد بعد النبي في ردة أهل ياسر، وزوجه أبو بكر أخته أم فروة، وكانت عوراء فولدت له محمداً.

وذكره أيضاً في أصحاب علي (عليه السلام) وقال: ثم سار ـ الأشعث ـ خارجياً ملعوناً. راجع كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ والارشاد للمفيد ـ وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين.

فأبلغت في الدعاء.. وأحسنت في البقية...
وأن عملك ليس لك بطعمة... ولكنه أمانة..

وفي يديك مال من مال الله، وأنت من خزان الله عليه حتى تسلمه إلي. ولعلي أن لا أكون شر ولاتك لك إن استقمت..
ولا قوة إلا بالله.

فلما قرأ الأشعب الكتاب ـ وهو بمثابة عزل له ـ قام زياد بن مرحب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس: أنه من لم يكفه القليل، لم يكفه الكثير، أن أمر عثمان لا ينفع فيه العيان ولا يشفي منه الخبر، غير أن من سمع به ليس كمن عاينه، أن الناس بايعوا علياً راضين به، وأن طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث. ثم أذنا بحرب. فأخرجا أم المؤمنين، فسار إليهما، فلم يقاتلهما وفي نفسه منهم حاجة، فأورثه الله الأرض وجعل له عاقبة المتقين.

ثم قام الأشعث بن قيس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أن أمير المؤمنين عثمان ولاني أذربيجان، فهلك وهي في يدي. وقد بايع الناس علياً، وطاعتنا له طاعة من كان قبله، وقد كان من أمره وأمر طلحة والزبير ما قد بلغكم وعلي المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك الأمر.

فلما أتى ـ الأشعث ـ منزله دعا أصحابه فقال: أن كتاب علي قد أوحشني، وهو آخذ بمال أذربيجان.. وأنا لاحق بمعاوية.

فقال القوم: الموت خير لك من ذلك.. أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام؟!..

فاستحى فسار حتى قدم على علي.

تمَّ الجزء السادس بعون الله تعالى ويليه الجزء السابع إنشاء الله

المحتـويـات

الفصـل الخامس والخمسون

الفصـل السادس والخمسون

الفصل السابع والخمسون

الفصل الثامن والخمسون

الفصل التاسع والخمسون

الفصـل الستـون

الفصـل الواحد والستون

الفصل الثاني والستون